





كتاب الرياض ١١٧

كتاب شهري يعنى بالأدب والثقافة والفكر يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض

ثقافة الحوار في الإسلام

د. عبد القادر الشيخلي

أغسطس ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم



الرياض



كتاب شهري يُعنى بالأدب والثقافة والفكر يصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض

ثقافة الحوار في الإسلام

عبدالقادر الشيخلي

(أغسطس ٢٠٠٣م)

ح مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤٢٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشيخلي، عبدالقادر
ثقافة الحوار في الإسلام./ عبدالقادر الشيخلي .- الرياض،
١٤٢٤هـ
٢٨٠ ص ١٤,٥X٢١,٥ سم .- (كتاب الرياض؛ ١١٧)
ردمك: ٥ - ٣٤ - ٨٧٧ - ٩٩٦٠
١ - الحوار ٢ - الآداب الإسلامية - ٣ الدعوة الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٤/٣٥٧٨
رقم الإيداع: ١٤٢٤/٣٥٧٨
ردمك: ٥-٣٤-٨٧٧-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

ص.ب (٨٥١) الرياض (١١٤٢١)
هاتف: ٤٨٧١٠٠٠
٤٤٢٠٠٠٠
فاكس: ٤٨٧١٠٧٠

المحتويـــــات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

مقدمة

الحمد لله القائل: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾[1] والصلاة والسلام على سيدنا محمد أول المخاطبين بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]، وبعد

١ - ما هية الموضوع:

هناك حاجة حيوية للحوار القائم على قواعد المنهج العلمي المرسوم في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهّرة، ولست جانحاً نحو المغالاة حينما أفصح بأن الإسلام: دين الحوار، وحجة مقولتي أنه وضع قواعد الحوار العلمي ورسم أهميته بحيث لن يعدم المحاور قاعدة منطقية للحوار إلاّ ووجد دليلها في كتاب رب العالمين، وعلى الرغم من وضوح هذه الحقيقة إلاّ أننا نجد - للأسف الشديد - أن بعض المفكرين أو الدعاة لا يطبقون هذه القواعد التطبيق الصحيح، كما

(١) آل عمران - ٦٦.
(٢) النحل - ١٢٥.

وردت في القرآن الكريم، فللحوار أسس معلومة وقواعد واضحة وينطوي على فوائد جمّة، كما أنه دليل - في حد ذاته - على حيوية الإسلام وقدراته على أن يكون ديناً لكل الأزمنة والأمكنة، وبما أن الحوار العقلاني أسمى من الحوار الوجداني أو العاطفي فإن إدراك قواعده الإسلامية الشرعية والأخلاقية والمنطقية واستيعاب مهارات الأداء الأمثل هو الخدمة الجلى التي يقدمها الدعاة لهذا الدين الحنيف.

٢ - أهمية الموضوع:

نحن المسلمين بحاجة قصوى للحوار في قرننا الحالي، فالحوار مع أنفسنا يجدي في إدراك عناصر الضعف فينا وأسبابها، ومعرفة لماذا تأخرنا وتقدم الآخرون، كما يجدي في إعداد خطط علمية للنهضة الإسلامية المرتقبة، يضاف إلى ما تقدم أن الحوار أمسى أكثر من ضرورة مع الغير ولا سيما الغرب، إذ بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أصبح المسلمون في وضع صعب سواء في داخل البلدان الأمريكية والأوروبية أو في داخل بعض البلدان الإسلامية التي رددت بعض أنظمتها للأسف الشديد معزوفة الإرهاب الإسلامي أو الأصولية أو التطرف الديني. ولا نملك في هذه الأزمة الخانقة سوى الحوار لرصد صفوفنا وحشد قوانا وتعزيز خطاباتنا وتطويرها وإثراء منهجنا الحواري كي نصمد ونقاوم هذه الهجمة الظالمة والمعتدية على الإسلام والمسلمين.

٣ - هدف البحث:

يهدف هذا البحث في الدرجة الأولى إلى إيضاح القواعد

الإسلامية للحوار ومن ثم تطويرها كما جاءت في القرآن الكريم والسُّنّة النبوية المطهرة، وكما وردت في تراثنا الفكري الإسلامي العريق والعمق معاً، ومن ثم يطمح البحث كي يكون دليلاً عملياً يستخدمه الداعية في عمله الدعوي، فبعض الحقائق غير خافية على بعض الدعاة إلا صفة النسيان قد تغلب عليهم فينسوها أو يتناسوها، كما أن التقيّد بقواعد الحوار كما وردت في العقيدة والشريعة يجعل من مسلمينا متطابقين مع إسلامنا، فمشكلة الانفصام بين المسلمين والإسلام هي مشكلة الانفصام بين النظرية والتطبيق وهي إحدى المشكلات الفلسفية لنظرية المعرفة، فالإسلام يلزم الدعاة المحاورين مع أقرانهم أو مع الغير، أن يجسدوا الإسلام خير تجسيد، فإذا كان الإسلام يدعو إلى الرفق واللين مثلاً فليس من الصواب استخدام الغلظة والغضب في الحوار.

٤ - منهج البحث:

سألجأ - بعون الله تعالى - إلى تقديم بحث علمي مغاير لما هو سائد في المكتبات وكتب الحوار بشكل عام والحوار في القرآن الكريم والسُّنّة النبوية المطهرة بشكل خاص، إذ أن معظم الكتب كانت سرداً للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بحيث فقد موضوع الحوار سماته المتميزة وكأن الكاتب يكتب في الأخلاقيات الإسلامية بوجه عام ولذلك سألجأ إلى منهج يتوسط ذلك بلا إفراط ولا تفريط.

وبما أن الحوار موضوع واسع وشائك إذ ينطوي على جوانب

شرعية (دينية) وفلسفية (نظرية المعرفة) وأخلاقية (نظرية القيم) واجتماعية (السلوك المؤسسي) ونفسية (الأفكار والمشاعر والعواطف والأحاسيس) فإنني سأستخدم المنهج التكاملي في عملية البحث، ومفاده: توظيف معطيات الشريعة (قرآن وسُنّة وكذلك الاجتهاد) ثم معطيات التراث الفكري والأدبي الإسلامي بما يحوي من حكم وحكايات وأمثال ووصايا وشعر لغرضين متلازمين: الأول - تنوير الداعية والمحاور بقواعد الحوار الصحيح، والثاني - إثراء ثقافة أيّ منهما أو تذكيره بهذه القواعد العلمية، ولن يكون ثمة إفراط بهذا الجانب أو تفريط بذاك، وإنما أجري موازنة بين علوم الآخرة وعلوم الدنيا كما أن غرضي يذهب إلى الاستعانة بالنظرية والتطبيقات معاً فتذكير الداعية أو المحاور بالحقائق الشرعية يهدف إلى حسن استخدامها في العمل الدعوي. وجدير بالذكر أنه يمكن استخدام الحكايات في مجالات الدعوة والتربية والثقافة وفق مضمونها الذي يلائم هذه أو تلك من الأهداف إلا أن التنويع كان لازماً كما أن هذه الحكايات هي من المجالات التطبيقية لقواعد الحوار، إضافة إلى تأثيرها في أسلوب الداعية وخلقه وثقافته. وحينما أقول: «الإسلام» فإني استخدم مفهومه الفضفاض الذي يبدأ من العقيدة والشريعة ويمتد إلى الفقه، وتنتمي إليه دوائر التاريخ الإسلامي، والثقافة الإسلامية، والأدب الإسلامي، فهذه كلها تنطوي وتنتمي تحت مظلة الإسلام طالما لم تتعارض مع الثوابت الدينية.

والمسلم إذا رغب بمحاورة رب العزة فإنه يلجأ إلى الصلاة

والدعاء، أما إذا رغب أن يحاوره الله جلت قدراته وتسامت أسماؤه فإنه يلجأ إلى قراءة القرآن الكريم.

فالمنهج التكاملي في هذا البحث يتمثل في العلوم الشرعية والفقهية والوضعية، فأسلمة المعرفة تعني الاستفادة من جميع المنجزات العلمية والتكنولوجية المتطورة طالما كانت غير متناقضة مع مبادئ ديننا الحنيف، فالإسلام كما هو معلوم دين قديم بدأ منذ سيدنا آدم عليه السلام وهو دين جديد ومتجدد، فكلما قرأ المسلم سُوَّراً من القرآن الكريم اكتشف أمراً أو مسألة وكأنها تمر به لأول مرة وهذا هو الجانب الإعجازي في كتاب رب العالمين.

٥ - خطة البحث:

تقتضي الضرورة العلمية لبيان ثقافة الحوار في الإسلام تقسيم الموضوع إلى بابين رئيسيين يتناول الأول مفهوم الحوار وأهميته، وأقسمه إلى فصلين مستقلين يعالج الأول مفهوم الحوار بما يتضمن من معان لغوية ومصطلحية وتحديد الفرق بينه وبين المصطلحات المتقاربة كالجدل والمناظرة والمراء، وفي الفصل الثاني أتصدى لأهمية الحوار سواء في مجال الدعوة، أو التربية، أو الثقافة. أما في الباب الثاني فأتناول أسس الحوار وأنواعه، وأقسمه إلى فصلين مستقلين، يبيّن الأول الأسس التنظيمية، والمنطقية، والشرعية، والأخلاقية للحوار، أما في الفصل الثاني فأحلل بنحو موجز أنواع الحوار، وآراها نوعين الأول علاجي أردّ فيه على دعاوى وخطابات أعداء الإسلام، والثاني

وقائي يتناول قضايا الحاضر والمستقبل كي يبيِّن موقف الإسلام أمام العالم من القضايا الكبرى المعاصرة. واختتم البحث بأهم الاستنتاجات التي ستأوصل إليها بإذن الله تعالي، كما أعرض الاقتراحات التي أرى ضرورة إعمالها تعزيزاً للحوار الإسلامي مع الذات ومع الغير ومن الله السداد والرشاد وإليه حسن المعاد.

الباحث



الباب الأول

مفهوم الحوار وأهميته



الباب الأول
مفهوم الحوار وأهميته

تقتضي الضرورة العلمية لفهم طبيعة الحوار بيان مفهومه، وأهميته، على التوالي، وسأتناول هذين الموضوعين في فصلين مستقلين.

الفصل الأول
مفهوم الحوار

يتطلب معرفة مفهوم الحوار معرفة معمقة تتناول معانيه اللغوية والمصطلحية، كما تتطلب بيان الفرق بينه وبين المصطلحات المتقاربة، وأخيراً فإن الضرورة العلمية والعملية تتطلب بيان أصل الخلاف والاختلاف بين البشر، وسأتناول هذه الموضوعات في ثلاثة فروع رئيسية.

الفرع الأول
المعاني اللغوية والمصطلحية للحوار

البحث الاول: التحليل اللغوي والمصطلحي

سأتطرق في هذا البحث إلى تحليل ابن منظور، كما أتطرق إلى ما ورد في معجم فلسفي معاصر بشأن هذا الموضوع وذلك في مطلبين مستقلين.

المطلب الأول: تحليل ابن منظور

يُؤصل ابن منظور (توفي ٧١١هـ) لفظ الحوار تأصيلا لغوياً ومصطلحياً، كما يلي:

حور: الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء وعنه حوراً ومحاراً ومحارَة وحؤوراً: رجع عنه واليه؛ ومنه حديث بعض السلف: لو عيَّتُ بالرّضع لخشيت ان يحُور بي داؤه أي يكون عليّ مرْجعه. وكل شيء تغير من حال إلى حال.

وكلمته فما رَجَع إليَّ حواراً وجواراً ومُحاورَة وحَويراً ومَحْورة، بضم الحاء، بوزن مشورَة أي جواباً. وأحار عليه جوابه: ردّه. وأحرتّ له جواباً وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة الحويرْ، تقول: سمعت حَويرَهما وحوارَهما. والمحْاورة: المجاوبة. والتَّحاورُ: التجاوب؛ ونقول: كلّمته فما أحار إليَّ جواباً وما رجع إليّ حَويراً ولا حويرَة ولا مَحورَة ولا حواراً أي ما ردَّ جواباً. واستحاره أي استنطقه. وفي حديث علي - كرم الله وجهه: يرجع اليكما ابناكما بحَوْر ما بَعَثْتُما به أي بجواب ذاك ايقال: كلّمته فما ردّ إليَّ حَوْراً أي جواباً؛ وقيل: أراد

به الخيبة والاخفاق. وأصل الحَوْر: الرجوع إلى النقص؛

وهم يتَحاورُون أي يتراجعون الكلام، والُمحاورَة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره. والَمحُورَة: من الُمحاورة مصدر كالمشُورَة من الُمشاورَة كالَمحْوَرَة؛ وما جاءتني عنه مَحُورة أي ما رجع إليّ عنه خبر. وانه لضعيف الحَوْر أي الُمحاورة؛ وقوله:

وأصقَرَ مضْبُوح نَظَرتُ حواره على النَّار، واستَودعْتُه كفْ مُجْمد.

ويروى: حَويرَه، إنما يعني بحواره وحويره خروج القدح من النار أي نظرت الفَلَح والفَوْزَ. واستحار الدار: اسْتنطَقَها، من الحوَار الذي هو الرجوع؛ عن ابن الأعرابي. أبو عمرو: الأحْوَرُ العقل، وما يعيش فلان بأحْوَرَأي ما يعيش بعقل يرجع اليه[1].

المطلب الثاني: تحليل المعجم الفلسفي:

يذهب المعجم الفلسفي في تحليل لفظ حوار Dialogue إلى أن: حاوره محاورة وحواراً جادله، والمحاورة: المجاوبة، أو مراجعة النطق والكلام في المخاطبة. والتحاور التجاوب[2]. لذلك كان لابد في الحوار من وجود متكلم ومخاطب، ولابد فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته. وغاية الحوار توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم، لا الاقتصار على عرض الأفكار القديمة، وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني، واغناء للمفاهيم، يفضيان إلى تقدم الفكر، وإذا كان الحوار

---

(١) ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري - ٦٧٠ - ٧١١هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١م لسان العرب المجلد الرابع، طبعة جديدة محققة، بيروت دار صادر ٢٠٠٠ ص ٢٦٤

(٢) يلاحظ ان هذا تفسير ابن منظور كما تم بيانه.

تجاوباً بين الأضداد، كالمجرد والمشخص، والمعقول والمحسوس، والحب والواجب، سميّ جدالا[١].

المطلب الثالث: مصطلح الحوار في القرآن الكريم

اللافت للنظر ان القرآن الكريم لم يذكر لفظ الحوار إلا في سورتين وفي ثلاث آيات فقط هي:

أ - ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ (الكهف: ٣٤).

ب - ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ (الكهف: ٣٧).

ج - ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١).

ويذهب القرطبي (توفيّ ٦٧١هـ) إلى تفسيره للآية إلى ان المحاورة هي المجادلة، والتحاور هو التجاوب[٢]. أما التي تجادل في زوجها فهي خولة بنت ثعلبة وهي تشكو زوجها (أوس بن الصامت) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد رأها زوجها وهي ساجدة فنظر عجيزتها فأعجبه أمرها فلما انصرفت أرادها فأبت فغضب عليها فقال لها: «أنت عليّ كظهر أميّ، فسألت النبي فقال لها: حرّمت عليه، فقالت: والله ما ذكر طلاقاً، ثم قالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي،

(١) د. جميل صاليبا: المعجم الفلسفي، ج١، بيروت دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص ٥١

(٢) القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لاحكام القرآن، ج١٠، ط٢، مراجعة وضبط د. محمد إبراهيم الحفناوي، القاهرة دار الحديث ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م ص ٤١٢، وجدير بالذكر ان تفسير معنى المحاور والتحاور هو تفسير اخذ به ابن منظور كما تم بيانه.

وفراق زوجي وابن عمي، وقد نفضت له بطني فقال: «حرّمت عليه»، فما زالت تراجعه حتى نزلت هذه الآية. ويذهب الحافظ القرطبي: قُرئ «تحاورك» (وهي قراءة ابن مسعود) أي تراجعك الكلام و«تجادلك» أي تسائلك[1].

الفرع الثاني

الفرق بين الحوار والمصطلحات المتقاربة

ثمة ألفاظ استخدمت بدلا عن الحوار، وبعضها قد يكون نقيضاً له، بينما التطور الدلالي للغة العربية قد جعل بعض الألفاظ تأخذ معنى مغايراً، وفي ضوء هذه الحقائق سأتناول في هذا الفرع ألفاظاً أو مصطلحات الجدل والجدال، والمناظرة، والمراء، وذلك لتحديد المعاني العلمية لكل منها، كي أتعمق في موضوع الحوار، وأحاول التمييز بينه وبين مصطلحات متقاربة يؤدي بعضه إلى معناه الدقيق كما يؤدي بعضه الآخر إلى معان اخرى مغايرة.

المبحث الاول: الجدل:

سأتطرق في هذا المبحث إلى الجدل لدى كل من ابن منظور، والقرآن الكريم، والتراث الإسلامي، وأخيراً في الموسوعات والمعاجم العربية المعاصرة، وذلك في أربعة مطالب مستقلة.

المطلب الأول: الجدل لدى ابن منظور

يحلّل ابن منظور (توفي ٧١١هـ) لفظ الجدل والجدال تحليلاً لغوياً ومصطلحياً، كما يلي:

---

(١) القرطبي، المرجع السابق، ج١٧، ص٢٥٨

الجدل: اللّددُ في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالا، ورجل جَدل ومجدل ومجْدال: شديد الجَدل، ويقال: جادلْت الرجل فجَدلته جَدّلا أي غلبته. ورجل جدَل إذا كان أقوى في الخصام. وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالاً، والاسم الجدَل، وهو شدة الخصومة، وفي الحديث: ما أوتي الجَدَل قومٌ إلا ضلّوا، الجَدل: مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والمراد به في الحديث الجَدلُ على الباطل وطَلَب المغالبة به لا اظهار الحق فإن ذلك محمود لقوله عز وجل: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. ويقال: انه لجدل إذا كان شديد الخصام، وانه لمجدول وقد جادل. وقوله تعالى: ﴿ولا جدال في الحج﴾، قال أبو اسحق: قالوا معناه لا ينبغي للرجل ان يجادل أخاه فيخرجه إلى ما لا ينبغي. والمجْدَل: الجماعة من الناسك قال ابن سيدة: أراه، لأن الغالب عليهم إذا اجتمعوا أن يتجادلوا[1].

المطلب الثاني: الجدل في القرآن الكريم

ورد لفظ الجدل والجدال والأفعال المُشتقة منهما في (٢٨) موضعاً في القرآن الكريم كما يلي:

١ - سورة البقرة: جدال (١٩٧).
٢ - ٣ - سورة النساء: جادلتهم (١٠٩) يجادل (١٠٩).
٤ - ٥ - سورة الأنعام: يجادلونك (٢٥) يجادلوكم(١٢١).
٦ - سورة الأعراف: أتجادلونني (٧١).
٧ - سورة الأنفال: يجادلونك (٦).
٨ - ٩ - ١٠ سورة هود: جدالنا (٣٢) جادلتنا (٣٢) يجادلنا (٣٤).

(١) ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ج٣، ص٩٨ ومابعد ١٠ - ١١

١١ - سورة الرعد: يجادلون (١٣).

١٢ - ١٣ - سورة النحل: تجادل (١١١) جادلهم (١٢٥).

١٤ - ١٥ - سورة الكهف: جدلا (٥٤) يجادل (٥٦).

١٦ - ١٧ - ١٨ سورة الحج: يجادل (٣، ٨) جادلوك (٦٨).

١٩ - سورة العنكبوت: تجادلوا (٤١).

٢٠ - سورة لقمان: يجادل (٢٠).

٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - سورة غافر: يجادل (٤) جادلوا (٥) يجادلون (٣٥، ٥٦، ٦٩).

٢٦ - سورة الشورى: يجادلون (٣٥).

٢٧ - سورة الزخرف: جدلاً (٥٨).

٢٨ - سورة المجادلة: تجادلك (١).

وبتحليل هذا التصنيف، يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن لفظ الجدل ومشتقاته اسماً وفعلاً، ورد في (١٦) سورة من سور القرآن الكريم التي مجموعها (١١٤) سورة وقد ورد اللفظ مرة واحدة في سور: المجادلة والعنكبوت، والأعراف، ولقمان، والرعد والشورى، الأنفال، والزخرف، والبقرة، بينما ورد مرتين في سور: النساء، والنحل، والكهف، والأنعام، وورد ثلاث مرات في سورتي: هود، والحج، إلا أنه ورد خمس مرات في سورة غافر.

المطلب الثالث: الجدل في التراث الفكري الإسلامي:

(أ) جدل: الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمُغالبة، وأصله من جَدَلْت الحبل، أي: أحكمت فتله ومنه الجديل (الأرض) وجدلت البناء: أحكمته، ودرع مجدولة، والمجدّل: القصر المحكم

البناء، ومنه: الجدال: فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. وقيل: الأصل في الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة. قال الله تعالى:

- ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: النحل: ١٢٥.
- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ﴾: غافر: ٣٥.
- ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا﴾: الحج: ٦٨.
- ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾: هود: ٣٢.
- ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾: الزخرف: ٥٨.
- ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾: الكهف: ٥٤.
- ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾: الرعد: ١٣.
- ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: هود: ٧٤.
- ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾: غافر: ٥.
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾: الحج: ٣.
- ﴿وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: البقرة: ١٩٧.
- ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾: هود: ٣٢[١]

(ب) الجدل: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو بشبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة[٢].

---

(١) الراغب الأصفهاني (توفي ٥٠٢هـ) مفردات ألفاظ القرآن تحقيق صفوان عدنان داوودي، مؤسسة الفقه للطباعة والنشر سبهر - قم (إيران) ١٤٢١هـ ص ١٨٩.

(٢) الجرجاني (علي بن محمد بن علي ٧٤٠ - ٨١٦) كتاب التعريفات، تحقيق د.إبراهيم الأبياري، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م، ص١٠١، ٢٦٦.

(جـ) الجدل: هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره. والنظر قد يتم به وحده[١].

والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أو لا، وإذا علم بفساد كلامه وصحة كلام خصمه فنازعه فهي المكابرة. ومع عدم العلم بكلامه وكلام صاحبه فهي المعاندة[٢].

(د) الجَدَل (في اللغة) = الخصام واللَّجاجة (وعند المنطقيين): هو القياس المؤلف من مُقدمات مشهورة أو مُسلّمة، وصاحب هذا القياس يسمى جَدَلياً ومُجادلاً.

أعني أن الجدل قياس مفيد لتصديق لا يُعتبر فيه الحقيقة وعَدَمُها. مُركّب من مقدمات مشهورة لا يُعتبر فيها اليقين، وإن كانت يقينية، بل تطابق جميع الآراء كحُسن الإحسان إلى الآباء، أو أكثرها كوحدة الإله، أو بعضها المُعين كاستحالة التسلسل من حيث هي كذلك، فإن المشهورات يجوز أن تكون يقينية، بل أولية، لكن بجهتين مختلفتين أو مركبٌ من مقدمات مُسلّمة إما وحدها أو مع المشهورات، وهي - أي المسلمات - قضايا تؤخذ من الخصم مُسلّمة، أو تكون مسلّمة فيما بين الخصوم، فيبني عليها كل واحد منهما الكلام في دفع الآخر، حقاً كانت أو باطلاً، مشهورة كانت أو غير مشهورة... ويمكن أن يقال إن هذا التعريف ليس لمُطلق الجدل، بل للجدل الذي هو من

---

(١) الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (توفي ١٠٩٤هـ = ١٦٨٣م)، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق د.عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م، ص٣٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص٨٤٩.

الصناعات الخمس التي هي من أقسام القياس[(١)].

(هـ) ويُقسّم بعضهم علم الجدل إلى ثلاثة علوم، هي:

أولها - علم النظر، أو الجدل، وهو في أصول الفقه وفق طريقة المتكلمين، وقد صنف في هذا النوع الكثيرون كالدبوسي وكتابه تأسيس النظر، والشيرازي وكتابه المعونة في الجدل.

ثانيها - علم الخلاف، أو الخلافات، أو الخلافيات، وهو في الفقه (الفروع) والمؤلفات فيه لا يحصيها العدّ.

ثالثها - علم آداب البحث والمناظرة، وهو في شروط النظر والجدال وقواعده.[(٢)]

المطلب الرابع: الجدل في الموسوعات والمعاجم العربية المعاصرة:

أ - **الجدل:** هو طريقة في المناقشة والاستدلال وهو عند المناطقة المسلمين قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات[(٣)].

ب - **الجدل كمصطلح فلسفي** يستمد اسمه من الفعل اليوناني الذي يعني (يحاور) وكان معناه في الأصل)فن الحوار)، أو النقاش، أو

(١) التهانوي (محمد علي الفاروقي (توفي حوالي ١١٥٨هـ = ١٧٤٥م) كشاف مصطلحات الفنون، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م ص٣٤٥.

(٢) الشيخ سليم شبعانية: مقدمة لتحقيقه كتاب ابن الوزير: رسالة في آداب البحث والمناظرة، دمشق، دار النعمان للعلوم ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م، ص٢٥.

(٣) مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، ص٥٩ وما بعدها.

الجدال [١].

جـ - الجدل في اللغة العربية: شدة الخصومة، وقوة القدرة عليها، لكأن الجدل هو قدرة الجدل أي إحكام فتل الشيء. وفي مستوى المعرفة مقابلة الحجة بالحجة، لذلك تتضمن المناظرة بوصفها عملية مجادلة مستوى من الخصومة والنزاع والعنف من أجل التوصل إلى الأحكام، فالأحكام طريق الحكمة التي لا تتحمل تخييلات المتشابهات وشبهتها لذلك تميّز اللغة العربية بين جدل حقيقي يسعى لإظهار الحقيقة وجدل زائف يطلب المغالبة والباطل [٢].

د - الجدل: هو في اللغة العربية الخصام واللجاجة وفي اللغة الفلسفية فن البرهان [٣]. والجدل المموه هو ضرب خادع من الاستدلال الغاية منه التفوق على الخصم [٤].

هـ - جدل جدلا اشتدت خصومته، وجادله مجادلة وجدالاً ناقشه وخاصمه. والجدل في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من مقدمات مشهورة، أو مسلّمة، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، فإن كان الجدلي سائلاً معترضاً، كان الغرض من الجدل إلزام الخصم وإسكاته، وان كان مجيباً حافظاً

---

(١) مجموعة من المؤلفين: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وزميليه، بيروت: دار القلم (د.ت) ص١٦٢.

(٢) د. محمد زايد: جدل: مادة في الموسوعة الفلسفية العربية، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٨ ص٣١٨.

(٣) د. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ط٣، القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٩ ص١٤٢ وهذا التعريف التهانوي كما مر بيانه.

(٤) المرجع السابق، ص١٤٤.

للرأي، كان الغرض من الجدل إلزام الخصم وإسكاته، وإن كان مجيباً حافظاً للرأي، كان الغرض منه أن لا يصير ملزماً من الخصم.

والجدل في الأصل فن الحوار والمناقشة. قال بعضهم: «الجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب»، والغرض منه الارتقاء من تصور إلى تصور، ومن قول إلى قول، للوصول إلى أعم التصورات وأعلى المبادئ. وهذا الذي ذهب اليه بعضهم فزعم ان العلم لا يعلّم؛ ولا يدون في الكتب، بل يكشف بطريق الحوار، فلا يمكنك ان تلزم الخصم بنتيجة القياس، إلا إذا استخرجتها من مبدأ مسلم به عنده، ولا يمكنك ان تخطو خطوة واحدة إلى الامام من دون ان تتيقن ان الخصم يتبعك. على ان الوصول إلى الحقيقة لا يقتضي اتباع طريقة الحوار دائماً، لأنك تصل إليها بتعريف المعاني الكلية وتصنيفها، مثال ذلك ان الجمال هو المعنى الكلي المحيط بالأشياء الجميلة، وأن العدل هو المعنى الكلي المحيط بالأشياء العادلة. ويطلق الجدل في أيامنا هذه على المعاني الآتية:

١ - الجدل هو طريقة الفكر الذي يعرف ذاته، ويعبر عن موقفه بتأليف حكم مركب جامع بين الأحكام المتناقضة.
٢ - الجدل هو طريقة الفكر الذي يوجه حركته إلى جهات متعارضة تؤثر فيه تأثيراً متقابلا يفضي في النهاية إلى تقدمه، كجدل الحدس والقياس، والحب والواجب، والعبد والسيد.
٣ - الجدل هو موقف الفكر الذي يقرر أن حكمه على الأشياء لا يمكن أن يكون نهائياً، وأن هناك باباً مفتوحاً إعادة النظر فيها دائماً.
٤ - الجدل هو اتصاف الفكر بالحركة، وميله إلى مجاوزة ذاته، على ان تكون طريقته في تفهم كل شيء إرجاعه إلى المحل الذي يشغله

في تيار الوجود المتحرك.

والمحمولات الجدلية أربعة: التعريف، والجنس، والخاصة، والعرض. والقياس الجدلي ضد القياس اليقيني، واللحظة الجدلية هي الانتقال من حد إلى آخر مناقض له، أو هي انطلاق الفكر، بتأثير حاجته، إلى مجاوزة التناقض. والجدلي أخيراً هو الحركي أو التقدمي، أو التطوري[١].

و - الجدل لغة يطلق على معان أهمها:

١ - الصرع والغلبة، تقول: جدل الرجل، أي صرعه، وغلبه في الجدل.

٢ - الإتقان والحسن، تقول: جدل الحبل جدْلا، أي أحكم فتله وأتقن، وجارية مجدولة الخلْق، أي حسنته.

٣ - شدة الخصومة والمناقشة، تقول: جادله مجادلة وجدالا: ناقشه، وخاصمه، ومنه قوله سبحانه في التنزيل: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥). ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١).

٤ - مقابل الحجة بالحجة، تقول: جادل فلان فلاناً: قابل حجته بحجة من عنده[٢]. ولا تعارض بين هذه المعاني جميعاً، فإن إتقان

---

(١) د. جميل صليبا، مرجع سبق ذكره، ص٣٩١ وما بعدها.

(٢) ابن منظور: مرجع سبق ذكره، ج١ ص ٥٦٩ وما بعدها.

وحسن الخصومة والمناقشة ينتهي إلى الصرع والغلبة غالباً[١].

عرّف الامام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين الجدل بقوله: «قصد إقحام الغير، وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه، وهو غالباً ما يكون في المسائل العلمية، اما المراء فهو عام في المسائل العلمية وغيرها[٢]. وهذا لايمنع أن هناك نوعاً من الجدل محمود، وهو ماكان دعوة إلى حق أو إيضاحاً وبياناً ودفاعاً عن حق [٣] وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥). ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل: ١١١). ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود: ٧٤).

المبحث الثاني

المناظرة

سأتناول مفهوم المناظرة من زاوية معانيها اللغوية والمصطلحية من جهة، ووضعها في التراث الاسلامي من جهة ثانية، ووضعها في الألفاظ العربية المتداولة من جهة ثالثة، وسيتم مجموع هذا التناول في ثلاثة مطالب مستقلة:

---

(١) د. سيد محمد نوح، آفات في الطريق، ج٤، ط٤، القاهرة: دار الوفاء ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، ص ٩

(٢) الغزالي (ابو حامد محمد بن محمد الغزالي - توفي ٥٠٥هـ) احياء علوم الدين، الجزء الثالث، تحقيق. د. عبدالله الخالدي، بيروت - دار الارقم، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م ص١١٤

المطلب الأول - المناظرة لدى ابن منظور

ذهب ابن منظور (توفي ٧١١هـ) إلى تحليل لفظ المناظرة تحليلاً لغوياً ومصطلحياً كما يلي :

تناظرت النخلتان : نظرت الأنثى منهما إلى الفُحّال فلم ينفعها تلقيح حتى تُلْقح منه ؛ قال ابن سيدة : حكى ذلك أبو حنيفة .

ونظيرك : الذي يراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة . والنظير : المِثْل، وقيل : المثل في كل شيء . و فلان نظيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء .

والمناظرة : أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه .

والمنظَرُ والمنظرة : ما نظرت إليه فأعجبك أو أساءك . ويقال : إنه لذو مَنْظرة بلا مَخْبَرة . والمنظر : الشيء الذي يعجب الناظر إذا نظر إليه[1]

المطلب الثاني: المناظرة في التراث الفكري الإسلامي

أ- المناظرة : لغة : من النظير ، أو من النظر بالبصيرة واصطلاحاً : هي النظر بالبصيرة من ا لجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب[2] .

ب- المناظرة هي النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب ، وقد يكون مع نفسه[3] .

---

(٣) ابن منظور، مرجع سبق ذكره، المجلد ١٤، ص ٢٩٢ - ٢٩٣

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص ٢٩٨

(٣) الكفوي: الكليات، ص ٨٤٩

جـ - منهج المجادلة أو المناظرة: مجموع طرق المناقشة الشفهية أو الخطية التي يتبعها الخصمان في منازعتهما، وهي ضرورية للتفريق بين الحجج الصادقة والحجج الكاذبة، لأن المتناظرين على غير طريقة تكون بينهما، أما إذا اختلفا في شيء، فهما كالسائر على غير هدى، لايعرف المحجة فيسلكها، ولا الموضوع الذي يريده فيقصده[١].

د- شروط المناظرة:

يذهب الإمام الغزالي (توفي ٥٠٥هـ) إلى أن التعاون على طلب الحق من الدين، وله شروط وعلامات ثماني، هي:

الأول: أن لا يشتغل به - وهو من فروض الكفايات - من لم يفرغ من فروض الأعيان.

الثاني: أن لايرى فرض كفاية أهم من المناظرة، فإن رأى ما هو أهم منها (وفعل غيره) عصى بفعله.

الثالث: أن يكون المناظر مجتهداً، يفتي برأيه (لا بمذهب الشافعي وأبو حنيفة وغيرهما حتي إذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي، وأفتى بما ظهر له)، كما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد، وإنما يفتي (فيما يسأل عنه) ناقلاً عن مذهب صاحبه، بحيث لا يتركه، ولو ظهر له ضعفه، فأي فائدة له في المناظرة، (ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره).

---

(١) كتاب الحيدة، ص ٢٤، نقلا عن د. جميل صليبا :المعجم الفلسفي، ج٢، بيروت دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م ص٣٤١

الرابع : أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة ، أو قريبة الوقوع غالباً .

الخامس : أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل خوفاً من تحريك دواعي الرياء .

السادس : أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ، يشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق - كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته ، فينبه صاحبه على ضالته في طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ، وكان يكرمه ويفرح به ، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ، ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس ، فقال : «أصابت امرأة وأخطأ رجل» .

ورد رجل على علي رضي الله عنه فقال : «أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم» .

السابع : أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ، من إشكال إلى إشكال ، فهكذا كانت مناظرات السلف .

الثامن : أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم[1] .

وقد اختلف الإمام الشافعي (توفي ٢٠٤هـ=٢٢٠م) مع إسحاق ابن راهويه (١٦١-٢٣٨هـ) في طهارة جلد الميتة بعد دبغه فتناظرا فاقتنع الشافعي برأي ابن راهويه ، واقتنع ابن راهويه برأي الشافعي ، فخرجا

(١) الإمام الغزالي، مرجع سبق ذكره، ج١،ص٦٥. وأنصح الداعية إلى العودة إلى هذا المرجع للاطلاع على شرح هذه الشروط.

كل واحد منهما يدافع عن رأي صاحبه.[١]

ويشرح ابن خلدون (توفي ٨٠٨هـ = ١٤٠٦م) آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، قائلاً:

لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوماً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت، ولخصمه الكلام، ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره. وهي طريقتان: طريقة البزودي[٢] وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال.

وطريقة العميدي، وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان وأكثره استدلال، وهو من المناحي الحسنة، والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة، وإذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي، إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة، مراعاة تتحرى فيها طرق الاستدلال، كما ينبغي. والعميدي أول من

(١) عبدالله بن محمد المعتاز: زاد الشباب في العلم والآداب، الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م، ص١٠٣.

(٢) هو فخر الإسلام البزودي: علي بن محمد، الفقيه الحنفي، الأصولي البارع، يكنى بأبي الحسن، ولد ٤٠٠هـ وتوفي ٤٨٢هـ انظر الفتح المبين، ج٣، ص٢٦٣.

كتب فيها ونسبت إليه، ووضع الكتاب المسمى بالإرشاد مختصراً، وتبعه من المتأخرين كالنسفي وغيره، جاءوا على أثره، وسلكوا مسلكه، وكثرت في الطريقة التآليف[١].

حكاية: اجتمع متكلمان فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ فقال على شرائط: أن لا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا يجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا إذا جوزت إلى تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تؤثر التصادق وتنقاد للتعارف وعلى أن كلاً منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته[٢]. وبين الإمام الغزالي آفات المناظرة المذمومة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق، فقال: إن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام، وقصد المباهاة والمماراة، واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبروالعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة، ومن غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة، وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس، إن مجامع ما تهيجه المناظرة منها الحسد والتكبر، والحقد، والغيبة، وتزكية النفس، والتجسس، والفرح لمساءة الناس، والنفاق، والاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة

---

(١) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد – توفي ٨٠٨هـ=١٤٠٦م) المقدمة، تحقيق د. علي عبدالوهاب وافي، القاهرة: لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ=١٩٥٨م، ص٤٥٧ وما بعدها.

(٢) الراغب الأصفهاني: (أبو القاسم حسين بن محمد – توفي ٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، قم (إيران) ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ص٧٨.

فيه، والرياء[١].

المطلب الثالث - الألفاظ العربية المتداولة

المناظرة والمحاورة والمقاولة والمجادلة والمناقلة والمفاضلة. أفاضوا في الحديث وخاضوا. وقد فاوضه وخاوضه[٢] وناظره. تجادل القوم وتساجلوا وتناوشوا وتهارشوا وتهاوشوا وتذابحوا على كذا، كقولك تقاتلوا وناضلوا، ومنه: «إذا انتضل القوم الأحاديث» وتعاوروا الكلام وتنازعوا وتنافروا.

يتعارضون إذا التقوا في مجلس نظراً يزيل مواقع الأقدام ارتمينا فكان الكلام دولاً بيننا أي جعلنا نتبادله. استعر بينهم التنافر التناظر، وبينهم مفاوضة ومعارضة ومقارضة ومناقضة ومدافة[٣] ومحاقة[٤]. وتقول في وصف جدل: هو جدل مماحك مواعك[٥] مداعك[٦] واقف القروم[٧] وقرع الخصوم. هو ألد الخصام[٨]. وأشد الكرام. الخصم الألد والجدل الأشد. قوي الحجة واضح المحجة[٩] يفحم من جادله ويغلب من نازله.

---

(١) في الشرح: انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين، ج١ ص٦٩-٧٤.
(٢) أي خاض معه في حديث مرة بعد مرة.
(٣) من تداف القوم إذا تزاحموا.
(٤) من يحق الشيء إذا أبطله.
(٥) من وعك الشيء بالشيء إذا معكه وخلطه.
(٦) من وعك الخصم إذا لينه وذلله.
(٧) واحدها القرم وهو السيد المعظم.
(٨) من الآية (٢٠٤) من سورة البقرة (ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام).
(٩) أي الطريق المستقيم.

هو مقْول نَقْل أي حاضر الجواب، لقن لحن ذلق مسحل [١]، لزاز خصومة [٢]، أعوص بالخصم. وملك الحصيل [٣] في المناظرة ألوى يشبه الحق باطله، أي يصور الباطل في صور الحق. خصيم مجنف أي ظالم. يهضم من خاصمه ويغلب من كالمه. شديد الزحام باللسان وباليد، أي يحاول ويلاطم. له لسان غير ملتبس وقلب غير مزؤود [٤]. أتي بحجة متقنة تفلق الصخور الجاسية [٥] وتعطف القلوب القاسية. قال الشاعر:

من النفر المدلين في كل حجة   بمستحصد من جولة الرأي محكم

إن خاصم خصم، وإن حاكم حكم، وإن نافر نفر، وإن قامر قمر، وإن ماصع [٦] مصع، وإن قارع قرع، ملدد بالخصام واللدد ألد مداعس [٧] وشكس ممارس. عدوه مقهور وطالبه مأسور سلقهم بلسانه الحديد وبيانه المريد [٨].

أثبت قوله بدليل وعضد دعواه بكفيل. قال الشاعر الجاهلي سالم بن وابصة:

إذا الرجال على أمثالهم زلقوا   فما زلقت ولا أبليت فاحشة

هو أوضح بياناً وأوضح برهاناً. يفتح منغلق الحجة ويسد على

(١) المسحل: اللسان.
(٢) لزاز خصومة ولزاز شر أي يلتزم بالخصومة.
(٣) حصيل الشيء ما جمع من ثماره ونحوها.
(٤) أي غير مذعور
(٥) أي القاسية الخشنة.
(٦) أي جالد قرنه بالسيف ونحوه.
(٧) الدعس: الأثر، والدعسة الطاغية.
(٨س) أي الشديد العتو.

الخصم واضح المحجة[١]. لقي وجه الصواب ولقن فصل الخطاب. أيد بالإصابة واعين على الخطابة. يصيب الشاكلة[٢] ويطبق المفصل[٣].

قال دريد بن الصمة:

متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

لاينفك كلامه من حجة بارعة أو شبة رائعة. أفحمه حجتي وألقمه بياني وأسكنه برهاني وألجمه مقالي وضيق مجاله مجالي. كم من سليط أفحمته وبسيط أعجبته، ألجمته بعد التدافع في الخصومة. ضاع في عجاجه وعكم[٤] بحجاجه. أسقط في يديه ونكص علي عقبيه[٥]. أين كان مطرنا عن ناره أي ما عجزنا عنه. أطفأ وابكي ناره وأخمد مطري أواره.

طعنت بالحجة الغراء ثغرته ورمح غيرك فيه العي والخطل
فرميت القوم رشقاً صائباً ليس بالعصل ولا بالمفتعل[٦]

ذكر حجة تسهل بها العصم[٧] وتخرج لها الرقم[٨]. لم يحتج إلا بالصدق ولم يطلب الفلج[٩] إلا بالحق. حجة لايهتدي تاركها ومحجة لا يضل سالكها. أتى بحجاج كراج[١٠]. ذكر حجة منحته

(١) المحجة: الطريق.

(٢) اي الخاصرة او الجزء البادي بين العذار والأذن.

(٣) الاصابة في المفصل بين العظام (ضربة مؤذية جدا).

(٤)اي هزم

(٥) تخاذ ل ورجع عن خطته (وهو من التعابير القرانية)

(٦) الرشق: الشوط من الرمي او مايرمى به العصل: جمع اعصل وعصلاء وهي السهم العوجاء الصلبة، المفتعل: المتكلف.

(٧) تسهل: تنزل الى السهول: العصم: الوعول.

(٨) جمع ارقم وهو ذكر الحيات او اخبثها.

(٩) القناة التي تروي البساتين.

(١٠) من كرج وتكرج الشيء اذا فسد، فهو حجاج فاسد.

إبطها[١]. حجة لي مستراح[٢] في ردها عليك وعكسها إليك. أزحت عليته وأدحضت حجته وأبطلت دليله. فلان كعيم عن الحجة مفحم[٣] عنها. وتقول: أتى بحجة ملجلجة[٤] وكلمة مجمجمة[٥].

وقال ابن شبرمة[٦] لرجل: «أنت والله حجة خصمك وسلاح عدوك وفريسة قرنك ونقصان في شهود أهلك. قال زهير بن أبي سلمى:

وذي خطل في الرأي يحسب أنه لما مصيب فما يلملم به فهو قائله

توجهت إليك الحجة كابرت ولما وضح الحق عليك ضجرت او تضاجرت. هو اللجوج المماحك والخصم المداعك. فرط في الحجاج وأفرط في اللجاج. قال المأمون[٧]: «اذا وضحت الحجة ثقل علي سماع المنازعة فيها».

هذا لجاج لا احتجاج. دعوى بلا برهان وانتحال بلا بيان. عند عن السبيل وجحد واضح الدليل. متى ضويق في المحجة عدل عن الحجة، وترك حر الجدال إلى حر القتال. «سلقوكم بالسنة حداد»[٨] قال الشريف الرضي:

---

(١) اي حجة واهية.

(٢)مصدر ميمي بمعنى الراحة.

(٣) كعيم من كعم البعير إذا شد فاه بلجام.

(٤) اي مضطربة.

(٥) اي غير واضحة في مبناها ومعناها.

(٦) هو عبدالله بن شبرمة الضبي، ولاء المنصور قضاء الكوفة، كان فقيهاً عالماً وراوية شاعراً وخطيباً ناسباً توفي عام ١٤٤هـ.(البيان والتبيين ١-٣٣٦).

(٧) الخليفة العباسي (١٩٨-٢١٨هـ) اشتهر بتشجيع العلم والادب والفكير.

(٨)من الآية ١٩ من سورة الاحزاب ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ والسلق: بسط بقهر باللسان او باليد (المفردات للجرجاني).

يسومني الخصام، وليس طبعي   وما من عادة الخيل الرغاء

وتقول في كبير يتعاظم عن مناظرة دنيء:

ويمر بين الغانيات الجهل   الصقر يجفو عن طراد الدخل

وتقول في الرجوع الى الحق: الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل. ونحوه:

رجوع الفتى بالحق أحسن في النهى   وأولى به من أن يلج بباطل.

وأحسن بمثلي أن يراجع ارشده   بترك لجاج أو ممارة جاهل

المبطل مخصوم وإن غلب والحق فالج وإن غلب. الحق أبلج وسيم والباطل أدهم[1] بهيم. نصرة الجاهل جهل آخر والتمادي في الباطل عي منكر. وإذا استمهلته في كلام: أبلعه ريقه وأسغه عصته ونفس عنه كربته وأقله عثرته. وتقول في وصف مقام الكلام: منابر الخطباء ومقامات الشعراء ومجالس الفقهاء ومقرأة القراء ومدرسة العلماء ومجمع الأشهاد ومجامع القصاص وحلق أهل الذكر ومهبط الوحي ومعدن التلاوة. في مجمع من نواصي الناس مشهود. وسئل أعرابي عن مجلس متناظرين فقال:

«أول مجلسهم انتطاح وآخره اصطلاح». قال زهير بن ابي سلمى:

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم   مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل

وقال أيضاً:

وفيهم مقامات حسان وجوههم   وأندية ينتابها القول والفعل[2]

---

(١) اي اسود

(٢) الراغب الاصفهاني(ابو القاسم الحسين بن مفضل بن محمد- توفي (٥٠٢هـ) مجمع البلاغة ج١، تحقيق د.عمر عبدالرحمن السارسي، عمان، مكتبة الاقصى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص١٣٥ومابعدها. ملاحظة: تفسير الكلمات في الهوامش من وضع المحقق، جزاه الله خير الجزاء.

المطلب الرابع- المصطلح المعاصر الأرجح

قمنا معاً في جولة في ربوع مصطلحات الجدل والحوار، والمناظرة، واتضح لنا مايلي:

١- أن القرآن الكريم ساوى بين مصطلحي الجدل والحوار في المعنى وذلك بدليلين:

أ- الجدل الذي تم بين صاحبي البستانين في سورة الكهف والذي جاء بلفظ المحاورة. (الكهف: ٣٤, ٣٧).

ب- الجدل الذي قامت به الزوجة التي تشكو زوجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة المجادلة فهي تجادل والله يسمع حوارهما (المجادلة: ١).

٢- أن الشيخ محمد حسين فضل الله بعد أن خاض بهذه المصطلحات انتهى إلى مساواة مصطلحي الجدل والحوار (٢).

٣- ثمة من ساوى بين المحاورة والمناظرة وربما سبب مساواته للمصطلحين تكليفه بتدريس مساق (أصول الحوار والمناظرة) في جامعة محمد بن سعود الاسلامية(٣). ولم يلتزم الدكتور علي جريشة بذلك فقد تكلم عن الحوار المحمود والمذموم ثم أوضح قواعد المناظرة وأخيراً بين نماذج من الحوار (١).

٤- أخذت الكتب المعاصرة تميل إلى استخدام مصطلح الحوار(٢).

---

(٢)محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن الكريم، بيروت دار التعارف،١٤٠٧هـ-١٩٨٧مص١٥.

(٣) د. علي جريشة: ادب الحوار والمناظرة، ط٢, ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(١) المرجع السابق، ص ١٩, ١٣٦٠٦٣.

(٢)من ذلك على سبيل المثال: =

٥- يميل كاتب هذه السطور إلى استخدام مصطلح «الحوار» نظراً للتلوث الذي أصاب الدلالة الاجتماعية لمصطلح الجدل.

المبحث الثالث

المـــراء

سأتطرق إلى المراء كرذيلة أخلاقية بصفته الأصيلة، ثم أتكلم عن تحليله تحليلاً لغوياً ومصطلحياً، كما أتصدى إلى المراء في التراث الإسلامي، وأخيراً يكون البحث عن هذه الرذيلة لدى الكتاب المسلمين المعاصرين. وسأتناول كل ذلك في أربعة مطالب مستقلة:

المطلب الأول- ما المراء؟ المراء طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير[١]، وحد الرياء: إظهار خصلة من الخصال التي يعتقد الحاضرون فيها أنها من الخصال الفاضلة لغرض أن يعتقدوا فيه كونه موصوفاً لتلك الفضيلة مع كونه- في نفسه- عارياً عنها[٢].

= -د.تيسير محجوب الغدياني: الحوار في السنة عمان مركز الكتاب الاكاديمي.
- د.طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور؟ عمان دار البيت العتيق ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- د.عبدالعزيز الخياط: ادب الحوار، عمان وزارة الشباب ١٩٩٥م.
- محمد ديماس: فنون الحوار والاقناع ببيروت دار ابن حزم ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- صالح بن عبدالله بن حميد: اصول الحوار وآدابه في الاسلام، جدة-مكة، دار المنارة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- الندوة العالمية للشباب في اصول الحوار، القاهرة دار التوزيع والنشر الاسلامية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(١) الجرجاني، التعريفات، ص٢٦٦.

(٢) الرازي (فخري الدين محمد بن عمر-توفي ٦٠٦هـ-١٢٠٩م) كتاب النفس والروح، تحقيق محمد صغير حسن الموصوصي، معهد الابحاث الاسلامي- اسلام اباد، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م ص١٥٩.

المطلب الثاني: المراء لغة ومصطلحاً:

يطلق المراء في لغة العرب على معان عدة أهمها:

أ- الشك، تقول: امترى في الشيء: تعني شك فيه، ومنه قوله سبحانه في التنزيل:

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(البقرة: ١٤٧).

ب - مخالفة الغير والتَّلوِّي عليه أو عدم الوضوح معه، تقول: مارأ فلان فلاناً، أي خالفه وتلوَّى عليه، أو لم يكن واضحاً معه.

جـ - المناظرة والجدل، تقول: مارى فلان فلاناً، أي ناظره وجادله، ومنه قوله سبحانه: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ (الكهف: ٢٢).

د - استخراج الشيء من مكمنه، تقول: امترى الشيء، أي استخرجه من مكمنه، وامترى الناقة، أي حلبها واستخرج اللبن من ضرعها.

هـ - التزّين والتجمل، تقول: تمرَّ بالشيء، أي تجمل وتزين[١].

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعاً، فإن المناظرة أو المجادلة قد تكون في ظاهرها قائمة على التجمل والتزيّن، ولكنها في باطنها تقوم على أساس استخراج ما عند الغير ومخالفته، بل والشك فيما يصدر عنه[٢].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٦/ ٤١٨٨ - ٤١٩١، مادة: «مرا بتصرف كثير»، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٠٠، ٩٠١.

(٢) د. سيد محمد نوح: مرجع سبق ذكره، ص ٩.

المطلب الثالث – المراء في القرآن الكريم

إن صور المراء والجدل، ووضعهما في ميزان الإسلام عديدة. أهمها:

١ - الطعن في كلام الغير من حيث اللفظ.

٢ - الطعن في كلام الغير من حيث المعنى.

٣ - الطعن في كلام الغير من حيث القصد.

والمراء أو الجدل على هذا النحو مذمومات، وذلك للنصوص الكثيرة الدالة على هذا، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢).

﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: ١٨).

﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ (النجم: ٥٥).

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (الحجر: ٦٣).

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم: ٣٤).

﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (النجم: ١٢).

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر: ٥).

﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٧).

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١).

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (غافر: ٣٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم ببيت في رياض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسُن خُلقه»[١]، «ما ضلَّ قومٌ بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: ٥٨)[٢]، «أبغض الرجال الألدُّ الخصم»[٣] إلى غير ذلك من النصوص الدالة بصراحة ووضوح على ذمِّ المراء أو الجدل[٤].

المطلب الرابع - المراء في التراث الفكري والإسلامي

أولاً - مذهب الإمام الغزالي: المراء والجدل منهي عنه قال صلى

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق ٤/ ٢٥٣ رقم (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً، وأورده الشيخ ناصر الدين الألباني في: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٧٣)، وعزاه إلى أبي داود، وساق له شاهداً يرتقي به إلى درجة الحسن كما قال.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٥/ ٢٥٢، ٢٥٦، والترمذي في: السنن: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الزخرف ٥/ ٣٥٣ رقم (٣٢٥٣) وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجة في: السنن: المقدمة: باب اجتناب البدع والجدل ١/ ١٩ رقم (٤٨)، كلهم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعاً بهذا اللفظ.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٦/ ٥٥، ٦٣، ٢٠٥ من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بهذا اللفظ.

(٤) انظر: د. سيد محمد نوح، مرجع سبق ذكره، ص ١١ - ١٢ ملاحظة تخريج الحديث من وضع د. نوح جزاه الله خيراً.

الله عليه وسلم: «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه»[١].

وورد: «ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته»[٢].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أول ما عهد إليَّ ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال»[٣] وقال أيضاً: «ما ضل قومٌ بعد أن هداهم الله تعالى إلا أوتوا الجدل»[٤] وورد: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً»[٥].

وقال الزبير لابنه: لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة.

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليه: من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل. وقال مسلم بن يسار: إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته.

وقيل: ما ضل قومٌ بعد إذ هداهم الله إلا أوتوا الجدل.

وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه: ليس هذا الجدال من الدين في شيء. وقال أيضاً: المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن.

وقال لقمان لابنه: يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك، وقال بلال

(١) رواه الترمذي ج ٤/ ٣٥٩ في كتاب البر ورقمه ١٩٩٥ وقال عنه: حسن غريب.
(٢) أخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء وغيره بإسناد ضعيف.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف.
(٤) أخرجه الترمذي في التفسير ج ٥/ ٣٧٨ باب ٤٣ ورقمه ٣٢٥٣. وأحمد ج ٥/ ٢٥٢.
(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا ورواه أحمد بلفظ: «لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في المزاحة والمراء وإن كان صادقاً» ج ٢/ ٣٥٢/ ٣٦٤.

ابن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته.

وقال سفيان: صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينَّك بداهية تمنعك العيش.

وقال ابن أبي ليلى: لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبُهُ.

وقال أبو الدراء: كفي بك إثماً أن لاتزال ممارياً.

وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعلم العلم لثلاث، ولا تتركه لثلاث، لا تتعلمه لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به. ولا تتركه حياء من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل بدلاً منه.

وحدُّ المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم. وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض. فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه.

والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو، أو من جهة اللغة أو من جهة العربية، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير. وذلك يكون تارة من قصور المعرفة، وتارة يكون بطغيان اللسان.

وأما في المعنى: فبأن يقول: ليس كما تقول: وقد أخطأت فيه من من وجه كذا وكذا.

وأما في قصده فمثل أن يقول: هذا الكلام حق، ولكن ليس قصدك منه الحق، وإنما أنت فيه صاحب غرض، وما يجري مجراه،

وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضاً مذموم، بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة، أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن.

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل، والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها.

أما إظهار الفضل: فهو من قبل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء.

وأما علاجه: فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله، فإن علاج كل علة بإماطة سببها. وسبب المراء والجدل ما ذكرناه، ثم المواظبة عليه تجعله عادةً وطبعاً، حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه.

روي أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي: لم آثرت الانزواء؟

قال: لأجاهد نفسي بترك الجدال، فقال: أحضر المجالس واستمع ما يُقال ولا تتكلم، قال: فعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد عليَّ منها. وهو كما قال، لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عند ذلك جداً.

لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد. فإن المراء طبعٌ، فإذا ظن ان له عليه ثواباً اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه، وذلك خطأ محض.

وكل من اعتـاد المجادلة مـدة واثنى الناس عليـه، ووجـد لنفسـه بسببه عزاً وقبولاً قويت فيه هذه المهلكات، ولا يستطيع عنها نزوعاً إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل. وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها؟ [١].

ثانياً – مذهب الإمام ابن تيمية:

وقال الإمام ابن تيمية عليه الرحمة: ان المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداء أخذ يعارضك فيه، لما قام في نفسه من الشبهة، فينبغي اذا كان المناظر مدعياً ان الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده، فإذا انكسر وطلب الحق فأعطه إياه، وإلا فما دام معتقدا نقيض الحق لم يدخل الحق إلى قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل أمحه أولاً، ثم اكتب فيه الحق [٢].

إباحة تعاطي الجدال للعامة الذين لم يتدربوا في تحصيل القوانين، ولم يتهذبوا في سبيل البراهين أمر غير صحيح، فالجدال مكروه للعلماء الألباء فكيف للجهال الأغبياء؟.

وللجدال مع كونه مكروها شرائط وقوانين فمن تعاطاه ولم يكن متدرباً فيها كان خصيماً جدلاً والخصومة عديمة الفائدة قليلة العائدة فإن الجدال مع ما فيه قد يوقظ الفهم ويثير الأنفة لاقتباس العلم، والخصومة لا تثمر إلا العداوة وانكار الحق فلهذا جعلها الله تعالى شراً من الجدال فقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ «الزخرف: ٥٨» وقال: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، «ياسين: ٧٧» أي جيد الخصومة مبين ولم يذكر الخصام

(١) الامام الغزالي: احياء علوم الدين، ج٣، ص ١٤٣ وما بعدها.
(٢) الامام تقي الدين ابن تيمية: جواب أهل الإيمان في تفاضل القرآن، ص ٩١.

في موضع إلا عابه وأيضا فالمتجادلان يجريان مجرى فحلين تعاديا، وكبشين تناطحا ورئيسين تحاربا، وكل واحد منهما يجتهد ان يكون هو الفاعل وصاحبه هو المنفعل وان يكون هو الطابع وصاحبه المنطبع، والقائل كالمؤثر والسامع كالمتأثر ومتى لم يخضع المتأثر لقبول أثر المؤثر لم يتولد منهما خير بوجه وقال حكيم: المجادل المدافع في نفسه عند الخوض في الجدال ألا يقع بشيء، ومن لا يقنعه إلا ان لا يقنع فما إلى اقناعه سبيل ولو اتفق عليه الحكماء بكل بينة بل لو اجتمع الأنبياء بكل معجزة [١].

وإذا ابتليت بمجادل مهاوش ومساجل مناوش قصده اللجاج لا الحجاج ومراده مباهاة العلماء ومماراة السفهاء فحقك ان تفر منه فرارك من الأسود والأساود «الحيات الكبيرة» فإن لم تجد من مزاولته بدأ فقابل انكاره الحق بانكارك الباطل، ودفاعه الصدق بدفاعك الكذب، وتتبلغ معه بذلك، وإياك وان تعرج معه إلى بث الحكمة وان تذكر له شيئا من الحقائق ما لم تتحقق ان له قلبا طاهرا لا تعافه الحكمة وان لكل تربة غرسا ولكل بناء أسا وما كل رأس تستحق التيجان ولا كل طبيعة تستحق افادة البيان.

وإن كان لابد فاقتصر معه على اقناع يبلغه فهمه فقد قيل كما ان لب الثمار معد للأنام فالتبن مباح للأنعام كذلك لب الحكمة معد لذوي الألباب وقشورها مبذولة للأنعام، وكما انه من المحال ان يشم الأخشم ريحانا فمحال ان يفيد الحمار بيانا، واعلم ان سبيل انكار الحجة والسعي

(١) الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل - توفي ٥٠٢هـ)، كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق دابو اليزيد العجمي، القاهرة دار الصحوة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص ٢٥٩.

في افسادها اسهل من سبيل المعارضة بمثلها والمقابلة لها، ولهذا يتحري الجدل الخصيم أبدا بالدفاع لا المعارضة بمثلها وذلك ان الإفساد هدم وهو سهل والإتيان بمثله بناء وهو صعب، فإن الانسان كما يمكنه قتل النفس الزكية وذبح الحيوانات واحراق النبات ولا يقدر على إيجاد شيء منها يمكنه إفساد حجة قوية بضرب من الشبه المزخرفة ولا يمكنه الإتيان بمثلها[(١)].

رابعاً - مذهب الإمام ابن حجر الهيتمي:

الجدال والمراء هو المخاصمة والحجاجة وطلب القهر والغلبة في القرآن أو الدين: اخرجه الطيالسي والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجادلوا في القرآن فإن جدالا فيه كفر»[(٢)].

والحاكم عن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال: «الجدال في القرآن كفر»[(٣)].

وأبو داود والحاكم عنه أيضا: «المراء في القرآن كفر»[(٤)]. والسجزي عن أبي سعيد: «نهى عن الجدال في القرآن»[(٥)]. وفي رواية

---

(١) الراغب الأصفهاني، القاهرة دار الصحوة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص٢٥٩.
(٢) اخرجه أبو داود الطيالسي (ص ٣٠٢/ ٢٢٨٦) وذكره الألباني في صحيح الجامع (٧٢٢٣) وقال: (صحيح) من حديث عبدالله بن عمرو.
(٣) اخرجه الحاكم (٢/ ٢٢٣) من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣١٠٦) وقال (صحيح).
(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٠) وابو داود (٤/ ٤٦٠٣) وذكره الألباني في صحيح الجامع (٦٦٨٧) وقال: (صحيح د - ك).
(٥) اخرجه احمد (٢/ ٢٥٨) وذكره الألباني في صحيح الجامع (٦٨٧٣) من حديث ابي سعيد وعزاه إلى السجزي وقال: (حسن).

له: عن ابن عمر: «دعوا المراء في القرآن فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا في القرآن ان مراء في القرآن كفر»[(١)].

والطبراني وغيره: «لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر»[(٢)].

والديلمي: «لا تجادلوا في القرآن ولا تكذبوا كتاب الله بعضه ببعض فو الله ان المؤمن ليجادل به فيغلب وان المنافق ليجادل به فيغالب»[(٣)].

والطبراني: عن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يتنازعون في القرآن فقال: يا قوم بهذا هلكت الأمم قبلكم من القرون إن القرآن يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض»[(٤)].

والطبراني وفيه من اختلف في توثيقه: عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا عند باب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتذاكر ينزع هذا بآية وينزع هذا بآية فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما ينقع في وجهه حب الرمان فقال: «يا هؤلاء أبهذا بعثتم أم بهذا أمرتم، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[(٥)].

---

(١) ذكره السيوطي في الجوامع (ص ٥٢٤) وعزاه إلى أبي النصر السجزي في الإبانة عن ابن عمر.

(٢) ذكره الهيتمي في المجمع (١/ ١٥٧) من حديث زيد بن ثابت وقال: رواه الطبراني ورجاله موثقون.

(٣) ذكره السيوطي في جمع الجوامع (ص ٨٨١) وعزاه إلى الديلمي من حديث جبير بن نصير.

(٤) ذكره الهيتمي في المجمع «١/ ١٧١» وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه صالح بن ابي الاخضر وهو ممن يكتب الحديث على ضعفه.

(٥) ذكره الهيتمي في المجمع (١/ ١٥٦) من حديث ابي سعيد وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبراز.

وصح: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ «الزخرف: ٥٨» ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا﴾[١].

وروى الشيخان: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[٢]. أي الشديد الخصومة الذي يحج مخاصمه.

وصح عنه صلى الله عليه وسلم: «إن عيسى قال: إنما الأمور ثلاثة أمر تبين لك رشده فأتبعه وأمر تبين لك غيه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فرده إلى عالمه»[٣].

وروى الطبراني ان جماعة من الصحابة قالوا: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين، فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله، ثم انتهرنا فقال: «مهلا يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ذروا المراء لقلة خيره، ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري، ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء فكفى إثماً أن لاتزال ممارياً، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رياضها - أي أسفلها - ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فإن أول ما نهى عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء»[٤]. وقوله بعد عبادة

---

(١) اخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٥٣) والحاكم (٢/ ١١٢) وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وابن ماجة (١/ ٤٨) وذكره الألباني في صحيح ابن ماجة وقال: (حسن) من حديث ابي امامة.

(٢) اخرجه البخاري (٥/ ٢٤٥٧/ فتح) ومسلم (٤/ ٢٠٥٤) من حديث عائشة.

(٣) ذكره الهيتمي في المجمع (١/ ١٥٧) من حديث ابن عباس وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجال موثقون.

(٤) ذكره الهيتمي في المجمع (١/ ١٥٦) من حدث انس وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جدا.

الأوثان لا يقتضي انه صلى الله عليه وسلم عبدها حاشاه من ذلك، إذ الأنبياء معصومون من الكفر باجماع من يعتد به.

والحاصل ان الجدال فيه اما كفر أو عظيم الضرر في الدين فكان اما كفرا أو كبيرة.

وبعضهم عد الخصام من الكبائر(١).

خامساً - آراء أخرى:

وروي في الحديث من تعلم العلم لأربعة دخل المنازعة:

- ليباهي به العلماء أو يجاري به السفهاء.

- أو يأخذ به من الأمراء أو يستميل به وجوه الناس إليه.

حكاية: قال ابن عباس لمعاوية رضي الله عنهما:

- هل لك في مناظرتي فيما زعمت؟

قال: وما تصنع بذلك فاشغب بك وتشغب بي، فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ويبقى في قلبي ما يضرك وقال زيد بن جندب: ما كان أغلى رجالات ضل سعيهم عن الجدال وأغناهم عن الشغب وقيل إذا تشاجرت الخصوم طاشت الحلوم وتسبت العلوم وقيل: من ترك المراء فهم وعلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ضل قوم بعد ان

---

(١) ابن حجر الهيتمي (أحمد بن محمد بن محمد ٩٠٩ - ٩٧٣هـ) الزواجر عن اقتراف الكبائر، الجزء الأول، تحقيق محمد محمود عبدالعزيز وزميليه، القاهرة، دار الحديث ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص ٢٦٠ وما بعدها.

ملاحظة: الهوامش من وضع المحققين جزاهم الله خيرا

هداهم الله بالجدل . وقال سفيان بن عيينة : ما ابتدع قوم إلا اعطوا الجدل[١] .

وقال الزاهد معروف الكرخي[٢]

إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل وأغلق عنه باب الجدل . وإذا أراد الله بعبد شراً ، اغلق عليه باب العمل ، وفتح عليه باب الجدل .[٣]

وقال بعضهم : لا تمار جاهلاً ولا عالماً فإن العالم يحاجك فيغلبك والجاهل يلاحيك فيغضبك[٤].

وقيل : لا تجادل بليغاً ولا سفيهاً ، فالبليغ يغلبك والسفيه يؤذيك ، كما قيل : لا تخاصم بغير حجة ، ولا تصارع بغير قوة ، ولا تحارب بغير عدة .

الكلام ذكر والجواب أنثى ، ولابد من النتاج عند الازدواج .[٥]

لو قلت تمرة لقال جمرة يضرب عند اختلاف الأهواء[٦]

---

(١) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ص٧٦.

(٢) هو ابو محفوظ، معروف بن فيروز، وهو من جلة المشايخ وقدمائهم، كان استاذ السقطي(خال الجنيد) صحب داود الطائي، وتوفي في سنة ٢٠٠هـ ودفن ببغداد.

(٣) ابو عبدالرحمن السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، ط٢، حلب: دار الكتاب النفي ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م ص٨٧.

(٤) الميداني (أبو الفضل احمد بن محمد النيسابوري الميداني- توفي ٥١٨هـ) مجمع الأمثال، المجلد الثاني، تقديم وتعليق نعيم حسن زرزور، بيروت دار الكتب العلمية(د.ت) ص٥٤٧

(٥) المرجع السابق، ص١٩٢.

(٦) المرجع السابق، ج٢، ص٢٣٦.

وقال شاعر يذم الرياء :

وإياك إياك المراء فإنه إلى الشر دعاء، وللشر جالب

وقال شاعر :

جبان سريع في المراء كأنه عمود خلاف في يدي متهيب[١]

تراه معداً للخلاف كأنه

برد علي اهل الصواب موكل[٢]

وقال الشريف الرضي :

وإني لا أميل إلى خليل سفيه الرأي شيمته الرياء[٣]

المطلب الخامس- أسباب المراء

يذهب الدكتور سيد محمد نوح إلى ذكر عشرة أسباب للوقوع في المراء، هي :

١- عدم رعاية آداب النصيحة: للنصيحة آداب، اهمها : أن تكون في السر مالم يجاهر بها صاحبها، وان تكون بالأسلوب المناسب وفي اللحظة المناسبة، وان تكون بنية الإصلاح والتغيير إلى ماهو احسن، وان تكون خالصة لوجه الله تعالى، وعدم رعاية هذه الآداب قد يولد في نفس المنصوح نوعاً من العزة بالإثم، ويحاول التعبير عنها في شكل مراء أو جدل ليبرر به ماهو عليه من خطأ .

٢- عدم الحظوة بثقة واحترام الآخرين: وذلك أن المرء قد لا يحظى لسبب او لآخر بثقة واحترام الآخرين ويكون هذا منزلقاً خطيراً للوقوع في المراء أو الجدل، كرد فعل يحاول به إثبات وجوده، وحمل الآخرين على الثقة به واحترامه .

(١) (٢) (٣) الراغب الأصفهاني: مجمع البلاغة، ج١،ص١٣٩ .

٣- **الميل إلى الغلبة وعدم قبول الهزيمة:** ذلك أن المرء قد يكون ميالاً بطبعة الى الغلبة، ولا يقبل الهزيمة، ويستخدم في سبيل تحقيق هذا الميل كل ما يتاح له من اسباب ووسائل، ويكون المراء او الجدل واحداً من هذه الأساليب والوسائل.

٤- **البيئة المحيطة بالمرء:** وقد تكون البيئة التي ينشأ فيها المرء، هي السبب في الوقوع في المراء او الجدل، ولاسيما إذا لم يكن قد اخذ حظه من التربية على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

٥- **التشويش على الحق والصواب:** ذلك ان المرء قد يكون على باطل او خطأ، ويرى شمس الحق ونور الصواب يغزوان هذا الباطل وذلك الخطأ، ويحاولان اقتحام العقل والقلب معاً، وهو لا يريد ذلك لسبب او لآخر، وحينئذ يجعل من المراء او الجدل سبيلاً للتشويش على الحق والصواب.

٦- **الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة قبل التحصن بالكتاب والسنة:** وقد يكون الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة من المنطق والفلسفة، هو السبب في الوقوع في المراء او الجدل ولاسيما قبل التحصن بالكتاب والسنة، ولعل هذا هو سر اختلاف علماء المسلمين في حكم تعلم الفلسفة، والمنطق، فمن قائل بالجواز، وهو سيف الدين الآدمي، انطلاقاً من ان الإنسان لديه عقل منحه الله إياه، يستطيع ان يزن به الأمور، وان يميز به بين الحق والباطل، النافع والضار، ومن قائل بالمنع، وهو الحافظ أبو عمرو المعروف بابن الصلاح، انطلاقاً من أن هذه العلوم تعلم المراء او الجدل، وتنتهي بالإنسان إلى الشك وربما إلى الإلحاد والعياذ بالله، ومن متوسط

يجيزها إذا صارت لدى المسلم حصانة من كتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويمنعها إذا لم تتحقق هذه الحصانة حيث يخشى على المسلم حينئذ الشطط والفتنة في الدين، وهو قول الإمام النووي- رحمه الله تعالى.

٧- **الإعجاب بالنفس بل الغرور والتكبر:** ذلك ان من كان معجباً بنفسه، بل مغروراً متكبراً يلجأ إلى كثير من الأساليب والوسائل ليحتفظ بما ارتضاه لنفسه من هذه الأمراض والآفات، ويعد المراء او الجدل من اهم هذه الأساليب وتلك الوسائل، ولعل ذلك ما اشار إليه رب العزة حين قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ**﴾(غافر: ٥٦).

٨- **فراغ القلب من معرفة الله وتقواه:** وذلك أن القلب إذا فرغ من معرفة الله وتقواه، بمعنى مراقبته وخوفه ورجائه، بصورة تحمل على الاستقامة، دخلت الدنيا هذا القلب، وتربعت على عرشه، ووسوس الشيطان، وبرزت النفس الأمارة بالسوء، وهنا يكون الاشتغال بالمراء او الجدل.

٩- **عدم وجود برنامج يواكب ويمتص الطاقات:** ذلك أن نفس المرء إن لم يشغلها بالنافع شغلته بالضار. وقد حدد الإسلام برنامجاً يستوعب حياة المسلم في اليوم والليلة، بحيث إذا حافظ عليه لم تبق لديه دقيقة تستغل في مراء او جدل.

١٠- **الغفلة عن العواقب المترتبة على المراء او الجدل:** إن من غفل عن الآثار الضارة، والعواقب المهلكة أدت به هذه الغفلة إلى الوقوع في هذا المراء او الجدل[١].

---

(١)د. سيد محمد نوح: مرجع سبق ذكره، ص١٣ وما بعدها.

الفرع الثالث-الخلاف والاختلاف بين البشر

سأتناول الخلاف والاختلاف في آراء القدامى والمحدثين في مبحثين مستقلين، كما يلي:

المبحث الأول- مذاهب القدامى:

اولاً- رأي الجرجاني:

الخلاف: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق او لإبطال باطل.[١]

اما المخالفة فهي ان تكون الكلمة على خلاف القانون المستنبط من تتبع لغة العرب كوجوب الإعلال في نحو: قام، والإدغام في نحو: مد[٢]

ثانياً- رأي الكفوي:

الاختلاف: هو لفظ مشترك بين معان، يقال: (هذا الكلام مختلف) إذا لم يشبه اوله آخره في الفصاحة او بعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على اسلوب يخالفه. والنظم المبين (القرآن الكريم) على منهاج واحد في النظم مناسب اوله آخره وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة ولذلك كان أحسن الحديث وافصحه.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً﴾ (النساء: ٨٢)

وما جاز من الاختلاف في القرآن هو اختلاف تلاؤم وهو ما

(١) الجرجاني: التعريفات ص ١٣٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٥.

يوافق الجانبين، كاختلاف وجوه القرآن ومقادير السور والآيات، والأحكام من الناسخ والمنسوخ، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، وما يمتنع عليه هو ما يدعو فيه احد الشيئين إلى خلاف الآخر وما يوهم الاختلاف والتناقض.

وليس كذلك كنفي المسألة يوم القيام وإثباتها وكتمان المشركين حالهم وإفشائها، وخلق الأرض والسماء بدليل قوله: ﴿ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾(فصلت: ٩ , ١٠)، ولولا ذلك لكانت أيام التخليق ثمانية، مع أن خلق السموات والأرض في ستة أيام.

ونظير هذا حديث «من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعه له قيراطان» والمراد بهما: الأول وآخر معه، بدليل ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (النساء: ٣).

ونظير هذا: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر بجماعة فكأنما قام الليل كله» وقد جاء مصرحاً به في «جامع الترمذي أيهما تقدم».

والإتيان بحرف (كان) الدالة على المضي في قوله تعالى: ﴿وكان الله﴾ مع أن الصيغة لازمة، وقد أجاب عنه ابن عباس بأن نفي المسألة فيما قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك والكتمان بألسنتهم فتنطق جوارحهم ويبدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوّة، فخلق السماوات فسوّاهنّ في يومين ثم دحا الأرض وجعل ما فيها في يومين، تلك أربعة أيام للأرض، فتم خلقها في ستة أيام. و(كان) وإن كانت للماضي، لكنها لا تستلزم الانقطاع، بل المراد أنه لم يزل كذلك.

والاختلاف في الأصول ضلال، وفي الآراء والحروب حرام. والاختلاف في الفروع هو كالاختلاف في الحلال والحرام ونحوهما؛ والاتفاق فيه خير قطعاً. ولكن هل يقال إن الاختلاف فيه ضلال؟ كالأولين فيه خلاف.

والاختلاف: هو أن يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً.

والخلاف: هو أن يكون كلاهما مختلفاً.

والاختلاف: ما يستند إلى دليل.

والخلاف: ما لا يستند إلى دليل. والاختلاف من آثار الرحمة، كما في الحديث المشهور. والمراد فيه الاجتهاد لا اختلاف الناس في الهمم بدليل «أمتي».

والخلاف من آثار البدعة وفسر الشيخ الإمام أبو بكر حديث: «سألت ربي فيما يختلف فيه أصحابي من بعدي فأوحى الله تعالى إليّ أن يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض فمن أخذ بشيء مما هم عليه فهو عندي على الهدى» رواه سعيد بن المسيب عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما بأن من تمسك بطاعة الأمراء إلا في المعصية، باتباع العلماء إلا في الزلة والبدعة ولزوم الجماعة والجمعات إلا عند الضرورة، فهو في الفروع من أهل الخلاف والرحمة، ومن ترك شيئاً منها فهو من أهل الخلاف والبدعة، فالاختلاف من آثار الرحمة، والخلاف من آثار البدعة ولو حكم القاضي بالخلاف ورفع لغيره يجوز فسخه، بخلاف الاختلاف، فإن الخلاف هو ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد وهو ما كان مخالفاً

للكتاب والسنة والإجماع.(١)

ثالثاً - رأي الراغب الأصفهاني:

يرى أن السبب الموقع للشبه والمولد للخلاف على القول المجمل سببان: المعنى واللفظ، فأما ما كان من جهة المعنى فإما أن يكون من جهة الناظر أو من جهة المنظور فيه وهو الحجة، أو من جهة الآلة التي تستعمل في النظر فإن الناظر في الشيء المعتبر له جار مجرى وزان وحججه كالميزان والمنظور فيه كالموزون فمتى كان الناظر غير تام العقل كان أعمى البصيرة فيجري مجرى وزان أعمى البصر فلا سبيل له إلى الوزن، ومتى لم يكن أعمى البصيرة لكنه غير عارف بقوانين البراهين والحجج والأدلة كان جارياً مجرى وزان عدم الميزان فأخذ يخمن والمخمن قلما ينفك من غلط بل ما وقع منه من الصواب غير معتمد به إذ لا أصل له تسكن إليه النفس، ومتى لم يكن أعمى البصيرة ولكنه لا يعرف أي حجة يستعمل فيما هو بصدده فيطلب المعقول من جهة المحسوس والمحسوس من جهة العقول كان جارياً وزان بصير لكنه يزن الدنانير بصنج الدراهم والدراهم بصنج الدنانير.

وأما ما كان من جهة اللفظ فإما أن يكون واقعاً من جهة مفردات اللفظ أو من جهة مركباته، فإن كان من مفردات اللفظ فإما أن يكون اللفظ عاماً موضوعاً موضع خاص أو خاصاً موضوعاً موضع عام، أو يكون اللفظ مستعملاً على سبيل المثل والإشارة والرمز أو يكون اللفظ مستعملاً لشيء لم تتقرر صورة ذلك الشيء في نفس السامع فيخيل إليه وهم فاسد كاعتقاد كثير من الناس اعتقادات فاسدة في الملائكة والجن

---

(١) الحفوي، الكليات، ص ٦٠ وما بعدها.

والشياطين والجنة والنار والميزان والصراط والكرسي.

وأما ما كان من جهة التركيب فإما أن يكون من جهة الكمية وذلك بأن يكون اللفظ أكثر مما يجب أو أقل مما يجب أن يكون وإما من جهة الكيفية وذلك أن يقدم ما حقه أن يؤخر أو يؤخر ما حقه أن يقدم كقول الشاعر (الفرزدق):

وما مثله في الناس إلا مملكاً ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

ومن أجل ما وقع في الألفاظ من الشبه قال الحكماء يجب أن يكون نظر الإنسان من المعنى إلى اللفظ أكثر من نظرة من اللفظ إلى المعنى فإن اللفظ في الحقيقة لا يدل على المعنى إلا بواسطة صورة ذلك المعنى في القلب ومتى لم تثبت صورة المعنى في القلب لم يفهم من اللفظ المعنى البتة.[1]

وجميع الاختلافات بين أهل الأديان والمذاهب على أربع مراتب، الأولى الاختلاف بين أهل الأديان النبوية وبين الخارجين عنها من الثنوية والدهرية[2]، وذلك في حدوث العالم وفي الصانع عز وجل وفي التوحيد.

---

(١) الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٢٦٣ وما بعدها.

(٢) الثنوية فرقة مجوسية تقول بأن أصل الأشياء شيئان هما النور والظلمة وأن الأشياء لا تنفك منهما ولا ينفكان منها، وينكرون وجود شيء إلا من أصل قديم. أنظر ابن تيمية/ درء تعارض العقل والنقل /٦/ ١٩٥ الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ ٨٨/

أما الدهرية من الفلاسفة أو غيرهم فهم طائفة تنكر صدور العالم عن فاعل أو علة مستلزمة له، وقد وقع في مذهبهم هذا أصحاب وحدة الوجود من الفلاسفة والصوفية الذين ينتمون إلى الإسلام. والدهرية تتنوع إلى طوائف، فمنها المعطلة، ومنها الطبيعية، ومنها الدهرية المحضة: أنظر ابن تيمية./ درء تعارض العقل والنقل ج٤/ ٤٤ ,٨٩ ج٩ ٥٦, ٢٥٥.

والثانية: الاختلاف بين أهل الأديان النبوية بعضهم مع بعض وذلك في الأنبياء كاختلاف المسلمين والنصارى واليهود. والثالثة: الخلاف المختص في أهل الدين الواحد بعضهم مع بعض في الأصول التي يقع فيها التبديع والتفجير كالاختلاف في كثير من صفات الله تعالى وفي القدر وكاختلاف المجسمة الرابعة: الاختلاف المختص بأهل المقالات في فروع المسائل كاختلاف الشافعية والحنفية.

فالاختلاف الأول: يجري مجرى متنافيين في مسلكيهما، كآخذ طريق المشرق وآخذ طريق المغرب وكآخذ ناحية الشمال وآخذ ناحية الجنوب، والثاني: يجري مجرى آخذ نحو المشرق وآخذ يمينه أو شماله فهو وإن كان أقرب من الأول فليس يخرج أحدهما عن أن يكون ضالاً ضلالاً بعيداً وإياهما قصد بقوله تعالى ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء: ٦٠)، الثالث: جار مجرى آخذين وجهة واحدة ولكن أحدهما سالك للمنهج والآخر تارك للمنهج وهذا التارك للمنهج ربما يبلغ وإن كان يطول عليه الطريق، والرابع: جار مجرى جماعة سلكوا منهجاً واحداً لكن أخذ كل واحد شعبة غير شعبة الآخر وهذا هو الاختلاف المحمود بقوله عليه السلام: «الاختلاف في هذه الأمة رحمة»[1] ونحوه نظر من قال كل مجتهد للفروع مصيب ولأجل الفرق الثلاثة أمرنا أن نستعيذ بالله تعالى ونتضرع إليه بقوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(الفاتحة: ٦)، وقال: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وجميع الخلاف

(١) كثر الكلام حول ما ورد بهذا المعنى، فزعم كثيرون أنه لا أصل له، ولكن الخطابي ذكره في غريب الحديث وذكر ما اعترض به عليه، وبين أن الاختلاف هو في الفروع، وبالجملة، الحديث وارد وله سند من حكاية مالك وعدم قبوله تقرير الموطأ. كشف الخفاء / ١/ ٦٦ حديث / ١٥٣.

الواقع في هذه الأمة إثنان وسبعون على ما ورد في الخبر لا زائداً ولا ناقصاً وقد روي الخبر في ذلك على وجهين أحدهما «ستفترق أمتي على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» وفي الخبر الآخر «كلها في الجنة إلا واحدة»[١] وهم الزنادقة وهذان خبران لا يمتنع أن يكونا صحيحين ولكن على نظرتين ومعنيين.[٢]

رابعاً - رأي البستي:

إن من الناس من يولع بالخلاف أبداً، حتى إنه يرى أن أفضل الأمور ألا يوافق أحداً، ولا يجامعه على رأي، ولا يواتيه على محبة. ومن كان هذا عادته فإنه لا يبصر الحق، ولا ينصره، ولا يعتقده ديناً ومذهباً، إنما يتعصب لرأيه، وينتقم لنفسه ويسعى في مرضاتها، حتى إنك لو رمت أن تترضّاه، وتوخّيت أن توافقه على الرأي الذي يدعوك إليه تعمد لخلافك فيه، ولم يرض به حتى ينتقل إلى نقيض قوله الأول. فإن عدت في ذلك إلى وفاقه عاد فيه إلى خلافك[٣].

حكاية: لما دخل المرتد الخرساني على المأمون وقد كان حمله معه من خرسان حتى وافى به العراق، قال له المأمون: لأن استحييك بحقّ

---

(١) روي الحديث هكذا، وروي «... والذي نفس محمد بيده لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار» لكن رواية اثنتين وسبعين= قيل في إسناده صحيح ورجاله ثقات، أنظر: ابن ماجة سنن ٧ حديث ٢٩٩١، ٢٩٩٢، ٢٩٩٣ وأنظر: أبو داوود، ج١، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ والمسند ج٢ ص٢٣٢ ج٣ ص١٤٥ والترمذي شرح ابن عربي ج١٠٠ ص١٠٨ كتاب الإيمان - باب ما جاء في افتراق الأمة.

(٢) الراغب الأصفهاني: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٥ وما بعدها.

(٣) البستي (ابو سليمان حمد بن محمد الخطّابي ٣١٩ - ٣٨٨)، العزلة، تحقيق ياسين محمد السوّاس، دمشق دار ابن كثير ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، ص ١٦٦.

أحبُّ إليَّ أن أقتلك بحق، ولأن أقبلك بالبراءة أحب إليّ من أن أدفعك بالتهمة، قد كنت مسلماً بعد أن كنت نصرانياً، وكنت فيها أتْنَخَ وأيامك أطول، فاستوحشت مما كنت به آنساً ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافراً، فخبِّرنا عن الشيء الذي أوحشك من الشيء الذي صار آنساً لك من إلفك القديم، وأُنسك الأول. فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة. وإن أخطأك الشفاء ونبا عن دائك الدواء، كنت قد أعذرت ولم ترجع عن نفسك بلائمة، فإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة. أو ترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة، وتعلم أنك لم تقصِّر في اجتهاد، ولم تفرِّط في الدخول في باب الحزم.

قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم!

قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما كالاختلاف في الأذان وتكبير الجنائز، والاختلاف في التشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق، ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفُتيا وما أشبه ذلك. وليس هذا باختلاف، إنما هو تخييرٌ وتوسعةٌ، وتخفيف من المحنة. فمن أذّن مثنى وأقام مثنى لم يؤثِّم، ومن أذّن مثنى وأقام فرادى لم يُحوَّب[1]، لا يتعايرون ولا يتعايبون، أنت ترى ذلك عياناً وتشهد عليه بتاتاً.

والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث عن نبينا، مع إجماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عين الخبر. فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقاً على

(١) لم يُحوَّب، من الحوب، وهو الإثم. وهذا الفعل مما لم يُذكر في المعاجم.

تأويله، كما يكون متفقاً على تنزيله، ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات. وينبغي لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها.

ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة. وذهبت المسابقة والمنافسة، ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا.

قال المرتد: أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد، وأن المسيح عبده، وأن محمداً صادق، وأنك أمير المؤمنين حقاً!

فأقبل المأمون على أصحابه فقال: فروا عليه عرضه، ولا تبرُّوه في يومه ريثما يعتق إسلامه، كي لا يقول عدوه أنه أسلم رغبة ولا تنسوا بعد نصيبكم من بره وتأنيسه ونصرته [١].

المبحث الثاني - مذاهب المحدثين:

أولاً - رأي د. طه العلواني:

الاختلاف والخلاف وعلم الخلاف: الاختلاف والمخالفة أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله أو في قوله. والخلاف أعم من «الضد» لأن كل ضدين مختلفان. وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى:

(١) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر - توفي ٢٥٥هـ) البيان والتبيين، ج ٣، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، بيروت دار الجيل (د. ت) ص ٣٧٥ - ٣٧٧.

﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ (مريم : ٣٧)
﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (هود : ١١٨)
﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ (الذاريات : ٨)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس : ٩٣)

ويمكن القول بأن «الخلاف والاختلاف» يراد به مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الموقف.

أما ما يُعرف لدى أهل الاختصاص بـ «علم الخلاف» فهو علم يمكِّن من حفظ الأشياء التي استنبطها إمام من الأئمة، وهدم ما خلافها دون الاستناد إلى دليل مخصوص، إذ لو استند إلى الدليل، واستبدل به لأصبح مجتهداً وأصولياً، والمفروض في الخلافي ألا يكون باحثاً عن أحوال أدلة الفقه، بل حسبه أن يكون متمسكاً بقول إمامه لوجود مقتضيات الحكم - إجمالاً - عند إمامه كما يظن هو، وهذا يكفي عنده لإثبات الحكم، كما يكون قول إمامه حجة لديه لنفي الحكم المخالف لما توصل إليه إمامه كذلك.

الجدل وعلم الجدل: إذا اشتد اعتداد أحد المخالفين أو كليهما بما هو عليه من قول أو رأي أو موقف، وحاول الدفاع عنه، وإقناع الآخرين به أو حملهم عليه سميت [1] تلك المحاولة بالجدل. فالجدل في اللغة «المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة» ومأخوذ من «جدلت الحبل» إذا فتلته وأحكمت فتله، فإن كل واحد من المتجادلين يحاول أن يفتل صاحبه ويجدله بقوة وإحكام على رأيه الذي يراه. وأما «علم

(١) انظر: مفتاح السعادة، دار الكتب الحديثة بمصر ج ٢، ص ٥٩٩.

الجدل» فهو: علم يقوم على مقابلة الأدلة لإظهار أرجح الأقوال الفقهية»[١]. وعرّفه بعض العلماء بأنه «علم يقتدر به على حفظ أي وضع يراد ولو باطلاً وهدم أي وضع يراد ولو حقاً»[٢]. ويظهر في هذا التعريف أثر المعنى اللغوي للجدل، لأنه - على هذا - علم لا يتعلق بأدلة معينة، بل هو قدرة أو ملكة يؤتاها الشخص ولم لم يحط بشيء من الكتاب والسنة ونحوهما.

الشقاق: فإذا اشتدت خصومة المتجادلين، وآثر كل منهما الغلبة بدل الحرص على ظهور الحق ووضوح الصواب، وتعذر أن يقوم بينهما تفاهم أو اتفاق سُميت تلك الحالة بـ«الشقاق» وأصله: أن يكون كل واحد في شق من الأرض أي نصف أو جانب منها، فكأن أرضاً واحدة لا تتسع لهما معاً، وفي التنزيل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ (النساء: ٣٥) أي خلافاً حاداً يعقبه نزاع يجعل كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (البقرة: ١٣٧).

المقبول والمردود من الاختلاف:

خلق الله الناس بعقول متباينة، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والأفكار، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدد الآراء والأحكام، وإذا كان اختلاف ألسنتنا وألواننا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله تعالى، فإن اختلاف عقولنا وما تثمره تلك العقول آية من آيات الله تعالى كذلك، ودليل من أدلة قدرته البالغة، وإن إعمار الكون، وقيام الحياة لا يتحقق أي منها لو أن البشر خلقوا سواسية في كل شيء، وكل

(١) انظر: مفتاح السعادة، دار الكتب الحديثة بمصر ج ٢، ص ٥٩٩.

(٢) الجرجاني: التعريفات: ص ٦٦.

ميسر لما خلق له ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨ - ١١٩). إن الاختلاف الذي وقع في سلف هذه الآية ولايزال واقعاً، جزء من هذه الظاهرة الطبيعية، فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده بل التزمت آدابه كان ظاهرة ايجابية كثيرة الفوائد.

بعض فوائد الاختلاف المقبول:

إذا التزمت حدود الاختلاف، وتأدب الناس بآدابه كان له بعض الايجابيات منها:

(أ) أنه يتيح - إذا صدقت النوايا - التعرف على جميع الاحتمالات التي يمكن أن يكون الدليل رمى إليها بوجه من وجوه الأدلة.

(ب) وفي الاختلاف رياضة للأذهان، وفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول الوصول إليها.

(جـ) تعدد الحلول أمام صاحب كل واقعة ليهتدي إلى الحل المناسب للوضع الذي هو فيه بما يتناسب ويسر هذا الدين الذي يتعامل مع الناس من واقع حياتهم.

وإذا جاوز الاختلاف حدوده، ولم تراع آدابه فيتحول إلى جدال وشقاق وهو ظاهرة سلبية سيئة العواقب تحدث شرخاً في الأمة.

أقسام الخلاف من حيث الدوافع:

١ - **خلاف أملاه الهوى:** قد يكون الخلاف وليد رغبات نفسية لتحقيق غرض ذاتي، وقد يكون الدافع للخلاف رغبة التظاهر بالفهم أو العلم أو الفقه. وهذا النوع من الخلاف مذموم بكل أشكاله، لأن

حظ الهوى فيه غلب الحرص على تحري الحق، والهوى لا يأتي بخير، فهو مطية الشيطان إلى الكفر. وأنواع الهوى متعددة، فهذا الهوى منبت كثير من الأخطاء، ولا يقع إنسان في شباكه حتى يزين له كل ما من شأنه الانحراف عن الحق، حتى يغدو الحق باطلاً والباطل حقاً والعياذ بالله. ويمكن رد خلاف أهل الملل والنحل ودعاة البدع في دين الله تعالى إلى آفة الهوى، ومن نعم الله على عبده ورعايته - سبحانه - أن يكشف له عن مدى ارتباط مذاهبه وأفكاره ومعتقداته بهوى نفسه، قبل أن تهوي به في مزالق الضلال، حيث يضيء المولى - سبحانه - مشاعل الإيمان في قلبه فتكشف زيف تلك المذاهب أو الأفكار أو المعتقدات. ولاكتشاف تأثير الهوى في فكرة ما طرقٌ: بعضها خارجي، وبعضها ذاتي.

أ - فالطرق الخارجية أن تكون مناقضة لصريح الوحي من كتاب وسنة.. ومما يكشف كون الفكرة وليدة الهوى: تصادمها مع مقتضيات العقول السليمة، ففكرة تدعو إلى عبادة غير الله، وفكرة تدعو إلى اباحة الزنا، أو تزيين الكذب، لا يمكن أن يكون لها مصدر غير الهوى.

ب - أما الطرق الذاتية فتكون بنوع من التأمل والتدبر في مصدر تلك الفكرة ومساءلة النفس بصدق حول سبب تبنيها لتلك الفكرة دون غيرها، وما تأثير الظروف المحيطة بصاحب الفكرة، ومدى ثباته عليها إن تبدلت؟ ثم الغوص في أعماق الفكرة نفسها، فإن كانت قلقة غير ثابتة، تتذبذب بين القوة والضعف تبعاً لمشاعر معينة، فاعلم أنها وليدة الهوى..

واحمده على أن بصرّك بالحقيقة قبل أن يسلسل قيادك لهوى النفس.

٢ - **خلاف أملاه الحق:** قد يقع الخلاف دون أن يكون للنفس فيه حظ أو للهوى عليه سلطان، فهذا خلاف أملاه الحق، ودفع إليه العلم، واقتضاه العقل، وفرضه الإيمان، فمخالفة أهل الإيمان لأهل الكفر والشرك خلاف واجب لا يمكن لمؤمن مسلم أن يتخلى عنه، أو يدعو لازالته لأنه خلاف سداه الإيمان ولحمته الحق.. وكذلك اختلاف المسلم مع أهل العقائد الكافرة والملحدة، كاليهودية والنصرانية والوثنية والشيوعية، ولكن الاختلاف مع تلك الملل وهذه العقائد لا يمنع من الدعوة إلى ازالة أسبابه بدخول الناس في دين الله افواجاً وتخليهم عن دواعي الخلاف من الكفر والشرك والنفاق والالحاد.

٣ - **خلاف يتردد بين المدح والذم:** ولا يتمحض لأحدهما، وهو خلاف في أمور فرعية تتردد أحكامها بين احتمالات متعددة يترجح بعضها على بعضها الآخر بمرجحات وأسباب ومثال ذلك اختلاف العلماء في انتقاض الوضوء من الدم الخارج من الجرح، والقيء المتعمد، واختلافهم في حكم القراءة خلف الإمام وقراءة البسملة قبل الفاتحة والجهر بـ «آمين» وهذا النوع من الاختلاف مزلة الأقدام، إذ يمكن فيه أن يلتبس الهوى بالتقوى، والعلم بالظن، ولا سبيل إلى تحاشي الوقوع في تلك المزالق إلا باتباع قواعد يحتكم إليها في الاختلاف، وآداب تهيمن عليه، وإلا تحول إلى تنازع وفشل.

رأي العلماء في الاختلاف

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «الخلاف شر»[١]، وقال السبكي رحمه الله: «.. إن الرحمة تقتضي عدم الاختلاف، قال تعالى: ﴿...ولكنِ اخْتلفُوا فَمنهُم مَّنْ آمنَ وَمنْهُم مَّن كَفر...﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وكذا السنة: قال عليه الصلاة والسلام: «إنما هلكت بنو إسرائيل بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[٢]، هذا وقد أدرج السبكي رحمه الله تحت النوع الثالث من الاختلاف (الذي يتردد بين المدح والذم أقساماً ثلاثة، فقال: والاختلاف على ثلاثة أقسام، أحدها في الأصول، وهو الذي نص عليه القرآن، ولاشك أنه بدعة وضلال، وقد يكون كفراً والثاني في الآراء والحروب وهو حرام أيضاً لما فيه من تضييع المصالح، والثالث في الفروع، كالاختلاف في الحل والحرمة ونحوهما»[٣].. والذي قطع به أن الاتفاق فيه - أي: في الثالث - خير من الاختلاف.. كما نبه رحمه الله إلى كلام ابن حزم في ذم الاختلاف في ذلك ايضاً، إذ لم يجعل ابن حزم رحمه الله شيئاً من الاختلاف رحمة، بل اعتبره - كله - عذاباً.

ويكفي لمعرفة أضرار الاختلاف وخطورته أن نبي الله هارون عليه السلام عدَّ الاختلاف أشد ضرراً من عبادة الأوثان.. فحين صنع

---

(١) انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٢٢ و«العواصم من القواصم» ص ٧٨ وراجع المحصول (٢ق١/ ٤٨٠)

(٢) والحديث بتمامه من طريق أبي هريرة «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» رواه احمد في مسنده ومسلم والنسائي وابن ماجه على ما في الفتح الكبير (٢/ ١٢٠) والاحكام (٥/ ٦٦).

(٣) انظر الابهاج (٣/ ١٣)

السامري لقومه عجلاً من الذهب وقال لهم: ﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾ (طه: ٨٨) وعظ هارون قومه بحكمة[١]، بقي ينتظر أخاه موسى عليه السلام، ولما وصل موسى ورأى القوم عاكفين على العجل وجه أشد اللوم إلى أخيه، فما كان عذر أخيه إلا أن قال: يبنؤمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرَّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي. . .) (طه: ٩٤) فجعل من خوف الفرقة والاختلاف بين قومه عذراً له في عدم التشديد في الانكار، ومقاومة القوم والانفصال عنهم حين لا ينفع الانكار[٢].

ثانيا: مذهب د. عبدالوهاب خلاف:

يذهب هذا الفقيه إلى أن أسباب اختلاف الأئمة وتكوّن المذاهب تعود إلى أنه في عهد الرسول لم يقع اختلاف في حكم الواقعة لأن المرجع التشريعي واحد، وأنه في عهد الصحابة لما تعدد رجال التشريع وقع بينهم اختلاف في بعض الأحكام وصدرت عنهم في الواقعة الواحدة فتاوى مختلفة، لأن فهم المراد من النصوص يختلف باختلاف العقول ووجهات النظر، ولأن السنة لم يكن علمهم بها وحفظهم لها على السواء، وربما وقف بعضهم منها على ما لا يقف عليه الآخر، لأن المصالح التي تستنبط لأجلها الأحكام يختلف تقديرها باختلاف البيئات التي تعيش فيها رجال التشريع، فلهذه الأسباب اختلفت فتاويهم وأحكامهم في بعض الوقائع والأقضية، مع اتفاقهم على مصادر

---

(١) قال تعالى ﴿وقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري) (طه: ٩٠).

(٢) د. طه جابر فياض العلواني: أدب الاختلاف في الاسلام، ط٤، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٢هـ = ١٠٠١م، ص ٢١ وما بعدها (ملاحظة: الهوامش من وضع المؤلف جزاه الله خيراً).

التشريع، وترتيب رجوعهم إليها، والمبادئ التشريعية العامة، أي أنهم اختلفوا في الفروع فقط، ولم يختلفوا في اصول التشريع ولا في خطته.. ولكن لما آلت السلطة التشريعية في القرن الثاني الهجري إلى طبقة الأئمة المجتهدين اتسعت مسافة الخلاف بين رجال التشريع ولم تقف أسباب اختلافهم عند الأسباب الثلاثة التي بني عليها اختلاف الصحابة بل جاوزتها إلى أسباب تتصل بمصادر التشريع وبالنزعة التشريعية، وبالمبادئ اللغوية التي تطبق في فهم النصوص.. وبهذا لم يكن اختلافهم في الفتاوى والفروع فقط بل كان اختلافاً أيضاً في أسس التشريع وخططه، وصار لكل فريق منهم مذهب خاص يتكون من أحكام فرعية استنبطت بخطة تشريعية خاصة.

ويرجع اختلاف الخطة التشريعية للأئمة المجتهدين إلى اختلافهم في أمور ثلاثة: الأول في تقدير بعض المصادر التشريعية.. والثاني في النزعة التشريعية.. والثالث في بعض المبادئ اللغوية التي تطبق في فهم النصوص.

فأما اختلافهم في تقدير بعض مصادر التشريع فقد ظهر فيما يأتي:

١ - في طريق الوثوق بالسنة والميزان الذي ترجح به رواية على رواية، وذلك أن الوثوق بالسنة مبني على الوثوق برواتها وكيفية رواتها.. وقد اختلف الأئمة في طريق هذا الوثوق، فمجتهدو العراق أبوحنيفة واصحابه يحتجون بالسنة المتواترة والمشهورة ويرجحون ما يرويه الثقات من الفقهاء ولهذا قال أبو يوسف، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث وما يعرفه الفقهاء..

ومجتهدو المدينة مالك وأصحابه يرجحون ما عليه أهل المدينة بدون اختلاف ويتركون ما خالفه من أخبار الاحاد. . وباقي الأئمة يحتجون بما رواه العدول الثقات من الفقهاء وغير الفقهاء، وافق عمل أهل المدينة أو خالفه.

وترتب على هذا أن مجتهدي العراق جعلوا المشهور في حكم المتواتر وخصصوا به العام في القرآن وقيدوا به المطلق فيهم، وغيرهم لم يجعلوا له هذه القوة. . وترتب ايضاً أن الحديث المرسل وهو رواه الصحابي بقوله أمر رسول الله بكذا، أو نهى عن كذا، أو قضى بكذا، من غير أن يصرح بأنه سمع ذلك بنفسه أو شافهة أو شاهدة، يحتج به بعض رجال التشريع ولا يحتج به بعضهم. . فهذا الاختلاف في طريق الوثوق بالسنة أدى إلى أن بعضهم احتج بسنة لم يحتج بها الآخر، وبعضهم رجح بسنة هي مرجوحة عند الآخر وعن هذا نشأ اختلاف الأحكام.

٢ - في فتاوى الصحابة وتقديرها: فإن الأئمة اختلفوا في الفتاوى الاجتهادية التي صدرت عن أفراد الصحابة. . فأبو حنيفة ومن تابعه خطته بالنسبة إليها بأن يأخذ بأية فتوى منها ولا يتقيد بواحدة معينة ولا يخرج عنها جميعاً. . والشافعي ومن تابعه خطته بالنسبة إليها أنها فتاوى اجتهادية فردية صادرة من غير معصومين فله أن يأخذ بأية فتوى منها، وله أن يفتي بخلافها كلها. . وعن هذا نشأ أيضاً اختلاف في الأحكام.

٣ - في القياس: فإن بعض المجتهدين من الشيعة والظاهرية أنكروا الاحتجاج بالقياس ونفوا أن يكون مصدراً للتشريع ولهذا سموا: نفاة القياس. . وجمهور الأئمة احتجوا بالقياس وعدوه المصدر

التشريعي بعد القرآن والسنة والاجماع ولكنهم مع اتفاقهم على أنه حجة اختلفوا فيما يصلح أن يكون علة للحكم ويبنى عليه القياس . . ونشأ عن هذا أيضاً اختلاف في الأحكام .

وأما اختلافهم في النزعة التشريعية ، فقد ظهر في انقسامهم إلى فريق أهل الحديث ومنهم أكثر مجتهدي الحجاز ، وفريق أهل الرأي ومنهم أكثر مجتهدي العراق ، وليس معنى هذا الانقسام ان فقهاء العراق لا يصدرون في تشريعهم عن الحديث ، وان فقهاء الحجاز لا يصدرون في تشريعهم عن الاجتهاد بالرأي ، لأنهم جميعاً متفقون على ان الحديث حجة شرعية ملزمة ، وان الاجتهاد بالرأي ، أي بالقياس ، حجة شرعية فيما لا نص فيه .

وإنما معنى هذا الانقسام وسبب هذه التسمية ان فقهاء العراق أمعنوا النظر في مقاصد الشارع وفي الأسس التي بني عليها التشريع ، فاقتنعوا بأن الأحكام الشرعية معقول معناها ومقصود بها تحقيق مصالح الناس . وبأنها متسقة ولا تعارض ولا تباين بين نصوصها وأحكامها . وعلى هذا الأساس يفهمون النصوص ، ويرجحون نصاً على نص ، ويستنبطون فيما لا نص فيه ولو أدى استنباطهم على هذا الاساس إلى صرف نص عن ظاهره أو ترجيح نص على آخر أقوى منه رواية حسب الظاهر . وهم من أجل هذا لا يتحرجون من السعة في الاجتهاد بالرأي ، ويجعلون له مجالات في أكثر بحوثهم التشريعية .

وأما فقهاء الحجاز فقد عنوا بحفظ الأحاديث وفتاوى الصحابة ، واتجهوا في تشريعهم إلى فهم هذه الآثار حسبما تدل عليها عبارتها ، وتطبيقها على ما يحدث من الحوادث غير باحثين في علل الأحكام

ومبادئها، فإذا وجدوا ما فهموه من النص لا يتفق مع ما يقتضيه العقل لم يبالوا بهذا وقالوا هو النص. وكانوا من أجل هذا يتحرجون من الاجتهاد بالرأي ولا يلجأون إليه إلا عند الضرورة القصوى.

مثلا: ورد في الحديث ان في كل أربعين شاة شاة. وان صدقة الفطر صاع من تمر أو شعير، وان من رد الشاة المصراة بعد احتلاب لبنها رد معها صاعا من تمر.

فقهاء العراق يفهمون هذه النصوص على ضوء معناها المعقول ومقصد الشارع من تشريعها وهو ان المالك أربعين شاة يجب عليه ان ينفع الفقراء بواحدة أو ما يعادلها، وان المتصدق بصدق الفطر يجب عليه ان ينفعهم بصاع من تمر أو ما يعادله. واللبن المحتلب يضمن بمثله أو قيمته. وليس خصوص الشاة أو الصاع مقصودا للشارع. فمن زكى بقيمة الشاة أو تصدق بقيمة الصاع أو ضمن لبن المصراة بقيمته أجزأه لأن المقصود نفع الفقراء وتعويض المال المتلف.

أما فقهاء الحجاز فيفهمون هذه النصوص حسبما تدل عليه عبارتها الظاهرة ولا يبحثون في علة التشريع ولا يتجهون إلى التأويل بناء على مراعاة العلل المعقولة. وعلى هذا يوجبون الشاة بخصوصها، والصاع بخصوصه، ولا يجزىء في مذهبهم القيمة.

وأهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف هاتين النزعتين هي:

١- ان الأحاديث وفتاوى الصحابة لم تكن كثيرة في العراق كثرتها في الحجاز. فالحجازيون وجدوا عندهم ثروة من الآثار اعتمدوا عليها في تشريعهم وركنوا إليها. واما فقهاء العراق فلم تكن لديهم هذه الثروة فاعتمدوا على عقولهم، واجتهدوا في تفهم

معقول النص وعلة التشريع لتتسع معاني النصوص لما لم تتسع له ألفاظها، واسوتهم في هذا استاذهم عبدالله بن مسعود.

٢- ان العراق كانت فيها الفتن التي أدت إلى افتراء الاحاديث وتحريفها لأنها كانت مهد الشيعة ومقر الخوارج، وقد شاهد فقهاء العراق من الجرأة على وضع الأحاديث والتحريف فيها ما لم يشاهده فقهاء الحجاز، فلهذا تشددوا في قبول الرواية والتزموا ان يكون الحديث مشهورا بين أهل الفقه وإذا وجدوا حديثا يفهم منه ما لا يتفق وحكمة الشارع أولوه أو تركوه.

٣- ان بيئة العراق غير بيئة الحجاز، والأقضية والحوادث في البلدين مختلفة لأن دولة الفرس خلفت في العراق أنواعا من المعاملات والعادات والنظم لا يعهد مثلها في بلاد الحجاز فكان مجال الاجتهاد في العراق ذا سعة، وأفق البحث ممتدا. ولهذا تكونت في فقهاء العراق ملكة البحث والتفكير وبدت لهم وجوه عديدة من الرأي والنظر في التشريع. وأما فقهاء الحجاز فقلما حدث لهم ما يحدث لسلفهم من التابعين أو الصحابة لأن البيئة واحدة وفلما حدث لهم ما لم يحفظوا في حكمه حديثا أو فتوى صحابي. قلما لم يجدوا للاجتهاد المجال الذي وجده العراقيون اعتادوا فهم النصوص من على ظواهرها ولم تدعهم حاجة إلى البحث في عللها أو التعمق في مقاصدها.

واما اختلافهم في بعض المبادىء الاصولية اللغوية: فقد نشأ من اختلاف وجهات النظر في استقراء الاساليب العربية. فمنهم من رأى ان النص حجة على ثبوت حكمه في منطوقه، وعلى ثبوت خلال حكمه في مفهومه المخالف، ومنهم من لم ير هذا. ومنهم من رأى

العلم الذي لم يخصص قطعياً في تناول جميع أفراده، ومنهم من رأى انه ظني. ومنهم من رأى المطلق يحمل على المقيد عند اتحاد الحكم ولو اختلف السبب. ومنهم من رأي انه لا يحمل عليه إلا عند اتحاد الحكم والسبب. ومنهم رأى ان الأمر المطلق للإيجاب ولا يصرف عنه إلا بقرينة، ومنهم من رأى انه لمجرد طلب الفعل. والقرينة هي التي تعين الإيجاب أو غيره، إلى غير ذلك من المبادىء الأصولية التي تفرع على اختلافهم في كثير من الأحكام.

فالخطة التشريعية لكل مجتهد في هذا العهد كانت قائمة على طريق ثقته بالسنة، وتقديره لفتاوى الصحابة، ومسلكه في القياس ونزعته في فهم النصوص وتأويلها وتعليلها، ومبادئه التي سار عليها من استقرائه الأحكام الشرعية والاساليب العربية، وبنى عليها استنباطه[1].

ثالثاً: رأي الشيخ د. طنطاوي:

١- الاختلاف بين الناس في شؤون دينهم وفي شؤون دنياهم، أمر قديم، وسيبقى هذا الاختلاف بينهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .خ

وهذه الحقيقة قد أكدها القرآن الكريم في كثير من آياته، ومن ذلك قوله - تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾ «هود: ١١٨، ١١٩».

(١) د. عبدالوهاب خلاف: خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، الكويت: دار القلم ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م. ص ٧١ وما بعدها.

أي: ولو شاء ربك - أيها الرسول الكريم - الحريص على إيمان قومه، أن يجعل الناس جميعا أمة واحدة مجتمعة على الدين الحق لجعلهم، فإن مشيئته لا يمنعها مانع، ولكنه - سبحانه - لم يشأ ذلك، ليتميز الخبيث من الطيب، ولا يزال الناس ما بقيت الدنيا مختلفين في أفكارهم، واتجاهاتهم، ومقاصدهم، وآمالهم... إلا الذين اصابتهم رحمة ربك، فاهتدوا إلى طريق الحق، فإنهم لم يختلفوا في أصل من أصول الدين الحنيف، بل عرفوا طريق الخير فاتبعوه.

وأعلم ان الحكمة الإلهية قد اقتضت ان يكون الناس مختلفين، وان رحمة ربك التي وسعت كل شيء ستشملهم، ما دام اختلافهم من أجل الوصول إلى الحق والصواب. وشبيه بهذه الآية قوله - تعالى - : ﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ «الأنعام: ٣٥».

أي: ولو شاء الله تعالى جمع الناس كلهم على الدين الحق لجمعهم، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك ليجازي الذين أساءوا بما عملوا، ويجازي الذين أحسنوا بالحسنى، فلا تكونن من الجاهلين بسنن الله في خلقه. بل ان القرآن الكريم ليشير إلى اختلاف الناس من أجل نصرة الحق، وشيوع العدل، أمر تستلزمه مصالح الناس، وتقتضيه أحوالهم ومنافعهم.

٢- الاختلاف بين الناس في القضايا الدينية أو الدنيوية، له أسباب متعددة، وبواعث متنوعة، منها: الظاهر الجلي، ومنها الباطن الخفي. ومنها؛ ما يكون الدافع إليه: معرفة الحقيقة على الوجه الأكمل والأوفق، واقامة الأدلة والبراهين على ذلك، وهذا ما يسمى في عرف

علماء البحث: بالمناظرة أو الجدل. ومنها؛ ما يكون الدافع إليه سوء النية، واللجاج، والغرور، والتباهي، وهذا ما يسمى: بالمكابرة والمعاندة.

ومن أسباب الاختلاف بين الناس: عدم وضوح الرؤية للموضوع من كل جوانبه. فهذا فهمه من زاوية معينة، وآخر فهمه من زاوية أخرى، وثالث فهمه من جهة تختلف عن جهتي الأول والثاني.

وقد قال الحكماء قديما: ان الحق لم يصبه الناس من كل وجوهه، ولم يخطئوه من كل وجوهه، بل أصاب بعضهم جهة منه، وأصاب آخرون جهة أخرى. وقد مثلوا لذلك بجماعة من العميان، انطلقوا نحو فيل ضخم، فوضع كل واحد منهم يده على قطعة من جسد هذا الفيل، ووصفه بالصورة التي تصورها. فقال الذي وضع يده على رجل الفيل: إن هذا الحيوان هيئته كالنخلة الطويلة المستديرة، وقال الذي وضع يده على ظهر هذا الفيل: إن هيئته أشبه ما تكون بالهضبة العالية، والأرض المرتفعة. وهكذا كل واحد منهم وصف الفيل بالوصف الذي مسته يده، وهو من هذه الناحية صادق، ولكن من ناحية تكذيبه لغيره مخطئ.

وهذا اللون من الاختلاف ربما يعد أيسر ألوانه، لأنه من المتوقع أن يزول، بعد معرفة الحقيقة كاملة، ولذا قالوا: إذا عرف موضع النزاع بطل كل خلاف.

٣ - العكوف على تقليد الغير دون دليل أو برهان: وأنت تقرأ القرآن الكريم، فتجد كثيراً من آياته، تنعى على الغافلين والجاهلين والضالين عكوفهم على تقليد سواهم من الآباء أو من الرؤساء. ومن

الآيات التي وردت في ذلك قوله تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ (البقرة - ١٧٠) والخلاصة، أن التقليد للآباء والرؤساء وغيرهم، من أشد أسباب الاختلاف بين الناس، لا سيما إذا كان عن عناد، وجحود للحق، وانقياد للهوى والشهوات.

٤ - التعصب للرأي: والحسد للغير على ما آتاه الله من فضله، والحرص على المنافع الخاصة، دون التفات إلى سواها، والانقياد للهوى، والأنانية، ولتطلعات النفس الأمارة بالسوء. وكل من يدقق النظر في الخلافات التي دبّت بين البشر قديماً وحديثاً، يرى معظمها مرده إلى هذه الأسباب المرذولة.

ولقد حكى لنا القرآن في كثير من آياته، أن بعض المشركين، كانوا يعرفون ان الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن ربه، إلا أن العصبية والأحقاد والغرور والعناد، كل ذلك حال بينهم وبين أتباعه، وحملهم على أن يخالفوه بغياً وظلماً.

ومن الآيات التي قررت هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الانعام - ٣٣).

وذكروا ان الأخنس بن شريق دخل على أبي جهل بيته فقال له: يا أبا الحكم، وما رأيك في محمد؟ فقال: تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف: أطعموا فأطعمنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا كنا كفرسيّ رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء!! فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه!! ولماذا لا يكون النبي من بني مخزوم؟ - أي

من بني عشيرة أبي جهل! .

وفي رواية أن الأخنس اختلى بأبي جهل فقال له: يا أبا الحكم، اخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يُسمع كلامنا. فقال أبو جهل: ويحك!! والله ان محمداً لصادق، وما كذب محمد قط! ولكن إذا ذهب بنو هاشم باللواء والسقاية، والنبوة، فماذا يبقى لسائر قريش؟![1] .

والحق أن كثيراً من الخلافات التي تدور بين الناس، مردها إلى عدم فهم الموضوع من كل جوانبه، أو التقليد العقيم، أو إلى التعصب الذميم، أو إلى الانقياد للهوى والمنافع الخاصة، أو إلى الحسد والبغي والعدوان، أو إلى اختلاف العقول والأفهام، أو حب الرئاسة والسلطان، أو إلى سيطرة الأوهام، أو غير ذلك من الأسباب التي منها المقبول ومنها المرذول.

والخلاصة ان اختلاف الناس فيما بينهم سنة من سنن الله التي لا تتخلف، وأن أسباب هذا الاختلاف كثيرة ومتنوعة[2] .

رابعاً - رأي المنفلوطي في الخلاف الاجتماعي:

إن أكثر الناس متفقون على ما يظنون انهم مختلفون فيه، فإن لكل شيء جهتين، جهة مدح وجهة ذم، فإما ان تتساويا أو تكبر احداهما الاخرى، فإن كان الاول فلا معنى للاختلاف، وإن كان الثاني وجب على المختلفين ان يعترف كل منهما لصاحبه ببعض الحق لا ان

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ج٣، القاهرة طبعة دار الشعب، ص٢٤٥

(٢) د. محمد سيد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، القاهرة. دار نهضة مصر ١٩٩٩م. ص٨ وما بعدها.

يكون كل منهما من سلسلة الخلاف في طرفها[١].

حكاية: كان يقع بين ملك من الملوك ووزيره خلاف في مسائل كثيرة حتى يشتد النزاع وحتى لا يلين أحدهما لصاحبه في طرف مما يخالفه فيه، فحضر حوارهما أحد الحكماء في ليلة وهما يتناظران في المرأة، يعلو بها الملك إلى مصاف الملائكة، ويهبط بها الوزير إلى منزلة الشياطين، ويسرد كل منهما على مذهبه أدلته، فلما علا صوتهما واشتد لجاجهما خرج ذلك الحكيم وغاب عن المجلس ساعة ثم عاد وبين أثوابه لوح على أحد وجهيه صورة فتاة حسناء، وعلى الآخر صورة عجوز شوهاء، فقطع عليهما حديثهما وقال لهما أحب ان اعرض عليكما هذه الصورة، ليعطيني كل منكما رأيه فيها، ثم عرض على الملك صورة الفتاة الحسناء فامتدحها ورجع إلى مكان الوزير وقد قلب اللوح خلسة من حيث لا يشعر واحد منهما بما يفعل وعرض عليه صورة العجوز الشمطاء فاستعاذ بالله من رؤيتها وأخذ يذمها ذماً قبيحاً، فهاج غيظ الملك على الوزير وأخذ يرميه بالجهل وفساد الذوق وقد ظن انه يذم الصورة التي رآها هو فلما عاد إلى مثل ما كانا عليه من الخلاف الشديد تعرض لهما الحكيم وأراهما اللوح من جهتيه فسكن ثائرهما وضحكا كثيراً، ثم قال لهما هو الذي أنتم فيه منذ الليلة، وما أحضرت اليكم هذا اللوح إلا لاضربه لكما مثلا لتعلما أنكما متفقان في جميع ما كنتما تختلفان فيه لو ان كلا منكما ينظر إلى المسائل المختلف فيها من جهتيها، فشكرا له همته وأثنيا على فضله وحكمته، وانتفعا بحيلته انتفاعاً كثيراً حتى ما كانا يختلفان بعد ذلك إلا قليلا[٢].

---

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي: النظرات، مادة أدب المناظرة، دراسة وتقديم د. جبرائيل سليمان جبور، بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ص ٢٤٨

(٢) مصطفى لطفي المنفلوطي: المرجع السابق: ص٢٤٨ وما بعدها.

الفصل الثاني
أهمية الحوار

للحوار السليم أهمية قصوى في مجالات الدعوة، والتربية، والثقافة إذ من خلال هذه المداخل يمكن تقديم الإسلام كدين عقلاني ومعتدل وقائم على التسامح، كما يمكن استخدامه كوسيلة فعالة في تربية الفرد تربية إسلامية مؤثرة، اضافة إلى تعميق ثقافة المسلم سواء في مجال الشريعة والعقيدة أو في مجال الاخلاق الإسلامية أو في مجال الثقافة العامة المعاصرة التي لا تتقاطع مع ثوابتنا الدينية والأخلاقية.

وسأتناول أهمية الحوار في مجالات الدعوة، والتربية، والثقافة، في ثلاثة فروع رئيسة:

النوع الأول - أهمية الحوار في مجال الدعوة:

سأتناول هذه الأهمية من حيث ماهية الدعوة الإسلامية، ثم كيف يثري الحوار هذه الدعوة.

المبحث الاول - ماهية الدعوة الإسلامية:

الدعوة لغة: مأخوذه من الدعاء وهو النداء لجمع الناس على أمر ما، وحثهم على العمل له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس - ٢٥).

وهي اصطلاحاً: تبليغ الدين: عقيدة وشريعة، والحث عليه والترغيب فيه، وجمع الناس على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة وذلك بالأمر والنهي عن المنكر.

حكمها: حمل الدعوة الإسلامية واجب على كل مسلم ومسلمة، بالقدر الذي يستطيعه، وفي حدود العلم الذي يعلمه، فمسؤولية العالم أعظم من مسؤولية غيره، ومسؤولية الحاكم أعظم من مسؤولية أفراد الرعية، وهي مسؤولية الرسول، صلى الله عليه وسلم، كما كانت مسؤولية الرسل الكرام من قبله عليهم السلام، ومسؤولية المؤمنين في كل عصر، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ...﴾ (النساء: ١٦٣ - ١٦٥)[١].

إن حمل الدعوة الإسلامية لا يختص بالعلماء، ولكنه مسؤولية كل مسلم في حدود معرفته واستطاعته، وإنما يختص العلماء بتبليغ تفاصيل هذا الدين وأحكامه ومعانيه نظراً لسعة علمهم به، ومعرفتهم بجزئياته، لأن من لا يعلم قد يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف، ويغلظ في مقام اللين، ويلين في مقام الغلظة، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران - ١٠٤) يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة: (والمقصود من هذه الآية أن تكون جماعة من هذه الأمة تتصدى لهذا الشأن - الدعوة - وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة)[٢].

(١) مجموعة مؤلفين: الثقافة الإسلامية، عمّان: وزارة التربية والتعليم، ص٢٠١ ومابعدها.

(٢) مجموعة مؤلفين: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٥

أهمية الدعوة الاسلامية :

تظهر أهمية الدعوة في كونها وظيفة الرسل الذين اختارهم الله تعالى لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس، ولهذا فهي من أشرف الوظائف، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)، والدعوة الاسلامية هي الطريق لهداية البشر، واخراهم من ظلمات الكفر والجهل الى نور الإيمان والعلم، وحيثما انتشر العدل وعرف الإنسان حقوقه وما عليه من واجبات، وقد بينت الدعوة الإسلامية الحلول السلمية لمشكلات الناس في المجتمعات البشرية، لذلك فلا غنى للناس عن هذه الدعوة الإلهية التي أنعم الله تعالى بها عليهم.

عناصرها: تحتاج الدعوة الإسلامية إلى توافر:

الرسالة والداعي والمدعو والاسلوب، والرسالة هي الإسلام، وهو موضوع الدعوة وحقيقتها.

الإسلام في اللغة: الانقياد والاذعان والخضوع، ومصطلحاً: الخضوع الاختياري لله رب العالمين، ومظهره الانقياد لشرع الله تعالى الذي أوحى به إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات، وأمره بتبليغه إلى الناس.[١].

وعلى هذا فالدعوة الاسلامية تتناول العقيدة والشريعة، والعقيدة تتناول الأحكام المتعلقة بالله تعالى، واليوم الآخر، والملائكة، والرسل، والكتب السماوية، والقضاء والقدر، وهذه هي الأحكام

(١) المرجع السابق: ص ٢٠٦

الاعتقادية.

وأما الشريعة فتتناول الأحكام العملية التي تندرج تحتها الأمور التالية:

أ - تنظيم علاقة الانسان مع خالقه بأحكام العبادات.

ب - تنظيم علاقة الانسان مع نفسه بأحكام المطعومات والمشروبات والملبوسات والأخلاق.

ج - تنظيم علاقة الانسان مع غيره بأحكام الأنظمة الاسلامية المتعددة في مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والعقوبات والتربية والتعليم.

والإسلام في جميع تشريعاته وأنظمته يقوم على أساس تحقيق مصالح العباد ودفع المفاسد والأضرار عنهم في العاجل والآجال وبذلك تتحقق لهم السعادة في حياتهم[1].

والداعية أو الداعي: هو المسلم المكلف شرعاً بحمل الدعوة الاسلامية إلى الناس، وهو كل عاقل بالغ من المسلمين، ذكرا كان أم أنثى، عالماً بما يدعو إليه.

أخلاق الداعية وصفاته: الداعية إلى الله تعالى هو ممثل الرسل، ووارث الأنبياء، وهو يقوم بأشرف عمل وهو حمل رسالة الاسلام وتبليغها أي الناس، وهذا يتطلب بأن يكون متصفاً بصفات أخلاقية عالية تمكنه من التأثير في الناس ليستجيبوا لدعوته ومن هذه الصفات ما يلي:

---

(١) مجموعة مؤلفين: الثقافة الاسلامية، عمان وزارة التربية والتعليم، ص ٢٠١ وما بعدها.

١ - الإيمان الصادق بالدعوة.
٢ - القدوة الحسنة.
٣ - الصبر على الأذى.
٤ - الحلم.
٥- التواضع.
٦- الزهد.
٧- الإخلاص.
٨ - الوعي.

الشروط الواجب توافرها فيه هي أن يكون:

أ - أميناً.

ب - يملك طريقة مناسبة لعرض الدعوة.

ج - عاملا مطبقا [١].

ويتعين أن يكون الداعية قدوة في فكره وسلوكه إذ كلما ازدادت حكمته وظهر كرمه وبان صدقه وعرف بأمانته كان اتباعه أكثر ومريدوه أوسع، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت قريش تألف في منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه خصلتين: العلم والطعام، فلما أسلم أسلم عامة من كان يجالسه [٢].

إن التخطيط للدعوة إلى الله، وتنظيم ذلك، والتنفيذ الراقي مسائل لابد منها، مثال ذلك خطب الجمعة التي يتعين حسن تحضيرها وتكامل موضوعاتها، ورجال الدعوة ينبغي أن يخططوا لمواجهة كل

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٥ وما بعدها.
(٢) الجاحظ ج٤، مرجع سبق ذكره، ص ٧٦.

أنواع الأفكار المقابلة وأن يخططوا لكيفية مقابلتها، فالرصد المستمر للدعوات الباطلة ووضع المخططات لإنهائها على مستوى الفرد المسلم والأمة والعالم مسألة ضرورية، إن التخطيط للدعوة ينبغي أن يستنفر كل الطاقات الشعبية والحكومية للوصول إلى جماعة تقوم بأمر الدعوة إلى الله[1].

ويتعين على خطيب الجمعة ألا يلجأ إلى الانفعال والهيجان في خطبته فتقديم الترغيب أولى من الترهيب، كما أن صب الدعوة بأسلوب انفعالي أو عاطفي غاضب يتبخر بمجرد خروج المصلين من المسجد أو الجامع، فالدعوة تقدم باسلوب عقلاني، دمث، لين وهذه هي مقدمات الاقناع الفكري والنفسي.

أما أساليب الدعوة الإسلامية فهي: ١ - الحكمة، ٢ - الموعظة الحسنة، ٣ - الحوار، وفيما يلي بيان ذلك:

يحتاج الداعية لتبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس إلى أساليب تساعده على النجاح في دعوته وتحقيق غايته، وقد جمعت هذه الأساليب الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (النحل: ١٢٥).

والحكمة: هي القول المقنع الذي يوافق الحق، فالقول هو الأصل في تبليغ الدعوة، وقد استخدمه الرسل الكرام لتبليغ رسالات ربهم إلى الناس قال تعالى آمرا رسوله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ (يونس: ١٠٨) فلا يجوز للداعية أن يغفل مكانة الكلمة الطيبة

---

(١) حوى، سعيد: جندالله تخطيطا بيروت - عمان دار عمار ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٩٨ - ٩٩

في النفوس، إلا أن للكلمة الطيبة صفات يجب أن تتحقق فيها حتى تكون مؤثرة ناجحة ومن هذه الصفات ما يلي:

أ - مراعاة القدرات العقلية للمخاطبين فلا تكون فوق مستواهم الفكري والعقلي فتصعب عليهم، ولا تكون دون مستواهم الفكري فيستخفون بها، لقول علي، رضي الله عنه، (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[١].

ب - اختيار الوقت الملائم للمدعوين حتى يتقبلوا الدعوة بحسن الاستماع إلى الداعي، وفي هذا يقول ابن مسعود، رضي الله عنه: (كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)[٢].

جـ - اختيار الألفاظ الواضحة اللينة التي لا تثير المدعو ولا تهيج مشاعره قال تعالى مخاطباً نبيه موسى وهارون، عليهما السلام: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٣ - ٤٤).

وللرفق واللين في الاسلوب فوائد عديدة تتجلى في كسب الناس إلى جانب الدعوة، وبالتالي انطلاقها والتفاف القلوب حولها، فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وقد تدفعها القسوة والشدة أحياناً إلى المكابرة والاصرار والنفور، فتأخذها العزة بالإثم، وليس من معنى اللين المداهنة والرياء والنفاق، وإنما بذل النصح وإسداء المعروف بأسلوب دمث مؤثر يفتح القلوب ويشرح الصدور.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

---

(١) (٢) مجموعة مؤلفين: الثقافة الاسلامية، ص ٢١٢.

لانفضُوا منْ حوْلكَ﴾ (آل عمران : ١٥٩).

د - اختيار الموضوع المناسب الذي يقع في دائرة اهتمام الناس، لأن هذا يسهل على الداعية عمله، ويجعل الناس يهتمون بقوله، ويقبلون على دعوته.

هـ- الابتعاد عن روح الاستعلاء على الناس واحتقارهم واظهار فضله عليهم، وهذا يتطلب من الداعية أن يكلم الناس بروح الناصح المخلص المتواضع الذي يدلهم على ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم.

و - الموعظة الحسنة: هي الكلمة المؤثرة، وهي بالترغيب والترهيب، ويقصد بالترغيب كل ماهو يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبوت عليه، ويقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ومن الملاحظ أن القرآن الكريم أكثر من ترغيب الناس في قبول دعوة الاسلام وتحذيرهم من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الاسلوب في الدعوة إلى الله تعالى. ومن أساليب الترغيب والترهيب تذكير المدعوين بما هم عليه من نعم، وأن من شأن ذلك أن يدعوهم إلى طاعة الله تعالى الذي أنعم عليهم بهذه النعم، والتحذير من فقدهم لها قال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف : ٦٩)[1]

وقال تعالى على لسان هود - عليه السلام - مذكراً بنعم الله على

(١) مجموعة مؤلفين: الثقافة الاسلامية، ص ٢١٣.

قومه: ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) ﴾ (الشعراء: ١٣٢ - ١٣٤)[١].

أما الحوار الذي يستخدمه الداعية فيقصد به إظهار الحق ومن ثم فهو أسلوب مشروع ومندوب لأن إظهار الحق للخلق فيه مصلحة عامة لهم، فإذا ظهر الحق للناس اعتقدوه وعلموا به، وهذا هو الحوار أو الجدال المحمود[٢].

لغة الحوار وأهميتها في الإقناع والاقتناع

لقد شجع القرآن الكريم على الحوار، بمعنى الكلام، وتبادل الرأي، من أجل التوضيح والوصول إلى معرفة الحقيقة.

والقرآن الكريم، عندما فتح باب الحوار والمناقشة وصولاً لإقناع في إيناس ورضاء، لقد وقف أمام المراء الباطل. وما دام الأمر على هذا الوضوح، فكان بالأحرى أن يجعل المحاور قصده الحق وبغيته الصواب، لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (النبأ: ٣٨)، وأن يكون منصفاً غير مكابر، لأنه يطلب الإنصاف، وأن يقصد قول الجد، فقد وصف الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النجم: ٣) وأن يقصد الحوار الحسن، وهو كل ما كان في معالي الأمور وفي محاسنها، لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الزمر: ٢٣) وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

(١) مجموعة مؤلفين: الثقافة الإسلامية، عمان وزارة التربية والتعليم، ص٢١٣ وما بعدها.
(٢) المرجع السابق، ص٢١٦.

صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت : ٣٣).

لهذا أمر الله أنبياءه بالتلطّف في الحوار، وبالتالي هي أحسن. ولقد تجلى هذا المعنى واضحاً، عندما أوحى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قال له: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ (الحجر : ٨٨).

فعلى من يتصدّى للحوار أن يعتزل الهوى، في ما يريد من إصابة الحق، فإن الله تعالى يقول: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (ص: ٢٦) وأن يتجنب الكذب في قوله وخبره، لأنه خلاف الحق، وإنما يريد الحوار وإبانة الحق واتباعه، ولأن اللجوء إلى الكذب من الأمور التي حذّر الله تعالى منها المؤمنين، فقال: ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (القبرة: ١٠) وأن يتجنب الضجر وقلة الصبر، لأن عمدة الأمر في استخراج الغوامض وإثارة المعاني هو الصبر على التأمل والتفكر. ولقد ذمَّ الله تعالى من اقتصر على ظواهر الأمور، دون بواطنها، ونفى العلم عنهم، حيث قال: ﴿ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الأعراف: ١٨٧).

ولقد أجمع العلماء وذوو العقول على تعظيم من أفصح عن حجته، وبين حقه، واستنقاص من عجز عن إيضاح حقه، وقصر عن القيام بحجته، وذم من لا يقيم حجته، ولا يستبين عن حقه في خصومته، لقوله تعالى: ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ (زخرف: ١٨)، وقوله تعالى: ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾ (الشورى: ١٦).

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم، يعرف كيف دعا كتاب الله

المؤمنين إلى اتباع سلوك طريق الحسنى في حوارهم، وبيّن لهم حصاد ذلك من أنه يقلب العدو صديقاً والخصم الألد حميماً. ولهذا حرص القرآن الكريم على أنه يجب على كل من يحاور أو يجادل، أن يكون حواره دحضاً للباطل وإحقاقاً للحق، حتى يصل المجتمع الإنساني إلى الغاية التي رسمها سبحانه وتعالى له.

ومن خلال تتبع حوار الأنبياء المرسلين: نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم - عليهم السلام - ومواقفهم من أقوامهم في محاوراتهم وتساؤلاتهم، وقبولهم كل غلظة وقسوة وجفوة وشدة في الخطاب بكل أدب رفيع، وسلوك كريم، وتوجيه صادق سليم، وتسامح ورحمة. نرى أنها لجديرة أن تحوّل كل عناد إلى انقياد، وأن ترد كل غواية إلى أدب وهداية، ولو كانوا يعقلون. تلك من الدروس المستفادة، التي يجب أن ترتفع إليها مستويات الإنسانية اليوم، في المعاملة وفي التفاهم والمخالفة، في كل ميادين الحياة الزاخرة.

لقد بدد القرآن الكريم ظلمات الشك والحيرة، وقاد النفوس الشاردة إلى حظيرة الطمأنينة. إن دعوة القرآن الكريم دعوة إقناع واقتناع وتدليل وتأثير. ولن تجد أهدى من حقائقه وأسطع من براهينه وأدنى إلى شغاف القلوب، وأدعى إلى اطمئنان العقل من قوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ (سبأ: ٤٦).

إن القرآن الكريم موضع تصديق لا يقبل الشك، بعد أن توالت الأدلة، وتضافرت البراهين. بهذا الإقناع المكين، بلغ مبلغه، حين نادى برسالة سماوية خالدة، حين أخرج الناس من الظلمات إلى النور:

﴿ كتابٌ أنزلناهُ إليكَ لتُخرجَ النَّاسَ منَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بإذنِ ربِّهِمْ... ﴾ (إبراهيم: ١)[١]

المبحث الثاني - إضاءة الدعوة باعتدال الإسلام

جعل الله الأمة الإسلامية خير الأمم، وخصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وجعلها وسطاً، والوسط في اللغة: هو الأفضل والأحسن والأعدل. فأمة الإسلام هي الأمة الأفضل والأعدل بين الأمم، ويعود ذلك إلى منهج الله تعالى الذي خصها به ودعاها للتمسك بأحكامه، وأمرها أن تدعو سائر الناس إليه، قال الله تعالى: ﴿ وكَذَلكَ جعلْناكُمْ أُمَّةً وسَطًا لِتكُونُوا شُهداءَ علَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عليْكُمْ شَهيداً ﴾ (البقرة: ١٤٣) وإن المنهج المعتدل هو الذي جعل الأمة الإسلامية شاهدة على الأمم بكونها منفذة لمنهج الله تعالى داعية إليه، وشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته بأنه قام بتبليغهم دين الله، وقدم من حياته النموذج العلمي لهذا الدين.

مجالات الاعتدال: يظهر منهج الاعتدال في كل ما جاء بها الإسلام، ولا يقتصر على مجال دون سواه، ومن هذه المجالات:

١ ـ الاعتدال في الاعتقاد: جاء الإسلام منهجاً وسطاً في العقيدة، حيث دعا إلى إله واحد يتصف بصفات الكمال، فلم ينكر الألوهية كما فعل الملحدون، ولم يقل بتعدد الآلهة كما فعلت بعض الديانات التي انحرفت عن الطريق السليم، وبين الإسلام أن الرسل بشر أتقياء أنقياء اصطفاهم الله تعالى لتبليغ رسالته للناس، فلم يرفعهم إلى

---

(١) محمد علي نوح قوجيل: أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، طرابلس (ليبيا) جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (د.ت) ص٣٥ وما بعدها.

درجة الإله، ولم ينزل بهم إلى مستوى العصاة من الناس.

٢ - **الاعتدال في العبادة:** انحرفت بعض الأديان والنظم، فركزت اهتمامها على المصالح الدنيوية وجمع المال، وأهملت عبادة الله تعالى كاليهودية والنظم المادية والعلمانية، وضلت أمم أخرى عن منهج الاعتدال فانحرفت بأديانها إلى المبالغة في العبادة والانقطاع عن الدنيا وتعذيب الجسد. أما الإسلام فقد أمر بالاعتدال في العبادات ولم يسمح أن تكون وسيلة لتعذيب النفس، أو الانقطاع عن الدنيا، ولم يكلف الله تعالى الإنسان فوق طاقته بل جعل الدين يسراً، قال الله تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦) وقال تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ (البقرة: ١٨٥). وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجالاً سلكوا في حياتهم غير طريق الاعتدال حيث سألوا عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها، فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وقد أباحت الشريعة الإسلامية بعض الرخص للمسلمين مثل الإفطار في رمضان للمسافر، والتيمم بالتراب عند عدم وجود الماء، وقصر الصلاة في السفر وغيره[1].

---

(١) مجموعة مؤلفين: التربية الإسلامية، مرجع سبق ذكره ص ٢١١.

وتمتاز العبادة وغيرها من التكاليف الشرعية باليسر والاعتدال، مع مراعاة أحوال الإنسان وظروف حياته، ولم يكلف الله تعالى نفساً فوق طاقتها، ولم يسمح بالمغالاة في جانب، والتقصير في جانب آخر. فالعمل له وقته، والعبادة لها وقتها، والنوم له وقته، والراحة لها وقتها كذلك. وهكذا تستمر شؤون الحياة عند المسلم في توازن واعتدال. وفي الحديث الشريف توضيح لميزة اليسر والاعتدال في العبادة.

التشدد ليس من الدين - يتمثل شرع الله تعالى في التيسير والاعتدال؛ لأن التشدد يؤدي إلى الملل وعدم القدرة على الاستمرار في الطاعة والعبادة، وإهمال الجوانب الأخرى في حياة الإنسان، مما يعطل دوره في إعمار الأرض وفق شرع الله تعالي. وقد خَطَّأ النبي صلى الله عليه وسلم نهج الغلاة لما ظنوه من قلة عبادته، وبيّن لهم أنه أكثر الناس خشية لله تعالي، وأشدّهم تقوى له، وحرصاً على طاعته وعبادته، وأن غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر تجعله عبداً شكوراً لربّه.

اعتدال الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته:

يؤكد الحديث الشريف صفة الاعتدال في عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان يقوم للصلاة والتهجّد في الليل، وينام كذلك، فيخصص للعبادة جزءاً من الليل، وللنوم جزءاً آخر، وكان يصوم من كل شهر أياماً أخرى، وكان يتزوج النساء ويعطي كل زوجة حقها، ويعطي لنفسه الراحة، ويخالط الناس ويساعدهم، وهو بذلك يعطي كل ذي حق حقه، يصلي وينام، يصوم ويفطر، يعبد الله تعالى، ويعيش حياته الاجتماعية، يعامل الناس ويتعاون معهم. وهذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء: صدق سلمان حين

قال له، رضي الله عنه: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه(١).

إن طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادة واجبة الاتباع، والإعراض عنها وتركها حرام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تبرأ ممن ترك طريقته، وأعرض عن سنته(٢).

الاعتدال في التشريع - ويظهر الاعتدال في التشريع واضحاً في أمثلة كثيرة منها:

أ - **الإنفاق**: أباح الله تعالى للإنسان الطيبات من الرزق، والاستمتاع بمباهج الدنيا التي أحلها له، ونهى عن تحريم شيء من النعم التي أحلها الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ (الأعراف: ٣٢)، ولكن الله حرَّم الإسراف والتبذير في الإنفاق، كما حرم البخل والتقتير على النفس، وعلى الأهل قال الله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ (الإسراء: ٢٩)، فالعناية بالمال واستثماره وادخاره باعتدال يحول دون الندم والحسرة، والمسلم لا يقعد عن العمل والكسب في الدنيا بل يجتهد في عمله دون أن يشغله عمله عن آخرته وعبادة ربه، وما يكسبه من مال لا يكنزه ولكن ينفقه على نفسه وعلى عياله وعلى المصالح العامة بطريقة معتدلة من غير تبذير، والمسلم يستمتع بما أنعم الله تعالى عليه من غير أن يبطر ويترف، والبطر والترف إنفاق للمال فيما لا لزوم له، فإذا أعددت الطعام لك ولضيوفك،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصوم، من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع.
(٢) مجموعة مؤلفين: التربية الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص١٦٦ - ١٦٧.

وأهلك فأعدد ما يكفيهم ولا تسرف في ذلك بقصد التباهي والتفاخر، وإذا ادخر المسلم مالاً فعليه أن يؤدي حقه كالزكاة والصدقة، وإلا كان كنزاً محرماً، بل لقد ذهب الإسلام إلى منع المترفين الذين يبذرون أموالهم ولو على وجوه الخير، وعدهم من السفهاء الذين يحجر على تصرفاتهم، لذلك وصف الله المؤمنين بالاعتدال، فقال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٧)، إلا أننا يجب أن نعلم أن البذل في سبيل الله عندما تكون الأمة محتاجة كأن تكون في حالة حرب أو في مواجهة كوارث طبيعية لا يعد تبذيراً مهما أنفق في سبيل ذلك. كما فعل أبوبكر رضي الله عنه إذ جاء بكل ماله عند إعداد جيش المسلمين لغزوة تبوك.

الأكل والشرب – قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١). والإسراف هو تجاوز الحد، ويؤدي إلى إضاعة المال، ويصبح هم الإنسان المسرف أن يملأ بطنه، وينعم نفسه على حساب الآخرين، لذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين أن لا يضيعوا شيئاً من الطعام مهما كان يسيراً حتى ينتفع به، ففي الحديث النبوي الشريف «إذا سقطت من أحدكم اللقمة، فلْيُمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعقَ أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة»[١]، ومن صفات المؤمن الاكتفاء بأقل الطعام وبخاصة عندما يكون غيره بحاجة إلى الطعام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[٢]،

---

(١) صحيح مسلم، باب مسح اللقمة.

(٢) صحيح مسلم كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في معي واحد.

فإذا اقتصد المسلم في طعامه استطاع أن يشارك فيه سواه، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية»[١]، وهذا مظهر من مظاهر الاقتصاد في الطعام والشراب.

وهكذا تكون أخلاق المسلم، لا يسرف في الطعام وإخوته محتاجون، ولقد حرّم الإسلام كل مظاهر الترف والإسراف في الأكل الشرب وحرَّم كذلك الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة تحقيقاً لمبدأ الاعتدال والوسطية.

العقوبات: وتجد الاعتدال واضحاً في نظام العقوبات في الإسلام، ذلك أن العقوبة في الإسلام على قدر الجريمة، ومناسبة لها، فلا يعاقب إنسان على جريمة معينة بعقوبة لا تتناسب والجريمة التي ارتكبها، ولا تتغير العقوبة من شخص إلى آخر كما كان عليه الناس في الجاهلية حيث كانوا يعاقبون الضعيف، ويتركون الشريف من الناس دون عقوبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أهلك الذين .... الحديث». ودعت الشريعة الإسلامية المسلم إلى العفو عن الجرائم التي فيها مجال للعفو، فقال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾ (الإسراء: ٣٣)، ودعت كذلك إلى التسامح بين الناس والعفو عن الجرائم، التي تخصهم، كجرائم القتل، أما إن كانت متعلقة بحق الله تعالى كجرائم الحدود فلا عفو فيها[٢]. وأثنى المسلمون والعرب على منهج الوسطية في الحياة، وعلى سبيل المثال قال شاعر:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب طعام الاثنين يكفي الثلاثة.

(٢) مجموعة مؤلفين: التربية الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص٢١٢ وما بعدها.

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعباً[1]

وقال آخر:

جرى مثل دلّ السماع من الحجى عليه على مرّ الزمان قديمُ
توّسط إذا ما شئت أمراً فإنه كلا طرفي قصد الأمر ذميمُ

وقال آخر:

لا تذهبن في الأمور فرطاً ولا تسألن إن سألت شططاً
وكن من الناس جميعاً وسطا[2]

المبحث - الثالث تنوير الدعوة بسماحة الإسلام:

حفل القرآن الكريم بدعوة المسلمين إلى التسامح. فلم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ما داموا في سلم من المسلمين وحسن صلة ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨) وأمر الإسلام بالرفق في الدعوة إليه، وأمر بمناقشة المخالفين بالحسنى. وقال: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦). وقال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وأمر النبي أن يجير المشرك إذا لجأ إليه واحتمى به، وهذه سماحة ما بعدها سماحة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٥٥.

(٢) ابن الأزرق (محمد بن الأزرق الأندلسي - توفي ٨٩٦هـ = ١٤٩١م) بدائع السلك في طبائع الملك، ج١، تحقيق د.محمد بن عبدالكريم، تونس ليبيا د.ت) ص٤٠٧.

كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة : ٦) . وحض النبي على التسامح وحببه إلى المسلمين بقوله وبفعله . قال عليه الصلاة والسلام : «من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[١] .

وهذه طائفة من الأحكام يتساوى فيها المسلم والذمي :[٢]

١ - هما سواء في القصاص، فالنفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن. وهما سواء في الديات والضمان والتعازير، ويجري على الذمي ما يجري على المسلم .

٢- وفي الاحوال الشخصية ابيح للذمي كل زواج يقره دينه وان خالف الدين الاسلامي . وابيح له كل طلاق . وان لم يتفق مع الاسلام . وليس للاسلام ان يتعرض للذميين في شيء من هذا، إلا اذا احتكموا اليه .

٣- ساوى الاسلام في الحرمان من الميراث بين الذمي والمسلم فلا يرث المسلم قريبه الذمي، ولا يرث الذمي قريبه المسلم، ولا يرث الزوج المسلم زوجته الكتابية وكذلك لا ترثه .

٤- اباح الاسلام للمسلمين ان يأكلوا من طعام اهل الكتاب وذبائحهم بشرط ان يكون المذبوح مما يحل للمسلمين أكله . قال تعالى ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ المائدة/ ٥ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون

(١) د. أحمد محمد الحوفي: سماحة الإسلام، ط٢، القاهرة: دار النهضة مصر ١٩٨٠، ص٥٦ وما بعدها.

(٢) د. أحمد محمد العوفي، سماحة الإسلام. القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٨٠م ص٥٦ وما بعدها.

يأكلون من طعام أهل الكتاب.

٥- احل الاسلام للمسلم ان يتزوج نصرانية او يهودية، وتبقى على دينها، ولها على زوجها من الحقوق مثل ما للمسلمة. قال تعالى ﴿ وطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة ٥]. اما زواج المسلم بمشركة فإنه باطل، لان الصلة القلبية لا تتحقق بين زوج مؤمن بالله وزوجة مشركة.

وقد بني هذا على سماحة الاسلام وتساهله مع اهل الكتاب، لأن الزوج المسلم مؤمن باليهودية وبالمسيحية. ومصدق بموسى وعيسى عليهما السلام، فهو لا يجبر زوجته الكتابية على الاسلام. ولأن في المصاهرة قضاء على الاحقاد، ولهذا كثيراً ما تزوج المسلمون بكتابيات.[١]

لكن لا يحل لمسلمة ان يتزوجها كتابي، لان نظر الكتابي الى الاسلام يختلف كل الاختلاف عن نظر المسلم الى سائر الاديان، فالكتابي لا يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم كما يؤمن المسلم بموسى وعيسى. ومن هنا تكون الصلة الاعتقادية بين الزوجين معدومة، ثم انه قد يهددها بتغيير دينها على ان اولادها يتبعون اباهم في دينه، وهي لا تستطيع ردهم، يضاف الى ذلك ان لزوجها عليها ولاية وسلطاناً، والاسلام لا يجعل لغير المسلم ولاية على المسلم. لهذا كله منع الاسلام المسلمة من ان يتزوجها كتابي. لكن المسلم لا يرث زوجته الكتابية ولا ترثه. وليس هنا منفذ للاعتراض، لان الاسلام ابطل ميراث الزوج كما ابطل ميراث الزوجة، وفي هذا عدل وسماحة. اما

---

(١) د. احمد محمدالحوفي، المرجع السابق، ص ٥٧

الشريعة اليهودية فانها تورث الزوج اليهودي من زوجته غير اليهودية على حين انها لا تورثها منه. والاصل في ذلك ان الاسلام يجعل اختلاف الدين مانعاً من الارث، وهو في هذا المنع يساوي بين الاديان كلها، فلا يفضل المسلم على النصراني او اليهودي، فاذا كان النصراني او اليهودي لا يرث قريبه المسلم، فكذلك المسلم لا يرث قريبه من هؤلاء او هؤلاء.

٦. اما الحرية الدينية فقد كفلها الاسلام لاهل الكتاب، فهم احرار في عقيدتهم وعباداتهم واقامة شعائرهم في كنائسهم، ولهم ان يجددوا ما تهدم منها، وان يبنوا جديداً، ولهم دق نواقيسهم ايذاناً بصلاتهم، ولهم اخراج صلبانهم في يوم عيدهم[1].

ولم يحدث في زمن الفتوح ان هدم المسلمون كنائس اهل الكتاب، او حملوهم على الاسلام، واضطهدوهم اضطهاداً دينياً او سياسياً يقتسرهم على ان يعتنقوا الاسلام وسيلة للنجاة. فقد اعطى عمر وغيره اهل الكتاب الامان على كنائسهم وصلبهم. وفي المعاهدات مع فارس نص على حرية اهلها في شعائرهم الدينية.[2]

وفي مصر اعطى عمرو بن العاص اهلها الامان على كنائسهم وصلبهم. ويذكر حنا النيقي أن المسلمين في مصر وافقوا على الا يحتلوا اية كنيسة، وعلى ألا يتدخلوا في شؤون الاقباط باية صورة من الصور، ويذكر ان عمرو بن العاص جبى الضرائب المفروضة، لكنه لم يمد يده قط الى شيء من املاك الكنائس. ولم يأت بعمل من اعمال النهب والتدمير، لقد حافظ علي الكنائس الي آخر ايامه. ففي انحاء

(١) روى أبو يوسف في كتابه الخراج أن خالد بن الوليد صالح أهل الحيرة على ذلك.
(٢) د. احمد محمدالحوفي، المرجع السابق، ص ٥٧

الامبراطورية الاسلامية كانت الكنائس تبنى بحرية، وكانت تشيد بموافقة الحكام، واحيانا بمساعدتهم، والزعم بأن عمر بن عبدالعزيز منع بناء الكنائس زعم مشكوك فيه، فلم يذكره سوى مؤرخ واحد، ولم تشر إليه المراجع النصرانية مما ينهض دليلاً على عدم وقوعه.

وقد ذكر ابن العبري ان البطريق النسطوري ابرم اتفاقاً مع العرب، كان من شروطه ان يمد العرب يد المساعدة للنساطرة في تجديد كنائسهم القديمة. وذكر السير توماس ارنولد ان بعض الخلفاء امروا ببناء كنائس في الشام والعراق وشمالي الجزيرة ومصر، وانفقوا عليها، ومازال بعضها قائماً الى اليوم مثل كنيسة (ابوسجة) التي بنيت بالفسطاط في العهد الاسلامي الاول.

وقدبنى خالد القسري - والى بني امية في العراق وفارس - لأمه المسيحية كنيسة لتتعبد فيها، في العهد الاول للدعوة الاسلامية، ايام ان كانت الحرب على اشدها بين المسلمين والروم المسيحيين.

٧. مال الذمي مصون كمال المسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «من اخذ شبراً من ارض بغير حق طوقه يوم القيامة من سبع ارضين» واوصى بهم ابوبكر وعمر.

٨. اباح الاسلام للمسلمين ان يعاملوا الذميين في جميع المعاملات المباحة، ولهم ان يضيفوهم ويستضيفوهم، وان يبادلوهم الهدايا.

٩. للمسلم ان يعطي صدقة الفطر والتطوع للفقير الذمي من اهل بلده[1]

---

(١) يجوز دفعها له وإن كان الأصل صرفها لفقراء المسلمين. وفي رأي أبي يوسف أنه لا يجوز صرف صدقة التطوع للذمي اعتباراً بالزكاة. واختلفوا أيضاً في صدقة الفطر =

١٠. للمسلم او الذمي خمس الركاز الذي يعثر عليه في غير ملك لاحد، وللدولة اربعة اخماسه.[1].

المبحث الرابع - الدعوة الى الخوارج وغير المسلمين:

سأتطرق في هذا المبحث الى حوارات جرت بين الخليفة عمر بن عبدالعزيز والخوارج وكذلك حوار الزاهد ابي يزيد البسطامي مع احد الرهبان.

اولاً - حوار الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه مع الخوارج:

أ - محاورة عمر بن عبدالعزيز رجلين من الخوارج:

دخل رجلان من الخوارج على عمر بن عبدالعزيز فقالا: السلام عليك يا انسان، فقال: وعليكما اسلام يا انسانان. قالا: طاعة الله احق ما اتبعت. قال: من جهل ذلك ضل. قالا: الاموال لا تكون دولة بين الاغنياء. قال: قد حرموها. قالا: مال الله يقسم على اهله. قال: الله بين في كتابه تفصيل ذلك. قالا: تقام الصلاة لوقتها. قال: هو من تمام السنة، قالا: بعثنا اليك. قال: بلغا ولا تهابا. قالا: ضع الحق بين الناس. قال: الله امر قبلكما. قالا: لا حكم إلا لله. قال: كلمة حق إن لم تبتغوا بها باطلاً. قالا: ائتمن الأمناء. قال: هم اعواني. قالا: احذر الخيانة. قال: السارق محذور. قالا: فالخمر

= والنذور والكفارات ففي رأي أبوحذيفة ومحمد أنه يجوز دفعها للذمي وأبو يوسف لا يجوز ذلك. أما الزكاة والصدقة الواجبة فلا تصرف للذمي بإجماع الآراء. (الجوهرة النيرة. شرح مختصر القدوري ١/ ١٦٥ والأحكام السلطانية ١١٩).

(١) الركاز ما يوجد من ذهب أو فضة أو جواهر أو ثياب في غير ملك أحد. انظر: د.أحمد محمد الحوفي، الرجع السابق، ص٧٧ وما بعدها. وفي التفصيل انظر د.أحمد محمد الحوفي: مرجع سابق ذكره ص٥٨.

ولحم الخنزير. قال: اهل الشرك احق به. قالا: فمن دخل في الاسلام فقد أمن. قال: لولا الاسلام ما امنا. قالا: اهل عهود رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: لهم عهودهم. قالا: لا تكلفهم فوق طاقتهم. قال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦). قالا: تردنا الى من ارسلنا. قال: ما احبسكما. قالا: فما نقول لاخواننا؟ قال: ما رأيتما وسمعتما. قالا: تردنا على دواب البريد. قال: لا هو من مال الله لا نُطيِّبه لكما. قالا: فليس معنا نفقة. أنتما إذن ابنا سبيل علي نفقتكما.[1]

ب - كتب عمر بن عبدالعزيز: من عبدالله عمر امير المؤمنين الى هذه العصابة:

اما بعد. اوصيكم بتقوى الله، فانه ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢، ٣) فقد بلغني كتابكم والذي كتبتم فيه الى يحيي بن يحيى[2] وسليمان بن داود، وقدوم صاحبيكم والذي أتى اليهما، وان الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الصف/ ٧. وقال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

---

(١) ابن عبدالحكم (أبو محمد عبدالله - توفي ٢١٤هـ) الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين، برواية ابنه أبي عبدالله المتوفى سنة ٢٦٨هـ تحقيق أحمد عبيد، مراجعة وتعليق أحمد عبدالتواب عوض، القاهرة: دار الفضيلة، ١٩٩٤م، ص١٦٧.

(٢) هو أبوعثمان، يحيى بن قيس بن حارثة الغساني، قاض عالم بالفتيا، له أحاديث ثقة، كان أبوه على شرطة مروان بن عبدالحكيم، اشتهر بعمله، وولاه عمر بن عبدالعزيز قضاء الموصل. ولد سنة ٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٣هـ. (انظر: تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٩، والأعلام للزركلي ٨/ ١٧٦).

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥). وقال: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد - ٣٥). وإني أدعوكم إلى الله، وإلى الإسلام، وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. وأدعوكم إلى ان تدعوا ما كانت تراق عليه الدماء قبل يومكم هذا في غير قوة ولا تشنيع. وأذكركم بالله أن تُشبّهوا[1] علينا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ونحن ندعوكم اليهما. هذه نصيحة منّا نصحنا لكم فيها، فإن تقبلوها فذلك بغيتنا وإن تردوها على من جاء بها فقديماً ما استُغشَّ الناصحون ثم لم نر ذلك وضع شيئاً من حق الله وقد قال العبد الصالح لقومه: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود - ٣)، وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف - ١٠٨)[2].

ثانياً: حوار أبي يزيد البسطامي مع الراهب:

حكي أنه كان ولي من أولياء الله تعالى يقال له أبو يزيد البسطامي، وان قد حج خمساً وأربعين حجة، ويقرأ كل يوم ختمة. فبينما هو واقف على جبل عرفات إذ قالت له نفسه: من مثلك يا أبا يزيد، حججت خمساً وأربعين حجة، وقرأت عشرة آلاف ختمة. فنادى في الحال: من يشتري مني خمساً وأربعين حجة برغيف خبز؟ فقال رجل: أنا. فأخذ منه الرغيف وألقاه إلى كلب فأكله. ثم شدد

(١) شبه عليه الأمر، أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره.

(٢) ابن عبدالحكم: مرجع سبق ذكره، ص ٩٤ - ٩٥

على نفسه ودخل إلى بلاد الروم: وإذا براهب قد أمسك بيده وأتى به إلى منزله، وأخلى له مكاناً في داره، فأقام يعبد الله تعالى في ذلك المكان، والراهب يأتيه في كل يوم بالأكل والشرب بُكرة وعشيا مدة شهر. فقال أبو يزيد يوماً لنفسه: يا نفس، أنا أريد أن أكسرك وشو ما تنكسري؟ قال: فبينما يخاطب نفسه وإذا بالراهب قد دخل عليه وقال: ما اسمك؟ قال: أبو يزيد. فقال الراهب: ما أحسنك لو كنت عبد المسيح. قال: فصعب ذلك على أبي يزيد وأراد الخروج من عنده. فقال له الراهب: أقم عندنا إلى تمام أربعين يوماً؛ فإن لنا عيداً عظيماً وأريد أن تحضر، ولنا أيضاً واعظ يعظنا من السنة إلى السنة مرة واحدة، فأجابه إلى ذلك.

فلما كان تمام الأربعين دخل عليه الراهب وقال له: قم، أتى يوم عيدنا، فلما قام قائماً قال له: كيف تمضي معي وتحضر بين ألف راهب وأنت على هيئتك هذه؟ فإني أخشى عليك، ولكن اخلع ثيابك والبس هذا البرنس وشد وسطك بالزنار وعلّق الانجيل على صدرك. قال: فلما سمع كلام الراهب صعب عليه ذلك. فنودي في سره: يا أبا يزيد، افعل ذلك فإن لنا فيه ارادة ومشيئة. قال: فعند ذلك خلع ثيابه ولبس البرنس وشد وسطه بالزنار وحمل الانجيل على صدره وتوجه معه إلى البيعة وجلس مع الرهبان فلم ينكروا عليه. قال: فبينما هو كذلك رأوا أعظمهم قد أقبل ولم يتكلم. فقال له: لم لا تتكلم كعادتك؟ فقال: كيف أتكلم وبينكم رجل محمدي؟ فقالوا: قل لنا عليه حتى نقطعه بسيوفنا. فقال: والله ما أدلكم عليه حتى تحلفوا أنكم لا تؤذونه ولا تشوشون عليه - فحلفوا له على ذلك. فقال الراهب عند ذلك: أقسمت عليك أيها المحمدي بالله إلا ما قمت من بين الجماعة. قال:

فوثب أبو يزيد قائماً على قدميه فقال: انظروا اليه. فقالوا: صدقت أيها الشيخ فقال له: ما اسمك؟ قال أبو يزيد؛ قال: تعرف شيئاً من العلم؟ قال: أعرف الذي علمني ربي عز وجل. قال: أخبرني عن واحد ما له ثان وثان ما له ثالث، وثالث ما له رابع، ورابع ما له خامس، وخامس ماً له سادس، وسادس ما له سابع، وسابع ما له ثامن، وثامن ما له تاسع، وتاسع ما له عاشر، وعاشر ما له حادي عشر، وحادي عشر ما له ثاني عشر، وثاني عشر ما له ثالث عشر؟ فقال أبو يزيد: اسمع الجواب بعون الملك الوهاب. أما الواحد فهو الله لا إله إلا هو، واحد لا شريك له، اما الثاني فهو الليل والنهار. وأما الثالث فهو الطلاق ثلاث مرات. وأما الأربعة فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان. وأما الخمسة فالصلاوات الخمس. وأما الست فهي الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. وأما السبعة فهي السموات السبع، وأما الثمانية فانها حملة العرش يوم القيامة. وأما التسعة فهي مدة حمل المرأة للولد. وأما العشرة فهم الكرام البررة. وأما الحادي عشر فإخوة يوسف عليه السلام. وأما الثاني عشر فهي السنة: اثنا عشر شهراً.

فقال له الراهب: صدقت، فأخبرني عمن خُلق من الهواء، ومن حفظ في الهواء، ومن هلك بالهواء، فقال: خلق من الهواء عيسى عليه السلام، وحفظ في الهواء سليمان عليه السلام، وهلك بالهواء قوم عاد. فقال: صدقت، فأخبرني عمن خلق من الخشب، ومن حفظ في الخشب، ومن هلك من الخشب. فقال أبو يزيد: خلق من الخشب عصا موسى عليه السلام، وحفظ في الخشب نوح عليه السلام، وهلك بالخشب النبي زكريا عليه السلام. فقال الراهب: صدقت، فأخبرني عمن خلق من النار، ومن حفظ بالنار، ومن هلك بالنار. فقال أبو

يزيد: خلق من النار ابليس، وحفظ في النار إبراهيم خليل الله عليه السلام، وهلك بالنار أبو جهل. قال الراهب: صدقت، فأخبرني عمن خلق من الحجر ناقة صالح عليه السلام، وحفظ في الحجر أصحاب الكهف؛ وهلك بالحجر أصحاب الفيل. فقال له الراهب: صدقت، فأخبرني عن قول العلماء فانهم يقولون ان في الجنة أربعة أنهار: نهر من عسل، ونهر من لبن، ونهر من ماء، ونهر من خمر وكل ذلك يجري في مجرى واحد؛ لا هذا يختلط بهذا؛ ولا هذا يختلط بهذا. فهل له مثال في الدنيا؟ قال: نعم الجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولا يتغوط، ولو تغوط في بطن أمه لماتت. قال: صدقت، فأخبرني عن شجرة في الجنة اسمها «طوبى»، ليس في الجنة قصر ولا غرفة إلا وفيه غصن من أغصانها، فهل لها مثال في الدنيا؟ قال: نعم الشمس إذا طلعت، قال: صدقت، فأخبرني عن شجرة لها اثنا عشر غصناً، في كل غصن ثلاثون ورقة، في كل زهرة زهرتان في الشمس وثلاث زهرات في الظل؟ فقال أبو يزيد: أما الشجرة فهي السنة اثنا عشر شهراً، والورق بعد أيام الشهر، والزهرات فهي الصلاوات الخمس، وأما التي في الشمس فالظهر والعصر والتي في الظل فالمغرب والعشاء والصبح. فقال الراهب: صدقت، فأخبرني عمن حج بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة الحج. فقال ابو يزيد: تلك سفينة نوح عليه السلام. فقال الراهب: صدقت، فأخبرني أين يكون الليل إذا جاء النهار؛ وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟ فقال أبو يزيد: ذلك في غامض علم الله تعالى، فإن ذلك لا يظهر عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب. فقال: صدقت.

ثم بعد ذلك قال أبو يزيد للراهب: أما أنت فقد سألت عن

مسائل وأجبتك عليها، وأريد أن اسألك عن مسألة واحدة فقال الراهب: سل ما شئت. فقال أبو يزيد: أخبرني عن مفتاح الجنة ما هو، وما مكتوب على أبوابها؟ فسكت الراهب. فقال له الرهبان: غُلبت يا أبانا. قال لا. قالوا: فلم تجبه مثل ما أجابك؟ قال: أخاف ان أجبته عنها تقتلوني. قالوا له: وحق الانجيل إن أجبته لا نقتلك. فقال الراهب: اعلموا ان مفتاح الجنة قول لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله. فقال الرهبان عند ذلك: نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد ان محمداً رسول الله. فقال الراهب: نحمد الله الذي أسلمتم. فإني كنت مسلماً منذ ستين سنة ولكني كنت أكتم ايماني خوفاً منكم. إلى ان منّ الله عليّ بهذا الرجل. فقال: ثم أخربوا البيعة وجعلوها مسجداً لله تعالى. وأقام أبو يزيد عندهم يعلمهم أمور دينهم. ثم ودّعهم ورجع إلى بلاده[1].

الفرع الثاني - أهمية الحوار في مجال التربية

الحوار قائم على الاقناع، ولعل التربية التي تقوم على هذا الأسلوب تكون تربية عقلانية فالمفهوم أو الهدف الذي يدركه الإنسان ويتفهم جدواه يؤمن به أو ينفذه طواعية بينما يحصل عكس ذلك في حالة الإيمان غير الصادق كما في حالة المراء، أو التنفيذ القسري الذي يخلو من الإبداع.

ويعد المفكر المسلم رجاء غارودي، الحوار ذا مهمة تربوية، إذ يقول «إن تجربة العلاقة التربوية هي جوهرياً علاقة حوار نقدي وخلاق

(١) د. عبدالرحمن بدوي: شطحات الصوفية، ط٣، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٨م، ص ٢١٨ وما بعدها.

في وقت واحد[١].

وسأبين أهمية الحوار في مجال التربية الإسلامية، وفي دوره في غرس القيم الاخلاقية وفي مجانبة الغلو وذلك في ثلاثة مباحث مستقلة.

المبحث الأول - ماهية التربية الإسلامية؟:

التربية الإسلامية: تربية أخلاقية إنسانية هدفها بناءً العبد الصالح المستقيم في الدنيا والعامل من أجل الآخرة وخصائص هذه التربية هي:

١ - اقتران التربية العقلية بالتربية الاعتقادية.
٢ - موضوع التربية الإسلامية هو الإنسان.
٣ - هدف التربية تكوين الإنسان الخيّر في حياته وعلمه.
٤ - تعمل التربية الإسلامية على الالتزام الأخلاقي بما نتعلم علمياً.
٥ - اقتران التربية الأخلاقية بالتعلم والحكمة.
٦ - التربية الإسلامية ربانية المصدر والغاية.
٧ - التربية الإسلامية شمولية، واقعية، معتدلة، تراعي الفطرة الإنسانية وتوجهها إلى الغاية التي خلق الإنسان من أجلها وهي مستمرة مدى الحياة[٢].

ولا تقتصر التربية الإسلامية على تعلم المبادئ الأخلاقية ولا على مجرد تطهير الباطن من الرذائل وتحلية المظهر بالفضائل بالاعتياد عليها فحسب بل تشتمل أيضاً على إزالة روح الشر من نفس المتربي وتكوين

---

(٢) رجاء غارودي، مشروع الأمل، بيروت دار الآداب، ١٩٦٨م، ص١٤

(٢) انظر في التفصيل د.مقداد يالجن: التربية الأخلاقية الإسلامية، ط٢، الرياض: عالم الكتب ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م، ص٦٢.

روح الخير في نفسه بحيث يسعى لخير أمته وخير الإنسانية[١].

ويعمل المنهج الإسلامي على تربية النفس وتزكيتها والسمو بها عن رذائل الدنيا وزينتها، فالدنيا لعب ولهو وأن وظيفة الإنسان فيها إنما هي لإعمار هذه الأرض التي استخلفه الله فيها، وأنه - أي الإنسان - سيحاسب على كل صغيرة وكبيرة فيها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم»[٢] وأنه في هذه الدنيا عابر سبيل من العاجلة إلى الآجلة: دار البقاء والخلود.

ولقد ركز العلماء المسلمون، في تربيتهم للنفس، على تنمية واستخدام الإرادة أولاً (﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ (الشمس: ٩، ١٠)، والضمير يعود أولاً وآخراً بالفلاح أو بالخيبة على الفرد ذاته، وعلى تكوين العادات ثانياً، وبالطبع فإن المقصود بالعادات هنا هي العادات الحسنة التي تفضي إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها.[٣]

ومن خلال الحوار نغرس المفاهيم التربوية الإسلامية كما أن التربية لا تقتصر على التلقين أو الحفظ الببغائي وإنما هي ممارسة يطبقها المربي ويجد ثمرة جهوده التربوية في المتعلم من خلال الحوار العلمي

---

(١) د. مقداد يالجن: المرجع السابق، ص٦٤٨.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب القيامة (٣٨)، باب (١)، حديث رقم: ٢٤١٦، ٥٢٧/٤.

(٣) د.نزار العاني: الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي - دار الفرقان ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ص١٩٨.

القائم على الإقناع والقبول.[١]

المبحث الثاني- غرس القيم الأخلاقية:

توسل الإسلام بأسلوبي الترغيب (الثواب) والترهيب (العقاب) لتربية المسلم التربية الصالحة وأبرز هذه القيم هي قيم الصدق، والأخلاق، والعدل، والإيثار، والوفاء، وحب الخير للناس، والتعاون، والاعتدال في المعيشة، والحرص على الوقت، وصلة الرحم، ومواساة الضعفاء.

وتتمحور القيم في الإسلام حول الكليات الخمس وهي: العقل، والنفس، والنسل، والمال، والدين، ويقول الشاطبي: أن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها أن تكون ضرورية والثاني أن تكون حاجية، والثالث أن تكون تحسينية، والضرورية فحواها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين والحفظ لها يكون بأمرين أحدهما ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم[٢].

ومن آيات الترغيب: قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ

---

(١) علي جريشة: مرجع سابق ذكره، ص١٢٨.

(٢) الشاطبي (أبو إسحاق) - توفي - ٧٩٠هـ، الموافقات على أصول الشريعة الجزء ٢، ص٩.

مسكينا ويتيما وأسيرا (٨) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (٩)﴾ (الإنسان: ٨-٩) وقال تعالى:

﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٣٨)﴾ (الروم: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿إنَّ اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها وإذا حكمتم بين النَّاس أن تحكموا بالعدل﴾ (النساء: ٥٨) وقال عزّ وجل: ﴿ولا تفرقوا واذكروا نعمت اللَّه عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (آل عمران: ١٠٣). وقال سيد الكائنات: من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله)[1].

ومن ايات الترهيب (العقاب) قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنىٰ إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢) وقال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسىٰ أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسىٰ أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (الحجرات: ١١) وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)[2].

حكايات: هذه الحكايات ذات مغزى تربوي إذ توضح المعالم المميزة في تاريخنا الإسلامي المجيد:

---

(١) صحيح مسلم: ج٣، ص١٥٠٦.

(٢) (الجامع الصغير)، ج١، ص٢٧٥.

١ - لما وُلِّيَ عمر بن عبدالعزيز أتت عمة له، إلى فاطمة امرأته فقالت: إني أريد كلام أمير المؤمنين. قالت لها: أجلسي حتى يفرغ فجلست فإذا بغلام قد أتى فأخذ سراجاً. فقالت لها فاطمة: إن كنت تريدينه فالآن، فإنه إذا كان في حوائج العامة كتب على الشمع، وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجه، فقامت فدخلت عليه فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح وزيت وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين أتيت لحاجة لي ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي. قال: وما ذاك يا عمة؟ قالت: لو اتخذت لك طعاماً ألين من هذا. قال: ليس عندي يا عمة، ولو كان عندي لفعلت. قالت: يا أمير المؤمنين كان عمك عبدالملك يجري عليَّ كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم كان أخوك سليمان فزادني، ثم وليت أنت فقطعته عني. قال: يا عمة إن عمي عبدالملك، وأخي الوليد، وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذلك المال لي فأعطيكه، ولكني أعطيك مالي إن شئت. قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: عطائي مائتا دينار فهل لك؟ قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟ قال: فليس أملك غيره يا عمة. قالت: فانصرفت عنه[1].

٢ - وكان لعمر بن عبدالعزيز غلام يأتيه بقُمْقم من ماء مسخّن يتوضأ منه فقال للغلام يوماً: أتذهب بهذا القمقم إلى مطبخ المسلمين فتجعله عنده حتى يسخن ثم تأتي به؟ قال: نعم أصلحك الله. قال: أفسدته علينا. قال: فأمر مزاحماً أن يغلي ذلك القمقم ثم ينظر ما يدخل فيه من الحطب ثم يحسب تلك الأيام التي كان

(١) ابن عبدالحكم، مرجع سابق ذكره، ص٧٢.

يغليه فيها فيجعله حطباً في المطبخ. قال: وأصابته جنابةٌ في ليلة باردة فأسخن له ماء فأتى به فقال: أين سخَّنته؟ قال: على مطبخ العامة. قال: فنحِّه. قال: فناداه رجل وخاف عليه إن اغتسل بالماء البارد في تلك الليلة: أنشدك الله يا أمير المؤمنين في نفسك فإن كان لا بد فعوِّضه قيمة، ثم أدخله بيت مال المسلمين. ففعل ذلك عمر رضي الله عنه[١].

٣ - قال محمد ابن الدينوري: سمعت بشر بن الحارث[٢] وسُئل: ما كان بدء أمرك، لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي؟ قال: هذا من فضل الله، وما أقول لكم؟ كنت رجلاً عيّاراً[٣] صاحب عصبيّة. فجزت يوماً، فإذا أنا بقرطاس في الطريق، فرفعته فإذا فيه(بسم الله الرحمن الرحيم). فمسحته وجعلته في جيبي. وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما. فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية (طيب من المسك والعنبر). ومساحته في القرطاس. فنمت تلك الليلة؛ فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول يا بشر بن الحارث! أرفعت اسمنا عن الطريق وطيبته، لأطيّبنَ اسمك في الدنيا والآخرة! ثم كان ما كان.

وحكي أن بشراً كان في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدق الباب. فخرجت إليه خادمة، فقال: صاحب هذه الدار حر أو عبد؟ فقالت:

(١) ابن عبدالحكم، مرجع سبق ذكره، ص٥٧.

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال المروزي أبو نصر الحافي الزاهد المشهور (١٥٠ - ٢٢٨هـ) نزيل بغداد، ثقة قدوة، له أخبار في الزهد والورع، سكن بغداد وتوفي بها.

(٣) يقال: رجل عيّار: إذا كان كثير التطواف والحركة ذكياً. والعرب تمدح بالعيار وتذم بها. يقال غلام عيّار نشيط في المعاصي، وغلام عيار نشيط في طاعة الله تعالى.

بل حر! فقال: صدقت، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب. فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافياً حاسراً وقد ولى الرجل. فقال للخادمة: ويحك! من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى. فقال: أي ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا، فتبعه بشر حتى لحقه؛ فقال له: ياسيدي! أنت الذي وقفت بالباب وخطابت الخادمة؟ قال: نعم. قال: أعد علي الكلام. فأعاده عليه. فمرغ بشر خديه على الأرض وقال: بل عبد! عبد! ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحفاء. فقيل له: لم لا تلبس نعلاً؟ قال: لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حاف. فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات[1].

إن الحوار الفعال هو الذي يوصل ثقافة القيم للآخر من خلال ايضاح كل قيمة أخلاقية وبيان جدواها النفسي والاجتماعي فهذه القيم سواء وردت في آية قرآنية أو حديث نبوي أو بيت شعر أو حكاية تراثية فإنها جزء لا يتجزأ من هويتنا الدينية والأخلاقية.

المبحث الثالث - مجانية الغلو:

الإسلام دين الوسطية والاعتدال والتسامح والعقلانية فليس فيه إفراط في الفرائض ولا تفريط بحق العباد. سأل أعرابي «ابن عباس» - رضي الله عنه - فقال: إن العرب تقول: «حب التناهي شطط خير الأمور الوسط» فهل هذا موجود في القرآن؟ قال ابن عباس: نعم في أربعة مواضع:

(١) ابن قدامة (أبو عبدالله احمد بن محمد ٥٤١ - ٦٢٠هـ): كتاب التوابين، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط - بيروت دار الإيمان ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ص٢٢٦.

١- في قوله تعالى في وصف بقرة قوم موسى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ (البقرة: ٦٨) أي: وسط بين الكبر والصغر.

٢- وفي قوله تعالى: وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الاسراء: ٢٩) أي: فتوسط بين الأمرين.

٣- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ١١٠) هذا السبيل هو الوسط.

٤- وفي قوله تعالى في مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧). أي: وسطاً.

فعجب الرجل من فطنة ابن عباس، وذكائه، وتدبره معاني القرآن!

والمسلم يعمل ويعبد، فلا عبادة بدون عمل يعتاش منه المرء، وعمل تنقصه العبادة: عمل من أجل الدنيا لا غير.

وكما أن الغلو في الدين ليس مباحاً كما تفعل الرهبنة المسيحية أو بعض المتطرفين من الصوفية فإن محبة الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً واجب على المسلمين لا تفضيل أحدهم على الآخر.

وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يهلك في فئتان: محب مفرط، ومبغض مفرط[1].

---

(١) الجاحظ: الحيوان، ح٢، ص٢٠.

فلا يجوز التحزب في الإسلام لهذا الصحابي ومعاداة غيره، كما لا يجوز التطرف في المذهب أو الفقه فهذه الأنواع من الأفكار والسلوك تغرس التعصب والانغلاق والغلو في القول والمسلك.

ولا شك أن الحوار الهادىء هو الذي يجري في محاورة الغلاة، فإقناع المتطرف بجوانب غلوه من خلال بيان الأحكام الشرعية أو الحوادث التاريخية يسهل عملية تنويره بخطأ مسلكه. فلا أضر بالإسلام من الغلو أو التطرف لأنه يظهره بمظهر الدين المنغلق أو الجامد أو المنعزل، والإسلام ليس كذلك.

الفرع الثالث - أهمية الحوار في مجال الثقافة

ينسب لفظ الثقافة إلى فعل ثقف، ويعني هذا الفعل - استعمالاً لا وصفاً - اكتساب الحذق والفهم. ويعني لفظ الثقافة بمعناه الضيق عملية تنمية بعض ملكات العقل بواسطة تدرب مستمر، كما يعني - استنتاجاً - ما هو حاصل بفعل هذه العملية، أما بمعنى أوسع فهي صفة للشخص المتعلم الذي يكون قد أنمى ذوقه وحسه النقدي وحكمه بواسطة الاكتساب، وأحياناً يستخدم للدلالة على عملية التربية المؤدية إلى اكتساب هذه الصفات [1]. وتتطلب أهمية الحوار في مجال الثقافة إلى بيان استعمال العقل ومن ثم التفقه به، ثم بيان أهمية العلم والبحث العلمي، وأخيراً تحليل الوظيفة الثقافية للحوار، وسيتم ذلك في ثلاثة مباحث مستقلة.

---

(١) انظر د. رشيد مسعود: مادة الثقافة، في: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٨، ص٣١٠.

المبحث الأول - استعمال العقل والتفقه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من يرد الله به خيراً، يفقهه وأن العلم بالتعلم، وأن الأنبياء، صلوات الله عليهم، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافٍ[1].

حكاية: من التطبيقات القضائية للخلفاء الراشدين مبدأ توسيع نطاق تطبيق النص وعدم التقيد بحرفيته كلما دعت العدالة واقتضته المصلحة: ومن السوابق القضائية لهذا المبدأ أن شخصين اشتركا في قتل واحد من أهل صنعاء اليمن، فرفعت القضية إلى القاضي يعلى بن أمية، فوقف حائراً أمام نص القصاص، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥)، فكيف يقتص من اثنين والمقتول واحد؟ ففاتح مركز الخلافة مستفسراً عن كيفية تطبيق عقوبة القصاص في هذه القضية الإجرامية التي اشترك فيها أكثر من واحد. فتشاور عمر وعلي، رضي الله عنهما، وقررا تطبيق القصاص على الشريكين، وعدم التقيد بظاهر المعادلة الموجودة في النص ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ وذلك حماية لأرواح الأبرياء، لأن الأخذ بهذه المعادلة سوف يؤدي إلى أن كل من أراد أن يقتل شخصاً يستعين بآخر لا يأخذ منه

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم - باب العلم قبل القول والعمل. وانظر ايضا: فتح الباري شرح البخاري، ابن حجز، الطبعة السابعة، ١٣٨٠هـ ج١ ص١٥٩، ١٦٠، ١٦٤.

صحيح مسلم: كتاب الإمارة - باب النهي عن المسألة، ج٢ ص٧١٨و٧١٩ وج٣ ص١٥٢٤.

الترمذي: السنن: كتاب العلم - باب اذا أراد الله بعبد خيراً.

القصاص، فأجابا القاضي بالعبارة المشهورة التالية: «لو اجتمع وتعاون أهل صنعاء كلهم على قتل واحد فاقتلهم»[١].

قال ابن قتيبة (توفي ٢٧٦هـ) كان يقال محادثة الرجال تلقيح ألبابها[٢]، وقال الجاحظ (توفي ٢٥٥هـ) مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها[٣]، وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: اجعل تعلمك دراسة لعلمك، واجعل مناظرة المتعلم تبنيها على ما ليس عندك[٤].

حكاية: قال ميمون بن مهران[٥] سألني عمر بن عبدالعزيز عن فريضة فأجبته، فضرب على فخذي، ثم قال: ويحك يا ميمون بن مهران، إني وجدت لقيا الرجال تلقيحاً لألبابهم[٦].

قال الله تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقحوا عقولكم بالمذاكرة، واستعينوا على أموركم بالمشاورة. وقال ابن المقفع: لا تخل قلبك من المذاكرة فيعود عقيماً، ولا تعف طبعك من المناظرة فيعود سقيماً. وقال الحسن رضي

---

(١) مصطفى الزلمي: مكانة العقل في الفكر العربي، بيروت، دار الجيل (د. ت) ص٣٠.

(٢) ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري توفي ٢٧٦هـ): عيون الأخبار، ج٣، كتاب السؤدد، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ=١٩٢٥م، ص٣٠.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٥٩.

(٤) الجاحظ: المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٥) هو أبو أيوب: ميمون بن مهران الرقي: فقيه في القضاء استوطن الرقة من الجزيرة الفراتية فكان عالمها، واستعمله عمر بن عبدالعزيز على خراجها وقضائها، ثقة في الحديث، كثير العبادة – ولد سنة ٣٧هـ وتوفي سنة ١١٧هـ. انظر ي التفصيل: أبو نعيم (أحمد بن عبدالله الأصفهاني الشافعي – توفي ٤٣٠هـ) حلية الأولياء وطبقات الأوفياء، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ج٤، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٧، ص٨٢.

(٦) ابن الحكم، مرجع سبق ذكره، ص١٢٧–١٢٨.

الله عنه: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور. وقال المأمون: لا تتقد مصابيح الأذهان إلا بصفو مواردها. وقيل: من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم[١].

وقال رجل لآخر: مناظرة مثلك في الدين فرض، والاستماع منك أدب، ومذاكرتك تلقيح للعقل. وقال عمر بن عبدالعزيز: ما كلمني أسدى إلا تمنيت أن يمد في حجته، لتكثر منه فائدتي.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: يفتح ببيانه منغلق الحجة، ويسد على خصمه واضح المحجة. وقيل: أورد فلان ما لا ينكره الخصم ولا يدفعه الوهم، وما رأيت أسكن نوراً وأبعد غوراً وآخذ بإذن حجة منه[٢]. وقال ابن خلدون (توفي ٨٠٨هـ) = أيسر طرق للملكة العقلية: فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مراميها[٣].

المبحث الثاني: أهمية العلم والبحث العلمي

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون، وتواضعوا لمن تعلمون منه[٤]. وقال عمر بن عبدالعزيز: إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم[٥].

(١) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج١، ص٧٥.

(٢) الراغب الإصفهاني: محاضرات الأدباء، ج١، ص٧٢.

(٣) ابن خلدون (أبو زيد عبدالرحمن بن محمد (٨٠٨هـ=١٤٠٦م) المقدمة، تحقيق د. علي عبدالواحد وافي، القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ= ١٩٥٨م، ص٣٧٧.

(٤) ابن عبدالبر: جامع بيان العلم، ج١، ص٦٢٥ والطبراني: مجمع الزوائد، ج١، ص١٢٩.

(٥) ابن الحكم: مرجع سبق ذكره، ص١٣٦.

طلب العلم في الإسلام فريضة، وطالب العلم في الإسلام يبتغي بعلمه رضوان الله تعالى، فهو عابد لربه لا يخرج في بحثه عن مقياس الحلال والحرام الذي هو مقياس كل مسلم في أعماله كلها. والقرآن الكريم يدعو إلى العلم وأول خطاه القراءة قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ «العلق: ١». وآيات الكتاب الكريم تأمر الإنسان أن يقرأ ويتأمل ويتدبر ويفكر، ويبحث في آيات الله تعالى ليعقل ما فيها من نعمة.

ومجالات العلم في الإسلام: ما سطر بالقلم وما سطر في كتاب الكون وهو ذلك الكتاب المفتوح للنظر والتأمل والاستنتاج، وتسخير ذلك كله لخير الإنسان ونفعه، فالقرآن الكريم جعل جميع ما خلق الله تعالى مادة للدراسة والبحث، فالكون كله مجال مفتوح للمسلم ينظر فيه ويلاحظ، ويبحث ويستنتج، ويتأمل ويجرب.

والبحث العلمي في الإسلامي له غاية تربطه بالعقيدة، وتحقق الخير والسعادة للبشر، فالإسلام يرفض البحث الذي لا غاية له، لأنه ضرب من العبث، كما يرفض البحث الذي يعود بالضرر على بني البشر، لذا، فإنه يحرم في الإسلام استخدام العلم والبحث العلمي لإبادة الإنسان بالجملة، أو إيقاع الضرر بالأبرياء.

وفي بعض المنهج العلمي المعاصر يطلب العلم للعلم، اما في الإسلام، فالعلم فريضة وهو عبادة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وهو سبيل إلى معرفة الحق سبحانه، وما أودع في هذا الكون من سنن الوجود.

والإسلام يكرم أهل العلم ويرفع درجاتهم، وينهى عن الخوض

فيما لا يستطيع العقل البشري البحث فيه من أمور الغيب، ويلزم الإنسان التمسك بما ورد بشأنها في القرآن الكريم والسنة الشريفة، والابتعاد عن الظن الذي لا يشهد له دليل صحيح. قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ «الأنعام: ١٤٨».

وقد رسم القرآن الكريم المنهج السليم في البحث العلمي، ويقوم على الأسس الآتية:

١- استخدام أدوات العلم والبحث: وأساس ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ «الإسراء: ٣٦»، فالآية الكريمة تحدد طرائق العلم والبحث، وهي:

أ- الخبر الصادق الذي يتيقن السامع من صدق مخبره، كالأخبار الواردة في القرآن الكريم والسنة المشرفة، «السمع». وهذا هو الدليل النقلي.

ب- التجربة والمشاهدة، وذلك فيما يقع تحت التجربة والاختبار، «البصر» وهذا هو الدليل التجريبي.

ج- حكم العقل فيما ليس فيه خبر صحيح ولا تجربة مشاهدة، «الفؤاد». وهذا هو الدليل العقلي.

٢- الحجة والبرهان: يدعو الإسلام إلى الدرس والبحث على أساس الحجة والبرهان وطلب الدليل لإثبات ما يراد إثباته، فلا قيمة لفكر أو رأي ليس عليه دليل، ولا تقوم به حجة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ «البقرة: ١١١»، وقد يكون الدليل عقليا أو

نقليا، كما انه قد يكون منطقيا استنتاجياً أو تجريبياً.

٣- **التثبت في النقل**: ضرب الباحثون المسلمون المثل في دقة النقل، والتثبت فيه، وبخاصة علماء الحديث النبوي الشريف، الذين اعتمدوا أسلوباً لا مثيل له عند الأمم في التثبت والدقة، من حيث القواعد والمبادىء والثمار والنتائج، وتتبعوا أسانيد الروايات وما فيها من اتصال وانقطاع، ووضعوا لذلك علم الجرح والتعديل الذي يوضح من تعتمد روايته من الرواة ومن ترد، ولا يقف التثبت عند علم معين، بل هو مطلوب في الأمور كلها قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ «الحجرات: ٦».

٤- **مراعاة القواعد الأساسية للعلم:**

أ- ففي مقام تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف لابد من مراعاة قواعد اللغة العربية والدلالات اللغوية للألفاظ والجمل.

ب- وفي ميدان الفقه والتشريع، لابد من مراعاة قواعد استنباط الأحكام وضوابط القياس وأصول الفقه.

ج- وفي العلوم التطبيقية، يراعى المنهج الذي يقوم على الملاحظة والتجربة والاستنتاج مع ربط ذلك بطاعة الله تعالى في عمارة الأرض وترقية الحياة فيها.

وقال الأستاذ بريفلت في كتابه «بناء الإنسانية» على المنهج العلمي الحديث: (إن هذا المنهج منهج إسلامي أصيل لم يعرفه اليونان، ولولا المسلمون لما عرفته أوروبا. وقد نقل روجر بيكون هذا المنهج عن المسلمين بعد أن درس اللغة العربية والفكر الإسلامي على أيدي معلمين

تتلمذوا لعلماء الأندلس)[١].

وعمل المسلمون في إطار هذا المنهج العلمي المتميز في ميادين العلم جميعها: الطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك والجغرافيا، اضافة إلى علوم اللغة والشريعة والتاريخ.[٢].

المبحث الثالث: الوظيفة الثقافية للحوار:

تتمثل الوظيفة الثقافية للحوار في تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعامل مع المعلومات عن طريق توصيل ما هو صحيح منها، أو تصحيح ما هو خاطىء منها، أو تحليلها واستخراج حقائق منها.

٢- تبادل وجهات النظر بين المتحاورين كي يعرف كل محاور وجهة نظر الآخر فإما ان يتفق معه أو يخالفه الرأى، فيطرح المحاور رأياً ويسمع المحاور الآخر هذا الرأي فيتحاوران حول صوابه أو خطئه. فالحوار عملية مثيرة للتفكير العقلي باعتبارها العملية التي تتطلب تبادل الآراء والأفكار والمعلومات والدفاع عنها دفاعاً منطقياً مقبولاً.

٣- تزويد المحاور بمهارات كلامية ومعرفية والحصول على خبرات من المحاور الآخر الذي يملك خبرات ومهارات لا يملكها المحاور الأول فالحوار ليس ملكة عقلية موروثة وانما هو قدرات تكتسب تدريجياً لتصبح فيما بعد مهارات رصينة قائمة على خبرات متراكمة.

---

(١) عزالدين الخطيب وزملاؤه، نظرات في الثقافة الإسلامية، عمان ١٩٩٠م، ص ٢٨١.

(٢) د. سعدي حسني جبر وزملاؤه الثقافة الإسلامية، عمان، وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، ص ٢٠٢ وما بعدها.

٤- الكشف عن الحق والحقيقة: فمن خلال الحوار نعرف طبيعة الموقف، وأين توجد الحقيقة، ومع من الحق.

حكاية: ارسل رستم قائد جيش الفرس، وهو يلي كسرى في المرتبة والنفوذ، إلى سعد بن أبي وقاص «قائد الجيش الإسلامي» طالبا إرسال من يستطيع ان يعرف الفرس بهدف هذا الغزو الإسلامي، فأرسل له رسولا من عامة المسلمين.

رستم: ما جاء بكم؟

رسول سعد: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله»[1].

٥- تدقيق مدى صواب أفكارنا: فالحوار فرصة من فرص الحياة لمراجعة الأفكار التي نعتنقها ومدى فاعليتها وقدرتها على الصمود تجاه الأفكار النقيضة، فمن خلال الحوار نختبر حقيقة أفكارنا وهل ما زالت قوية وصائبة أم تحتاج إلى بعض التعديل أو التطوير أو التخلي عنها إذا أصبحت غير ملائمة أو اثبتت الكشوف ضعفها أو خطأها. فالحوار مدرسة للمرونة العقلية والاجتماعية فيما ان الحياة دائبة التطور ودائمة التغيير فيجب ان نلاحق حركتها المتدفقة مما يتطلب منا ان نقف موقفا مرناً من الحياة

---

(١) ابن كثير (ابو الفداء اسماعيل الدمشقي): البداية والنهاية، ج ٧، بيروت: مكتبة المعارف ١٩٨٣م، ص ٣٩.

والفكر والعمل على اساس مبدأ الأخذ والعطاء وهو أمر شبيه بعملية التثقيف الذاتي التي تعني التخلي عن الأفكار الفاسدة أو الضعيفة والتحلي بالأفكار الصالحة أو القوية بحكم صلاحها .

٦- اختبار ذاتيتنا الانسانية فالحوار تمرين لمعرفة طبيعة شخصيتنا من حيث الأخلاق وطريقة التفكير فمن خلال اسلوب حوارنا نتعرف على مدى هدوء شخصيتنا والتزامنا بالمعايير الأخلاقية للتعامل الاجتماعي، كما نتعرف على الطريقة التي نفكر فيها هل هي طريقة علمية وعملية أم طريقة عشوائية وارتجالية، ومدى نضوج هذه الطريقة ومقدار حاجتها للتعميق أو التحديث .

حكاية : يُروى أن عبدالله بن جعفر - وكان أحد الأجواد - خرج إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم، وفيها غلام أسود يقوم عليها، فأُتي بقوته : ثلاثة أقراص، ودخل كلب ودنا من الغلام، فرمى إليه بقرص فأكله، ثم رمى إليه بالثاني، والثالث، فأكلهما، وعبدالله ينظر، فقال : يا غلام، كم قوتك كل يوم؟ قال : ما رأيت . قال : فلم آثرت هذا الكلب؟ قال : ما هي بأرض كلاب، وإنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت ردّه . قال : فما أنت صانع اليوم؟ قال : أطوي [١] يومي هذا . قال عبدالله بن جعفر : أُلامُ على السخاء وهذا أسخى مني؟!

فاشترى الحائط والغلام، وما فيه من الآلات، فأعتق الغلام، ووهب ذلك كله . [٢]

---

(١) أطوي يومي: لا آكل هذا اليوم.

(٢) محمد عوامة: المختار من فرائد النقول والأخبار بيروت دار البشائر ١٤١٧هـ =١٩٩٧م، ص ١٢٣.

٧. ايجاد قواعد للتفاهم بين البشر إذ لولا الحوار لساد العنف والعدوان في العلاقات الاجتماعية فهو الذي يوطّد الصلات والمصالح الاجتماعية، كما أنه وسيلة للمحبة بين بني البشر فما أن يخاطب الأفراد بعضهم بعضاً بود وحسن نية حتى تبدأ القلوب بالتلاقي والتودد. يضاف إلى ما تقدم أن الحوار وسيلة لنشر ثقافة العدالة، وثقافة السلام، وثقافة التسامح، وثقافة حقوق الإنسان ومواجهة التطرف والتعصب والغلو والجهل والتضليل الفكري والإعلامي.

٨. نشر الوعي بين البشر في جميع المجالات كما أن الحوار وسيلة للتقدم العلمي والثقافي والروحي والأخلاقي.

٩. الحوار وسيلة لكشف إيمان المرء من خلال أقوال الإنسان نستطيع أن نأخذ فكرة أولية عن مدى إيمانه، فالمؤمن الحق يتكلم بورع وخشية ويكون حافظاً لآيات قرآنية تعزز وجهة نظره.

حكاية: قال عبدالله بن المبارك (توفي ١٨١هـ) [1]: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد، فتميزت ذاك، فإذا هي عجوز عليها درع من صوف، وخمار من صوف، فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقالت: ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (يس: ٥٨)

قال: فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟

---

(١) ابن المبارك (عبدالله الحسين بن الحسن المروزي) نزيل مكة، من شيوخ الترمذي وابن ماجة وأبي حاتم، صدوق، ثقة، مات سنة ٢٤٦هـ انظر ترجمته: ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٣، طبع حيدر أباد، ص ٣٣٤.

قالت: ﴿ من يُضلل اللّهُ فلا هادي لهُ ﴾ (الأعراف: ١٦٨)، فعلمت أنها ضالة عن الطريق، فقلت لها: أين تريدين؟

قالت: ﴿ سُبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا ﴾ (الإسراء: ١)

فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس.

فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع؟

قالت: ﴿ ثلاثَ ليالٍ سويًّا ﴾ (مريم: ١٠)

فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين.

قالت: ﴿ والّذي هُو يُطعمُني ويسقِين ﴾ (الشعراء: ٧٩)

قلت: فبأي شيء تتوضئين؟

قالت: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ (النساء: ٤٣)

فقلت لها: إن معي طعاماً، فهل لك في الأكل؟

قالت: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (البقرة: ١٨٧)

فقلت: ليس هذا شهر رمضان.

قالت: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ (البقرة: ١٨٤)

فقلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر.

قالت: ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٤)

فقلت: لم لا تكلميني مثل ما أكلمك؟

قالت: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق: ١٨)

فقلت: فمن أي الناس أنت؟

قالت: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (الإسراء: ٣٦)

فقلت: قد أخطأت، فاجعليني في حلّ.

قالت: ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ (يوسف: ٩٢)

فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟

قالت: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ (البقرة: ١٩٧) قال: فانحنت ناقتي.

قالت: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: ٣٠) فغضضت بصري عنها.

وقلت لها: اركبي. فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزّقت ثيابها.

فقالت: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠) فقلت لها: اصبري حتى أعقلها.

قالت: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ (الأنبياء: ٧٩) فقلت: الناقة.

وقلت لها: اركبي، فلما ركبت، قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (الزخرف: ١٣)

قال: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح.

فقالت: ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾

فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر.

فقالت: ﴿ فاقْرءُوا ما تيسَّر من القُرْآن ﴾ (المزمل: ٢٠)

فقلت لها: لقد أوتيت خيراً كثيراً.

قالت: ﴿ وما يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ٢٦٩)

فلما مشيت بها قليلاً. قلت: ألك زوجٌ؟

قالت: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (المائدة: ١٠١)

فسكتُّ ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة.

فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها؟

فقالت: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الكهف: ٤٦)

فعلمت أن لها أولاداً فقلت: وما شأنهم في الحج؟

قالت: ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (النحل: ١٦)

فعلمت أنهم أدلاء الركب، فقصدت بها القباب والعمارات.

فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟

قالت: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (النساء: ١٢٥)، ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٤)، ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ (مريم: ١٢)

فناديت: يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى، فإذا أنا بشبّان كأنهم الأقمار، قد أقبلوا، فلما استقرّ بهم الجلوس، قالت: ﴿فابْعثوا أحدكُم بورقكُم هذه إلى الْمدينة فلْينظُرْ أيُها أزْكىٰ طعاما فلْيأْتكُم برزْقٍ مّنْهُ ولْيتلطّفْ ولا يُشْعرنّ بكُمْ أحدًا﴾ (الكهف: ١٩) فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي.

وقالت: ﴿كُلُوا واشْربُوا هنيئًا بما أسْلفْتُمْ في الأيّام الْخالية﴾ (الحاقة: ٢٤)

فقلت: الآن طعامكم عليّ حرامٌ حتى تخبروني بأمرها.

فقالوا: هذه أمّنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزلّ فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء.

فقلت: ﴿ذٰلك فضْلُ اللّه يُؤْتيه من يشاءُ واللّهُ ذُو الْفضْل الْعظيم﴾ (الجمعة: ٤)[1]

١٠. الحوار وسيلتنا للدخول إلى عصر العولمة: وإذا كان كل من الحوار والثقافة قد تأثرا تأثيراً حيوياً بوجود محطات التلفزة الفضائية حيث أصبح في الإمكان أن يدخل في كل بيت يمتلك جهازاً يستقبل البث التلفزي الفضائي فإن التأثير الأعظم حصل بفعل عصر الحوسبة والعولمة إذ تُمكّن شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) من توسيع دوائر الحوار والثقافة عالمياً بشكل لم يسبق للعقل أن يتخيله وهذا مما يخدم الخير والشر على حد سواء، ومن جهتنا كمسلمين يمكننا أن نحاور الآخر وخصوصاً الغرب من

---

(١) عبده غالب عيسى: لطائف النساء بيروت دار الجيل ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م ص ١٠.

خلال مواقفنا التي تثبت رسائلنا أو خطاباتنا، كما يمكن الرد أو الحوار مع أي خطاب موجود في موقع آخر، وكلما كان حوارنا هادئاً ورصيناً وملتزماً في هذه المواقع نال الإسلام فهماً أفضل وحظوة أعظم لدى الآخرين ممن تسمّم أفكارهم أجهزة الإعلام الامبريالية والصهيونية والماسونية. فلنستغل (الإنترنت) الاستغلال الأمثل من أجل إظهار الصورة الحقيقية للإسلام فنخدم ديننا وثقافتنا وخطاباتنا الإسلامية.



أسس الحوار وأنواعه

الباب الثاني

أسس الحوار وأنواعه

يقتضي استكمال معرفة بقية جوانب الحوار الاخرى تناول أسسه (أو شروطه) كما يقتضي التطرق الى أنواعه، وسوف أتصدى لهذين الموضوعين الجوهريين في فصلين مستقلين.

الفصل الأول

أسس الحوار

تستلزم الضرورة العلمية والعملية تناول أسس الحوار من الشكل الى المضمون، ويترتب على ذلك أن أبدأ بالأسس التنظيمية حيث مظهر الحوار وبنيانه، ثم أتطرق الى الأسس المنطقية حيث العناصر العقلية المحايدة والمجردة، واخيراً أتطرق للأسس الشرعية والاخلاقية حيث القواعد المنحازة لأوامر الله جلت صفاته وسمت أسماؤه، وما يتبع هذه الأسس من قيم أخلاقية اسلامية رفيعة.

الفرع الأول
الأسس التنظيمية

التنظيم السليم مبحث اداري فعال، فهو وعاء للاعمال والاهداف ولا شك في ان الحوار العلمي لا يجري بصورة عشوائية او بشكل ارتجالي وانما ثمة أسس تمثل بالنسبة له الضوابط النظامية التي من شأن مراعاتها أن يحقق أهدافه المرسومة، ومن ثم نحصل على الفائدة او الفوائد المتوخاة من قيامه.

وفي ظني، انه يمكن تقسيم الأسس التنظيمية للحوار الى اربعة أنواع هي: الأساس الشخصي، والأساس الزمني، والأساس الاجرائي، والأساس المرحلي، وسأتناول هذه الأسس في اربعة مباحث مستقلة.

المبحث الأول - الأساس الشخصي:

يتمثل هذا الأساس في التجانس الثقافي بين المتحاورين، ومفاد ذلك أن ثمة لغة ثقافية بين أهل الحوار وذلك كي لا يكون الحوار حواراً بين الطرشان!!

فالحوار يكون مقبولاً، بل وفعالاً، كلما كانت المؤهلات العلمية والخبرات الثقافية متجانسة او متقاربة بين المتحاورين، وهذا يعني أن مستوى تفكير المتحاورين واحد او متجانس او متقارب، كما أن ثقافتهم بما تعني من حقائق علمية ومعرفية ومهارات شخصية وقدرات منطقية متقاربة الى الحد الذي يفهم أحدهما الآخر دون عناء او مشقة. وحوار أهل السوق من باعة وتجار غير حوار أهل العلم والثقافة، وحوار الجهلة

غير حوار المتعلمين، وحوار الأذكياء غير حوار الأغبياء.

في ضوء هذا الادراك فإن الحوار مع الجاهل يترتب عليه عناء وأي عناء وثمة اقوام ﴿لاَ يكادُون يفْقهُون قولاً﴾ (الكهف: ٩٣) وهؤلاء الجهلاء قد يكونون مختالين، او متكبرين، او عنيدين، وقال رب العزة بحقهم: ﴿ولا تُجادلْ عن الَذين يخْتانُون أنفُسهُمْ إنَ اللهَ لا يُحبُ من كان خوَانًا أثيمًا﴾ (النساء: ١٠٧). وقال تعالى: ﴿إنَ الَذين يُجادلُون في آيات اللَه بغيْرِ سُلْطانٍ أتاهُمْ إنْ في صُدُورِهمْ إلاَ كبْرٌ مَا هُم ببالغيه﴾ (غافر: ٥٦). وقال: ﴿قالُوا سواءٌ عليْنا أوعظْت أمْ لمْ تكُن مِنَ الْواعظِين﴾ (الشعراء: ١٣٦) وقال: ﴿سواءٌ عليْهِمْ أأنذرْتهمْ أمْ لمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمنُون﴾(البقرة: ٦).

إذن من الضرورة مجانبة التحاور مع من لا يفقه من الحوار شيئاً فبعض الناس ليس أهلاً لذلك وليس كفؤاً للمحاور المحترم ومن ثم يتعين النأي عنهم وتجنب الدخول معهم في أي حوار [1].

قال شاعر:

من عاتب الجهال أتعب نفسه ومن لام من لا يعرض اللوم أفسدا

وجاء في حكمة: من سكت عن جاهل فقد أوسعه جواباً، وأوجعه عتاباً [2]، والجاهل هو الذي يصعب اقناعه، قال المتنبي:

وليس يصح في الإفهام شيء إذا احتاج النهار الى دليل

ومن الامثال: لو سكت من لا يعلم سقط الاختلاف [3].

(١) في التوسع انظر د. عبدالقادر الشيخلي: العتاب في الشريعة والحكمة والأخلاق، عمان، مكتبة الرسالة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن احمد - توفي ٨٥٠هـ) المستطرف في كل فن مستظرف المجلد الأول - بيروت مكتبة الحياة - ١٤١١هـ - ١٩٩٣م، ص ٤١.

(٣) أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، ج٢، تصحيح أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت - المكتبة العصرية (د. ت) ص ١٤٩.

وقال عمارة: اني لأمضي على الخطأ إذا أخطأت أهون علي من نقض وابرام في مجلس واحد. وقال بعضهم: من شك بالمشاهدات فليس بتام العقل.

وقال ابن عبيد الكاتب:

إذا لم يكن لك حسن فهم   أسأت اجابة وأسأت فهما [١]

وقال الشاعر:

وإن عناء أن تفهم جاهلاً   ويحسب جهلاً انه منك أفهم [٢]

كما أن بعض الجهلاء يفضح جهله كما يلي:

حكاية: قال ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧هـ): أخبرني يعقوب بن موسى قال: قال أبو زرعة: كان بشر بن يحيى بن حسان من أصحاب الرازي، وكان يناظر، فاحتجوا عليه بطاووس، فقال: يحتجون علينا بالطيور [٣].

وقال أبو بكر بن أبي سعدان [٤]: من جلس للمناظرة - على الغفلة - لزمته ثلاثة عيوب، أولها جدال وصياح، وهو المنهى عنه، وأوسطها حب العلو على الخلق وهو المنهى عنه، وآخرها الحقد والغضب وهو المنهى عنه، ومن جلس للمناصحة فإن أول كلامه موعظة، وأوسطه دلالة وآخره بركة [٥].

---

(١) هذا البيت مذكور لدى: (أبو حيان التوحيدي): كتاب الامتاع والمؤانسة ج٣، ص ٧٤.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١ ص ٢٤٦.
(٣) ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي) أخبار الحمقى والمغفلين، عمان: مركز سندباد، بيروت دار ابن حزم ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٣٨.
(٤) وهو أحمد بن محمد بن أبي سعدان، بغدادي، من أصحاب الجنيد البغدادي وهو من مشايخ الزهاد.
(٥) أبو عبدالرحمن السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة ط ٢، حلب دار الكتاب النفيس ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٤٢٢.

نستخلص من الأساس الشخصي للحوار القواعد التالية :

القاعدة الأولى - ضرورة قيام الحوار بين أفراد متجانسين ثقافياً أو شبه متجانسين، كي يجري الحوار في مناخ ذهني مقبول .

القاعدة الثانية - لكل مستوى ثقافي أساليبه الحوارية لأن كل مستوى ينطلق من طريقة تفكير تتلاءم معه .

والمحاور الذكي هو الذي ينوع أساليب حواره وفق المستوى الثقافي للمحاور الآخر فقد يكتشف أثناء الحوار أن محاوره أقل ذكاء او أدنى خبرة او علماً او تعليماً وحينئذ ينزل الى مستواه ويقنعه بحجج تتفق مع مستواه الثقافي ويحرص في الوقت ذاته على زيادة جرعة الحلم التي يتقنها، ذلك أن المحاور المحدود الذكاء او الخبرة او التعليم يرهق المحاور الآخر لأن أساليب اقناعه ليست سهلة .

القاعدة الثالثة - إذا اكتشفت أن محاورك جاهلاً أو غبياً او أحمقاً فتأنى في حواره، فإن وجدت نفسك تحاور حائطاً غير ناطق فانسحب بكرامة كي لا ينالك أذاه المعنوي المتمثل بألفاظه الهابطة او ضيق نفسك جراء غبائه العريق .

القاعدة الرابعة - الايمان بالتكافؤ الشخصي : فلا يوجد في الحوار رئيس ومرؤوس او تابع ومتبوع او تعامل أحد الأطراف مع الآخرين بأنه أكثر علماً او انه دون غيره يملك الحقيقة ولا غير الحقيقة وأن الآخرين في باطل مقيم . إن الايمان بمبدأ المساواة يرتب احترام كل محاور لزميله، ومن ثم فالواجب عليه أن يتيح له عرض أفكاره او وجهة نظره كاملة غير منقوصة فإذا زعم محاور انه يملك الحقيقة وأن الآخرين لا يملكونها او أنهم في ضلال مبين فهذا لا يسمح بقيام الحوار

او باستمراره، وإذا تصور المحاور المسلم مثل هذه التصورات فيتعين ألا يفصح بها علناً، وإنما يحاور الآخرين الذين هم في ضلال او في شرك او في كفر او في فسق او فجور، ويحاورهم بهدوء ناجم عن عقيدة متأصلة في ذهنه وفي قلبه ودون ان يتفوه بكلمات تجعل استمرار الحوار مستحيلاً او متعذراً او صعباً مع الاطراف المضادة.

المبحث الثاني - الأساس الزمني:

يدخل هذا الاساس في موضوع ادارة الوقت، ومن ثم فإن اختيار الوقت المناسب للحوار ضرورة عملية لابد منها:

- فليس كل وقت ملائم للحوار.

- كما أن الحوار يجب ألا يستغرق وقتاً طويلاً أكثر مما يجب، فيرهق المتحاورين وقد لا يوصلهم للهدف المنشود منه، وقد يؤجل الحوار بسبب هدر الوقت دون تحقيق نتيجة متوخاة.

ولعل الحوارات في محطات التلفزة الفضائية تمنح درساً مفيداً في هذا الشأن إذ أن الحوار في موضوع ما يجري في مدة زمنية قد لا تتجاوز الساعة الواحدة، وهذا يجدي للمرشحين في المشاركة في الحلقة الحوارية من حيث تنظيم حقائقهم ودفوعهم ومبرراتهم الفكرية في نطاق الحيز الزمني المتاح لكل محاور أو متحدث وحينما يعلم المحاور مسبقاً أن ثمة وقت محدد، وأن دوره لن يتجاوز ماهو متاح له فحينئذ يحاول استغلال ما هو متاح له من وقت لغرض كسب الجولة الحوارية لصالح قضيته الفكرية المركزية، فإذا كانت للمحاور دقيقتان للكلام في جزئية محددة فعليه استجماع مجمل حقائقه وحججه كي يعرضها في

الوقت المحدد له حصراً، وهذا يعني عرض الحقائق الجوهرية دون الثانوية وبيان الحجج الرئيسية دون الفرعية.

صفوة القول في هذا الشأن أن يتم تخصيص وقت محدد للحوار، وبعكسه تسود الحوار اتجاه العفوية.

حكاية: قال الشيباني: حدثنا محمد بن زكريا عن عباس بن الفضل الهاشمي عن قحطبة بن حميد قال: إني لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه - وقد هم بالقيام - إمرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فقال لها يحيى: وعليك السلام ياأمة الله ورحمة الله وبركاته تكلمي في حاجتك فقالت:

ياخير منتصف يهدي[1] له الرشد ... وياإماماً به قد أشرق البلد
تشكو إليك عميد القوم[2] أرملة ... عدي عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ... ظلماً وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دون ما قلت زال الصبر والجلد ... عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي ... وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ... ننصفك منه وإلا المجلس الأحد

قال: فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته،

---

(١) في مرجع آخر: يرجى
(٢) في مرجع آخر: الملك.

فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟ فقالت الواقف على رأسك ياأمير المؤمنين. وأومأت إلى العباس ابنه، فقال: يا أحمد بن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: ياأمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإن تكلمين الأمير فأخفضي من صوتك، فقال المأمون: دعمها ياأحمد، فإن الحق أنطقها وأخرسه، ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وظلم العباس بظلمه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي ببلدها أن يوفر لها ضيعتها ويحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة[1].

نفهم من الأساس الزمني للحوار انه ليست كل الأوقات صالحة وإنما ثمة أوقات يتفق عليها بما يتلاءم مع طباع المتحاورين أو نفسيتهم، ولعل تحديد الوقت المستقبلي يتيح للمتحاورين تحضير موضوع الحوار بما يحوي من معلومات وحقائق وحجج وقرائن، كما أن هذا التحديد يتيح فرصة أكبر لعقول المتحاورين كي تفكر ملياً بما يجعلها تسعى إلى انجاح عملية الحوار وتحقيق أهدافه، اضافة إلى أن تحديد الوقت المستقبلي يجعل النفوس هادئة تقدم على مسألة تعرف ابعادها كما يعرف كل عقل ما يحوي العقل الآخر من فكر أو حجج أو تبريرات أو يخمن في هذا الشأن.

نستخلص من الأساس الزمني للحوار القواعد التنظيمية التالية:

القاعدة الأولى - ضرورة برمجة الحوار زمنياً كي تستعد ذهنيا له.

---

(١) ابن عاصم الاندلسي (محمد بن محمد) ابوبكر بن عاصم - توفي ٨٢٩هـ = ١٤٢٦م) حدائق الأزاهر، تحقيق د. عفيف بن عبدالرحمن، بيروت: دار المسيرة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م ص ٣٩٦

القاعدة الثانية - إذا شعرت بالارهاق الذهني أو النفسي بعد انتهاء المدة المخصصة للحوار فلا تحاول تمديده لأن هذا التمديد يجري في حالة ذهنية ونفسية غير صالحة ويخشى أن يفلت زمام أمور أحد المتحاورين جراء الحوار الطويل زمنيا فينالك سقط كلامه جراء هذا الارهاق.

المبحث الثالث - الأساس الاجرائي:

يهدف الأساس الاجرائي إلى تنظيم العملية الحوارية ويتطلب ذلك اعداد جدول موضوعي للحوار، وأن يتكلم محاور وآخر يستمع، وأن يتجنب المحاوران اللغو والشغب وكل ما يعيق سير العملية الحوارية سيراً انسيابياً ومحموداً. وفيما يلي تفصيل عناصر الأساس الاجرائي:

العنصر الأول - اعداد جدول للحوار:

ينبغي أن يتضمن هذا الجدول:

(أ) تحديد موضوع الحوار:

ولابد للمتحاورين أن يتفقا على الموضوع الذي سيكون مناط حوارهما (أو حوارهم إذا كانوا أكثر من اثنين) ولعل هذا التحديد يجدي في بقاء الحوار ضمن المضمار المتفق عليه، كما يجدي هذا التحديد في إشباع الموضوع دراسة وتحليلاً فقد يخصص للحوار موضوع واحد أو أكثر، ومن الضرورة معرفة الموضوع أو الموضوعات مسبقا كي يكون كل محاور على بيّنة من أمره.

(ب) معرفة أسباب الحوار، وأهدافه، ووجود رغبة للوصول إلى نتائج محددة:

فلابد للمحاور أن يعرف أسباب الحوار وتتمثل في الخلاف حول موضوع محدد فقد يكون موقف أحدهما سلبياً من هذا الموضوع (الحجاب الشرعي، مثلاً) وقد يكون الآخر موقفه ايجابياً، فلكل حوار بواعث ودوافع تدفع المتحاورين للاستغراق الحواري فيه، كما أن من الضرورة معرفة أغراض وأهداف الحوار للطرفين وتتمثل في الوصول إلى حقيقة متفق عليها أو يعمل الطرفان المتحاوران على الوصول إليها وذلك بافهام الطرف الأول برأي الطرف الثاني أو بالعكس، فهما يحملان رأيين متعارضين، وغرضهما الاتفاق على رأي موحد بحيث يزول الخلاف بينهما ومن ثم يصلان إلى نتائج محددة يخرج منها الطرفان برضى عقلي أو يبقى الخلاف بينهما نظراً لعدم اقتناع أي منهما برأي الآخر، فكل حوار ينتهي بالاتفاق أو ينتهي ببقاء الخلاف وكأن الحوار لم ينجح، فإذا نجح الحوار وانتهى الخلاف فقد حقق الحوار هدفه أو أهدافه، أما إذا بقي الخلاف على حاله فإن الحوار لم يحقق النتائج المتوخاة منه، وهي أسوأ حالة، أما الحالة الوسطى فهي التي يطرح أحد المتحاورين معلومات أو حجج يزود فيها المتحاور الآخر بحيث يتقدم الأخير خطوة لا بأس بها ما كانت تتم لولا هذا الحوار، أما إذا زال الخلاف بين المتحاورين وحقق الحوار أهدافه فهذا هو الحوار الفعال الذي يتطلب من المحاور الذكي أن يسعى لتنفيذه كسباً لجولة الحق ضد الباطل أو كسباً لرأي أكثر صواباً من رأي أقل صواباً.

العنصر الثاني - محاور يتكلم وآخر يستمع: - لا يمكن أن يتكلم المتحاوران أو المتحاورون في وقت واحد، فلابد لأحدهم أن يتكلم كي يعرض معلوماته أو حقائقه أو حججه وبقية المتحاورين يستمعون احتراماً لحقه في التعبير عن رأيه بحرية تامة دون مقاطعة أو تقاطع،

ويميز أبوهلال العسكري بين السمع والاصغاء والاستماع فالفرق بين السمع والاصغاء أن السمع هو ادراك المسموع والسمع أيضا اسم الآلة التي يسمع بها، والإصغاء هو طلب ادراك المسموع بامالة السمع إليه يقال صغا يصغو إذا مال وأصغى غيره وفي القرآن ﴿قد صغت قلوبكما﴾ أي مالت، وصغوك مع فلان أي ميلك، أما الفرق بين السمع والاستماع ان الاستماع هو استفادة المسموع بالاصغاء إليه ليفهم وهذا لا يقال أن الله يستمع وأما السماع فيكون اسما للمسموع يقال لما سمعته من الحديث هو سماعي ويقال للغناء سماع، ويكون بمعنى السمع تقول سمعت سماعا كما تقول سمعت سمعا، والتسمع طلب السمع مثل التعلم طلب العلم[١].

وفي باب الاستماع يحلل الهمذاني الألفاظ الكتابية كما يلي:

يقال: استمعت الحديث، وأصخت إليه أصيخ، وأذنت له آذن أذناً، وأصغيت إليه.

قال شاعر:

صم إذا سمعوا خيراً ذُكرت به وإن ذُكرت بسوء عندهم أذنوا

قال عدي بن زيد:

وسماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار

ويقال: وعيت الحديث إذا سمعته وحفظته. (ومنه قول القرآن: وتعيها أذن واعية. وقال أيضا في أذن: وأذنت لربها وحقت أي أصاخت واستمعت) ويقال: فلان اذن. إذا كان يقبل كل ما يستمعه

(١) أبوهلال العسكري: الفروق في اللغة، ط٥، بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ = ١٩٨٤م

ويصدق به، وينصت له[١].

وقال صفي الدين الحلي:

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلا، بنطقك قبلما أن تتفهما
لم تعط مع أذنيك نطقاً واحدا إلا لتسمع ضعف ما تتكلما

قيل: «أساء سمعاً فأساء إجابة».

مثل: قال سهيل بن عمرو عن ابنه أنس حينما قال له أحد أصدقاء أبيه:

- حياك الله. يا فتى.

فأجاب:

- لا والله ما أميّ في البيت[٢].

وقال أبو عبّاد: «إذا أنكر القائل عينى المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه، وعن السبب الذي أجرى ذلك القول له، فإن وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث، وإن كان لاهياً عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة، وعرّفه بفسولة الاستماع[٣]، والتقصير في حق المحدث».

وأبو عباد هذا هو الذي قال: «ما جلس بين يديَّ رجلٌ قط إلا

---

(١) الهمذاني: (عبدالرحمن بن عيسى توفي ٣٢٩هـ = ٩٣٣م) الألفاظ الكتابية - تونس - ليبيا - الدار العربية للكتاب (د.ت) ص ٢٢٤.

(٢) الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري - توفي ٥١٨هـ) مجمع الأمثال، تقديم وتعليق نعيم حسن زرزور، المجلد الأول بيروت دار الكتب العلمية (د. ت) ص ١٣٠.

(٣) الفسولة: الضعف والحمق.

تمثل لي أني سأجلس بين يديه» .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في بعض رسائله إلى أبي موسى الأشعري : «الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك» .

ولا يمكن تمام الفهم إلا مع تمام فراغ البال . (١)

وقال صالح المُرِّيّ : «سوء الاستماع نفاق» . وقد لا يفهم المستمع إلا بالتفهم ، وقد يتفهم أيضاً من لا يفهم . وقال الحارث بن حلِّزة :

وحسبتُ فيها الركب أحدس في كلٍّ الأمور وكنت ذا حدْس (٢)

وقال النابغة الجعدي :

أبَى لي البلاءُ وأنَّي امرؤ إذا ما تبيَّنتُ لم أرتب (٣)

العنصر الثالث - التركيز على جوهر الموضوع ومجانبة الانتقال إلى غيره :

يتطلب فن الحوار أو فن الجدل المحمود البقاء في دقائق محددة أو في وقت معين في نطاق موضوع محدد وحينما يشعر المحتاجون أو المتحاورون أنه أشبع دراسة وتمحيصاً ، ومن ثمَّ يجب الانتقال إلى غيره سواء اتفق على الموضوع الأول أو بقي الخلاف على حاله فإذا كان ثمة موضوعات متعددة فإن عدم الاتفاق على موضوع معين لا يعني مجانبة الانتقال لموضوع آخر لكن الضرورة العملية تقتضي إيفاء الموضوع الأول حقه من التحاور فإذا استوفى ذلك : معلومات وحقائق وحجج ، وجهد

(١) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر - توفي ٢٥٥هـ) البيان والتبيين ج ٢، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، بيروت دار الجليل، ص ٤١.

(٢) الحدس: الظن.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢ ص ٤٢.

ذلك من الطرفين فإن الانتقال لغيره لازم سواء بقي الخلاف كله بين الطرفين أو جرى حسم بعض الخلاف وبقي بعضٌ آخر.

العنصر الرابع - مجانبة اللغو والشغب:

يفترض في الحوار أن يخلو من اللغو أي الثرثرة أو كثرة الكلام كما يخلو من الشغب أي الضجيج أو الصخب أو العنف. فاللغو هو ضم الكلام ما هو ساقط العبرة منه. وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحق [١]. بينما الصخب هو الصوت الشديد عند الخصومة أو المناظرة [٢].

وكان أبو الشمر إذا ناظر لم يحرك يديه ولا رأسه ولا منكبيه حتى كأن كلامه يخرج من صدع صخرة.

وقال الأنصاري:

مجالسهم خفض الحديث وقولهم   إذا ما قضوا في الأمر وحي الحناجر

وقال المتنبي:

وإذا هو لا يستب خصمان عنده   ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل

حكاية: قال المأمون لهاشمي حضر مجلسه فناظره وشغب:

لا ترفع صوتك يا عبدالصمد إن الصواب في الأسد لا الأشد.

وقال عمر بن عبدالعزيز لرجل كان يكثر الصياح والجلبة: أخفض الصوت فلو نيل خير برفع الصوت لأدركه الحمير والكلاب [٣].

(١) الجرجاني: التعريفات، ص ٢٤٧.
(٢) الثعالبي (أبو منصور عبدالملك بن محمد - توفي ٤٣٩هـ) فقه اللغة، ليبيا - تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م، ص ٢٠٣.
(٣) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٧٤، ٧٧.

حكاية: قال ابن عباس لمعاوية رضي الله عنه: هل لك في مناظرتي في ما زعمت؟ قال: وما تصنع بذلك فاشغب بك وتشغب بي، فيبقى في قلبك مالا ينفعك ويبقى في قلبي ما يضرك. وقيل: الناس رجلان: عالم فلا تماره، وجاهل فلا تجاره.

قال زيد بن جندب:

وما كان أغنى رجالاً ضلَّ سعيهم ... عن الجدال وأعناهم عن الشغب

وقيل: إذا تشاجرت الخصوم طاشت الحلوم، ونسيت العلوم.

قال بعضهم: بئس المركب اللجاج بعد الحجاج.

وقيل: لا يميل إلى الجلبة واللجاج إلا من عجز عن الغلبة بالحجاج.

حكاية: كان أحمد بن الخصيب إذا ناظر شغبَ وجلبَ وربما رفس من يناظره!!

فقال فيه بعض المحدثين يخاطب الخليفة المنتصر:

قل للخليفة يا ابن عم محمد ... أشكل وزيرك إنه ركّالُ
قد نال من أعراضنا بلسانه ... ولرجله عند الصدور مجالُ [1]

قال أبو الأسود:

فشاغبته حتى ارعوى وهو كارهٌ ... وقد يرعوي ذو الشغب بعد التّحامل
فإنك لم تعطف إلى الحق جائراً ... بمثل خصيم عاقل متجاهل

وقال آخر:

وما خصم الأقوام من ذي خصومة ... كمثل بصير عالم متجاهل

(١) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ج ١، ص ٧٤.

وأنشد الأصمعي:

حديث بني قرط إذا ما لقيتهم ... كنزُ والدبا في العرفج المتقارب

مسلم بن عباس:

كأن بني رالان إذ جاء جمعهم ... فراريج يلقى بينهن سويق [1]

قال شاعر:

ومشهد قد كفيت الغابين به ... في مجمع من نواصي الناس مشهود

فرجته بلسان غير ملتبس ... عند الحفاظ، وقلب غير مردود

وقال حسان:

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع ... لذي حاجة في القول جداً ولا هزلاً

أبو تمام:

ثبتُ الخطاب إذا اصطكّت بمظلمة ... في رحله ألسنُ الأقوام والركَبُ

لا المنطق اللخي يزكو في محافله ... يوماً ولا حجّة الملهوف يستلبُ

المتنبي:

الفاصل الحكم عيّ الأولون به ... ومظهر الحق للساهي على الذهن

المبحث الرابع - الأساس المرحلي:

يذهب بعضهم إلى أن مراحل الحوار (المناظرة) أربع هي:

١. مرحلة المبادئ: ويتم فيها تعيين محل النزاع حتى لا يكون تشتت.
٢. مرحلة الأواسط: تقدم الدلائل التي يظهر فيها لزوم المطلوب.
٣. مرحلة المقاطع: مرحلة إذا انتهى إليه البحث انقطع. وهو ينقطع إذا انتهى إلى الضروري «أي اليقيني الذي يجب التسليم بالضرورة العقلية -، أو انتهى إلى الضني الذي يسلم به الخصم».

---

(١) المصدر السابق.

٤ . النتيجة : إذا عجز المعلل ، كان مفحماً ، وإذا عجز السائل ، كان ملزماً [١] .

وهي مراحل مقبولة فقهياً ومنطقياً ، إلا أنني أقسّم هذه المراحل تقسيماً مغايراً إلى ما يلي :

١ – في البدء : مرحلة السؤال : فالسؤال حافز للتحاور ، ويتعين أن يكون السؤال قد استوفى أحد الشرائط التالية :

(أ) أن يكون السؤال من صميم المحاورة وليس غريباً عليها .

(ب) أن يكون السؤال دقيقاً ، دون أن يتحمل معاني أخرى .

حكاية : قال رجل لهشام بن عمرو القرطي : كم تعد من السن؟ قال : اثنتين وثلاثين سناً ، ست عشرة من أعلى وست عشرة من أسفل . قال : لم أرد هذا . قال : كم لك من السنين؟ قال : والله ما لي فيها شيء ، السنون كلها لله تعالى . قال : يا هذا ماسنك؟ قال : عظم . قال : ابن كم أنت؟ قال : ابن اثنين رجل وامرأة . قال : كم أتى عليك؟ قال : لو أتى عليّ شيء لقتلني . قال : فكيف أقول؟ قال : تقول : كم مضى من عمرك؟ [٢] .

(ج) أن يكون السؤال لغرض الاستزادة من العلم ولذلك قيل : «إذا جالست عالماً فسل تفقهاً لا تعنتاً» [٣] .

(د) إلقاء السؤال حق مطلق للسائل ، وحق السؤال : الجواب .

من التوجيهات الحكيمة التي قررتها شريعة الإسلام لتنظيم

(١) د. علي جريشة، مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.

(٢) التنوخي (أبو علي المحسن بن علي – توفي ٣٨٤هـ)، المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق محمد كرد علي، دمشق ١٩٧٠. ص ٧٤

(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ص ٧٦.

المناقشات التي تنتشر بين الناس :

افساح المجال أمام المناقش أو المعارض لغيره، لكي يعبر عن وجهة نظره، دون مصادرة لقوله، أو إساءة إلى شخصه.

وفي الوقت ذاته اعطاء الحرية للجانب الآخر، لكي يرد على المخالف له، باسلوب مهذب، وبمنطق سليم، وبأدب جم، وبحرص تام على تبادل الاحترام فيما بينهما، إذ الخلاف في الرأي بين العقلاء، لا يفسد للود قضية.

ومن أقوال بعض الفقهاء الحكماء: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، ونتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه».

ولقد ساق لنا القرآن الكريم، صورا متعددة، لمحاورات ومجادلات ومعارضات، تجلى فيها افساح المجال في هذا المقام، حتى لمن جاهز بالمعصية لله - تعالى - ألا وهو إبليس، الذي فسق عن أمر ربه، وحسد آدم على ما أتاه الله من فضله، وتفوه بما يدل على جحوده وعناده وغروره (١).

قال ابن الخياط يمدح مالك بن أنس:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة — والسائلون نواكس الأذقان
نور الوقار وعز سلطان التقى — فهو المهيب وليس ذا سلطان (٢)

(١) د. محمد سيد طنطاوي: مرجع سبق ذكره، ص ٣١.
(٢) مذكور لدى الخطيب البغدادي (أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت ٣٩٢ - ٤٦٣هـ) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب، المجلد الأول، ط٣، بيروت مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، ص ٢٧٦.

(هـ) حق المحاور في الإجابة: لا أعلم، أو الله أعلم، فإذا لم يعرف المحاور الجواب الصحيح فليس عيباً ان يفصح بعدم علمه، ففتية الكهف حينما تساءلوا عن مدة بقائهم في الكهف وتحاوروا فيما بينهم، انتهوا إلى عدم العلم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: الكهف (١٩).

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى: أدركت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك، وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر، ويردها الآخر إلى الآخر حتى ترجع إلى الذي سأل عنها أول مرة [١].

وروى عن الإمام مالك انه سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري، وكان علماء السلف يقولون: إذا أخطأ العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله، ويقولون: ينبغي للعالم أن يعلم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك في أيديهم أصلا يلجأون إليه فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري [٢].

حكايتان: الأولى - سئل «الشعبي» عن شيء فقال: لا أدري! فقيل له: أما تستحي أن تقول: لا أدري وأنت فقيه العراق؟! قال: لكن الملائكة لم تستح إذ قالت: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ سورة البقرة: ٣٢.

الثانية - كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال، فسئل عن

---

(١) الزبيدي: اتحاف السادة المتقين، ج١، ص ٢٧٩.
(٢) د. طه جابر العلواني: أدب الاختلاف، ١٢٦.

مسألة في مجلس الخليفة، فقال: لا أدري، فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا، ولا تحسن مسألة؟ فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال، ولا يفنى ما لا أحسن. فأعجب الخليفة جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته [١].

٢- واجب المحاور تقديم الحجة أو البرهان فكل قول يتفوه به المحاور، من حق الآخر ان يطالبه بالدليل.

ومن أوجب الواجبات، لكي يكون الحوار بين الناس مفيدا ونافعا، وترجى من ورائه النتائج الطيبة، والعواقب الحميدة: ان يقوم على الحقائق الثابتة، لا على الإشاعات الكاذبة، وأن يبنى على المعلومات الصحيحة، لا على الأخبار المضطربة، وذلك لأن الأحكام التي مصدرها الأراجيف التي لا أساس لها من الصحة، تكون أحكاما فاسدة، لأنها لا سند لها من العقل الصحيح، أو النقل السليم.

ومن التوجيهات الحكيمة، والآداب السديدة التي ربى عليها النبي صلى الله عليه وسلم اتباعه، انه نهاهم عن اشاعة الكلام السيىء فيما بينهم، وأمرهم بنشر القول الحسن، فقال: «لا تبلغوني عن أصحابي شيئاً أكرهه، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[٢].

٣- الرجوع عن الخطأ فضيلة: إذا كان المحاور على خطأ أو ضلال فالواجب يملي عليه العزوف عن الخطأ أو عدم الاصرار عليه أو المكابرة به والعودة للحق والعود أحمد.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ

---

(٣) ابن الجوزي: الأذكياء، ص ١١١.

(٢) محمد سيد طنطاوي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨.

رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣).

فمن المبادىء والآداب التي جاءت بها شريعة الإسلام لضبط الخلاف بين الناس: ان يقصد كل طرف من أطراف الخلاف إظهار الحق والصواب في الموضوع الذي هو موضوع الاختلاف، حتى ولو كان هذا الإظهار على يد الطرف المخالف. وهذا ما نراه واضحا في اختلاف الصحابة، وفي محاوراتهم في كثير من القضايا، ومن أمثلة ذلك تلك المحاورة التي دارت بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - في مسألة جمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد توقف أبوبكر في أول الأمر، فلما أقنعه عمر برأيه، ما كان من الصديق رضي الله عنه إلا الموافقة على - رأي عمر رضي الله عنه. واختلفا في شأن قتال المرتدين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة، وتحاورا في ذلك، فلما اقتنع عمر برأي أبي بكر في وجوب قتالهم، ما كان منه إلا رجع عن رأيه إلى رأي أبي بكر[(١)].

وقال الشافعي رحمه الله: (إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي عرض الحائط).

وقال عمر رضي الله عنه: الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. وقيل: المبطل مخصوم وإن خصم، والمحق فالج وإن خصم. وقال عمر رضي الله عنه يوماً: أيها الناس ما هذه الصدقات التي أحدثتم لا يبلغني أن أحداً تجاوز صداق النبي صلى الله عليه وسلم إلا استرجعته منه؟ فقامت إليه امرأة فقالت ما جعل الله ذلك إليك يا ابن

---

(١) المصدر السابق.

الخطاب، إن الله تعالى يقول: وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً! فقال عمر: أما تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت أميركم فنضلته؟ وقال الشعبي: اني لأستحي أن أعرف الحق فلا أرجع إليه. (١)

٤- مرحلة الاتفاق: إذا كان الاثنان قد وصلا إلى مفهوم مشترك أو انحاز أحدهما اقتناعا ورضاء إلى رأى الآخر حينئذ ينتهي الحوار بالاتفاق.

٥- وإذا لم يتفق المتحاوران إما أن يؤجلا استئناف الحوار إلى موعد آخر، أو ان يتشدد الطرف الآخر بحيث لا يجد المحاور المسلم بداً من إنهاء الحوار والانسحاب، ذلك أن ثمة قوم: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف: ٥٧.

كما أن سورة (الكافرون) تلخص نهاية الحوار مع هؤلاء القوم، قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ⟨١⟩ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ⟨٢⟩ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⟨٣⟩ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ⟨٤⟩ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⟨٥⟩ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⟨٦⟩﴾.

إن إنهاء الحوار هو أصعب جزء في الحوار وأكثره احتياجا للمهارة ففي بعض الأحيان يجد المحاور نفسه مضطرا إلى وقف الحوار مثل أن يتبين له أن قاعدة الحوار مجهولة أو متباينة أو عدم مناسبة الظروف لاستمرار الحوار أو ان الطرف الآخر دون المستوى المطلوب جدية وعلماً. إن إنهاء الحوار بالاتفاق على استشارة مختص ربما يكون هو الأنسب، ويجب أن يكون إيقاف الحوار بطريقة مهذبة وذكية ليس فيها

(١) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ص ٧٥.

معنى العجز ولا الهزيمة بل اعتداد الواثق المؤدب[1].

ومن المفيد في خاتمة الكلام إيراد نص رسالة ابن الوزير (توفي ١٩٢٠هـ)[2] لما فيها من فائدة جمة بشأن المناظرات الفقهية وغيرها: «أن المعلل ما دام في تقرير الأقوال والمذاهب، وتحرير المباحث لا يتجه عليه، ولا يطالب بشيء سوى تصحيح النقل، وتصريح ان فلاناً: قال كذا في كذا، إن طولب به. فإذا شرع في إقامة الدليل على ما ادعاه يتجه عليه طرفا المناظرة.

وكلام المناظر إما ان يقع في التعريفات، أو في المسائل. فإن وقع في التعريفات: فللسائل طلب الشرائط، وإيراد النقض، بوجود أحدهما بدون الآخر، ولا يرد عليه المنع، لأنه طلب الدليل، والدليل على التصديق. إلا ان يدعي الخصم حكما صريحا، بأن يقول مفهومه لغة أو عرفا أو اصطلاحا أو ضمنا. فللسائل ان يمنع وللمعلل - أي المجيب - أن يجيب الجواب عن التعريف الأسمى - أعني تعريف المفهومات الاعتبارية -: سهل، فأصله يرجع إلى الاصطلاح، ويقول المعلل: ان مرادي بهذا اللفظ هذا المعنى. وعن التعريف الحقيقي - أعني تعريف الماهيات الموجودة في الخارج -: صعب. إذ لا مدخل فيه للاصطلاح، فلا يجب فيه العلم بالذاتيات، والعوارض، والمفارقة بينهما، بأن يفرق بين الجنس والعرض العام، والفصل والخاصة. وهذا

---

(٢) د. طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور؟ عمان دار البيت العتيق ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م، ص ٧٢ -٧٣.

(٣) ابن الوزير، هو العلامة الشيخ عبدالباسط بن خليل بن شاهين، المعروف بابن الوزير الملطي، وهو مؤرخ واشتغل بالفقه الحنفي، ولد في ملطية وتعلم في دمشق والقاهرة، ولد في ٨٤٤هـ = ١٤٤٠م وتوفي مسلولاً في ٩٢٠ = ١٥١٤م أنظر الزركلي، الاعلام، ج ٣، ص ٢٧٠، السخاوي: الضوء الساطع، ج٣، بيروت دار الحياة، ص ٢٧.

متعسر جدا في التعريف بل متعذر. ولذا لا يرد عليه المعارضة، لأنها به إقامة الدليل الدال على نقض، والدليل منتف. وان وقع في المسائل: فإذا شرع المعلل في اقامة الدليل: فالخصم ان منع مقدمة معينة من مقدماته، أو كل منها على اليقين، فذلك يسمى مناقضة، ونقضا تفصيليا فلا يحتاج فيه إلى شاهد.

وإن ذكر شيئا مما يتقوى به المنع يسمى سندا. فإن لم يذكره لم يجز الاعتراض عليه، إلا إذا ادعى مساوات المنع، لأن السند لملزومات ثبوت المنع، فانتفاء الملزوم لا يستلزم انتفاء اللازم، ولكن على تقدير المساواة يمكن انتفاؤه. وأكثر ما استند إليه يذكر مساوياً، فلذا شاع الكلام عليه.

وإن دفع مقدمة غير معينة بأن يقول: ليس هذا الدليل بجميع مقدماته صحيحا، بمعنى ان فيها خللا، فذاك يسمى نقضا اجماليا. ولا تسمح إلا بذكر الشاهد على الخلل، بذلك لم يمنع شيئا من المقدمات أصلا، لا تفصيلا ولا اجمالا، بل قال: بدليل دال على نقيض مدعاه يسمى معارضة، وبه يصير السائل معللا وبالعكس.

اعلم: ان السؤال المتعلق بالإفهام يسمى استفسارا، وهو طلب بيان معنى اللفظ في الأغلب، وإنما يسمع ذلك إذا كان اللفظ اجمالا أو غرابة. ولذا قيل: ما يمكن فيه الإفهام حسن فيه الاستفهام. والأول لجّاج ومتعنت ولفائدة المناظرة مفوّت. إذا أتى في كل لفظ يفتقر فيتسلسل الجواب عن الاستفهّام. بيان ظهوره في مقصوده، اما بالنقل من أهل اللغة، أو بالعرف العام والخاص، أو بالقرائن المفهومة منه.

وإن عجز عن كله فالتفسير بما يصلح لغة، وإلا ان يكون من

جنس اللغة، فيخرج عما وضعت له المناظرة من اظهار الحق. وهذا الاستفهام يرد على تقدير المدعي، وعلى جميع المقدمات، وعلى جميع الأدلة فلا سؤال أعم منه.

ومن الواجب على المعلل ألا يستعجل الجواب، بل يطنب عند توجيه المنع وتحقيقه. إذ ربما لا يمكن لمانع توجيهه، أو يظهر فساده، أو يذكر جوابه، فإذا أجيب فعلى المانع أن لا يستعجل، ويطلب توجيه الجواب، أو تفصيله، إذ بها لا يقدر عليه، أو يكون غلطا.

ومن الواجب على المتناظرين أن يتكلما في كل علم مما هو حده ووظيفته، فلا يتكلما في اليقيني بوظائف الظني وبالعكس [1].

الفرع الثاني
الأسس المنطقية

يسمى علم المنطق لدى العرب: «علم الميزان» [2]، ولغة هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر [3]، كما انه علم بقوانين تفيد معرفة طرق الانتقال من المعلومات إلى المجهولات وشرائطها بحيث لا يعرض الغلط في الفكر [4]، وبعبارة أخرى هو

---

(١) ابن الوزير: رسالة في آداب البحث والمناظرة، تحقيق الشيخ سليم شبعانية، دمشق، دار النعمان للعلوم، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م. لم أدون التعليقات والشروحات التي دبجها قلم المحقق الشيخ سليم شبعانية، كيلا اثقل ذهن القارىء بها، وهي تعليقات مهمة يمكن مراجعتها في النسخة المحققة وجزى الله المحقق كل خير على جهده الطيب.

(٢) التهانوي (محمد أعلى - توفي حوالي ١١٥٨هـ = ١٧٤٥م) كشاف اصطلاحات الفنون، ط ٢، طهران مطبعة خيام، ١٩٦٧م، ص ١٠٦٦.

(٣) الجرجاني، التعريفات، ص ١١٢.

(٤) التهانوي: مرجع سبق ذكره، ص ٥١٤.

قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في حدود معرفة الماهيات والحجج المفيدة للتصديقات [١].

وينقسم المنطق إلى قسمين: المنطق الصوري والمنطق العام فالمنطق الصوري ينظر للقضايا والتصورات من حيث صورتها لا مادتها ويطلق على المنطق القياسي بوجه عام، ومن اقسامه المنطق الرمزي وهو يعبر عن قوانين المنطق بالرموز والاشارات لا بالألفاظ ويسمى بالمنطق الرياضي.

اما المنطق العام فهو البحث عن طرق معرفة الحقيقة والخطأ وهو يدرس الصور والمواد ويسمى بالمنطق المادي ويستخدم طرق الملاحظة، والفرضية والتجربة، والاستقراء الخ [٢].

ويتطلب التعمق في الأسس المنطقية للحوار، التطرق إلى ضرورة المعرفة المنطقية للمحاور، من جهة وبيان آليات الحوار من جهة ثانية والتطرق إلى عمليات الاستدلال من جهة ثالثة ومعرفة بعض المفردات المنطقية من جهة رابعة وسأتناول هذه الموضوعات الجوهرية في أربعة مباحث مستقلة:

المبحث الأول - ضرورة المعرفة المنطقية:

يفترض بالداعية الإسلامي ان يلم بمباحث علم المنطق، ومن ثم تصبح لديه معرفة منطقية تساعده في كسب الحوار لصالح الدعوة الإسلامية فالحوار ليس عملا شخصيا محضا وانما هو عمل علمي بكل

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، بيروت دار الكتاب اللبناني (د. ت) ص ٩٠٨.

(٢) للتوسع، انظر: الموسوعات والمعاجم الفلسفية.

معنى الكلمة ولعل أهم الأسس العقلية للحوار هي الأسس المنطقية فيكون - تبعا لذلك - حواره منهجيا وموضوعيا ففهم ألف باء المنطق يعني أن يتسلح المحاور بالحجج الأكثر صوابا ويتحاشى التناقض في القول أو الضعف في وجهة النظر .

أولاً - ضرورة تحديد مفاهيم المصطلحات:

من الضرورة، قبل البدء في الحوار أو في بداية تنفيذه أن يتفق المتحاورون على تحديد معاني المصطلحات والمفاهيم التي يستخدمونها في حواراتهم، فالمصطلحات تختلف باختلاف الفلسفات الغابرة والمعاصرة كما تتباين بتباين العلوم الانسانية والاجتماعية وقد ناقش كتاب كثيرون المشكلات الفلسفية لفكرة النماذج الإرشادية (الإطارات الفكرية لمعنى الثورة العلمية) ودلالة ذلك بالنسبة لجدوى الحوار بين المجتمعات العلمية التي تلتزم بنماذج إرشادية متباينة وكذلك إمكانية فهمنا نحن المعاصرين للمجتمعات البدائية، وعني هؤلاء المفكرون اساسا بفكرة النسبية المترتبة على رأي «توماس كون» من ان النماذج الإرشادية يمكن النظر باعتبارها تستجيب إلى عوالم مختلفة ومن ثم يتعذر التفاهم بينهم، ويستحيل حسم الخلاف باللجوء إلى أي لغة خارج النموذج الإرشادي بمعنى ان الحوار بين الثقافات هو حوار طرشان .

يلزم عن هذا أن لا سبيل للوقوف خارج الحوار بين أنصار نموذجين ارشاديين والاهتداء إلى حجج عقلانية ومعايير برهانية تجريبية تكشف عن صواب صورة ما للعالم وخطأ الأخرى، إذ لكي يكون الحوار مجديا بين طرفين لابد وان يدور داخل ذات الإطار بلغته

ومفاهيمه [١].

فالمصطلح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، واخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر بمناسبة بينهما. وقيل: الاصطلاح: اخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد. وقيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معيّنين [٢].

أما المترادف فهو ما كان معناه واحداً واسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك أخذاً من المترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه كالليث والأسد [٣]. اما المتباين فهو ما كان لفظه ومعناه مخالفاً لآخر، كالإنسان والفرس [٤].

والقرآن الكريم يعطي ألفاظه التي هي عماد الدين معاني محكمة في العقيدة والشريعة اجمالا أو تفصيلا ولو تتبع الباحث بالاستقراء الكامل مواطن ورود اللفظ الواحد لأمكنه الوقوف على معاني اللفظ الجمة وعلى حقيقته المرادفة في هذا المواطن أو ذاك ولم يقف القرآن عند حد ضبط ألفاظه ومصطلحاته ودلالاتها قطعية وظنية بل تعدى ذلك إلى تقويم اللسان في النطق والكلام بانتقاء أحسن الألفاظ وأبلغها في أداء المعنى فأمر ألا يجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن [٥].

---

(١) شوقي جلال في مقدمته لكتاب بنية الثورات العلمية: توماس كون، ترجمة شوقي جلال الكويت (المعرفة ١٨٦) ١٩٩٢م ص ١٤.
(٢) الجرجاني: التعريفات، ص ٤٤ - ٤٥.
(٣) الجرجاني: التعريفات، ص ٢٥٣.
(٤) الجرجاني: التعريفات، ص ٢٥٣.
(٥) سعيد شبار: المصطلح: خيار لغوي وسمة حضارية، كتاب - الأمة - وزارة الأوقاف، قطر ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، ص ٣٧.

فإذا كان المشتغلون في الحقل العلمي يختلفون بشأن مفاهيم متعلقة بعلوم طبيعية (فيزيائية) وحيوية (كيماوية وبيولوجية) واحصائية ورياضية فإن الاختلاف أشد وأظهر في العلوم الإنسانية والاجتماعية ومن ضمنها علوم الشريعة والعقيدة والأخلاق، لذلك فإن على المحاور التزامين:

الأول - التأكد من دقة وسلامة المصطلحات التي يستخدمها في حواره، إذ أن أي خطأ يرتكبه في هذا الشأن يمس سمعته الفقهية أو الاجتهادية أو الثقافية.

الثاني - الطلب من المحاور الآخر الافصاح عن معاني المصطلحات والمفاهيم التي يستخدمها في حواره، إذ قد يكون هذا المحاور مخطئا أساسا ومن ثم فإن تصويب خطئه ضروري قبل المباشرة بالحوار، وكي يبدأ الحوار بداية سليمة دون التباس لدى أحد الطرفين.

إذن من الضرورة تحديد المفاهيم، وضبط الأحكام، لأنه من المتفق عليه بين العقلاء، أن فهم الأمور فهماً سليماً، يؤدي إلى الحكم الصحيح عليها إذا معظم الأحكام الخاطئة، مرجعها إلى الفهم السقيم، أو إلى الخلط بين الألفاظ والمعاني، خلطاً يلتبس فيه الحق بالباطل، والصحيح بغيره.

وقد قالوا: إن تحرير محل النزاع، يؤدي إلى حسن الاقتناع، فالألفاظ متى تحددت معانيها والقضايا متى وضحت معالمها، سهل الوصول إلى الاتفاق بين المختلفين، وظهر الرأي الذي تؤيده الحجة القويمة، وتطمئن إلى صحته العقول السليمة.

ويعجبني في هذا المقام، قول الدكتور محمد البهي - رحمه الله

- في كتابه: «تحديد المفاهيم أولاً»: لم يكن اختلاف الناس في الرأي، واختلافهم في تطبيقه، إلا وليد الاختلاف في تحديد مفاهيم الأشياء، ومدلول الكلمات والمصطلحات، ولم يكن قيام المذاهب الفلسفية والدينية والسياسية، ولم تكن التبعية لها، والجحود عليها، إلا نتيجة الاختلاف في الرأي وفي تطبيقه».

فيجب عدم التعميم في الأحكام، والاحتراس من الأقول، وتحديد المسائل والقضايا تحديداً دقيقاً، توضع فيه الألفاظ مواضعها السليمة، وتقرر فيه الأمور تقرير لحمته وسداه، الصدق والعدل، وتوزن فيه الأفعال بميزان القسط، الذي لا يظلم أهل التقوى والعفاف والاستقامة، ولا يجامل الذين أطاعوا أهواءهم، وعموا وصموا عن الطريق القويم. [1].

في ضوء هذا الادراك يجب الحرص على وضوح المفاهيم والمصطلحات وإلا مُسَّ الحق مساً مؤذياً.

قال ابن الرومي:

غموض الحق حين تذب عنه   يقلل ناصر الحق المحق

يضل عن الدقيق عقول قوم   فتحكم للمجل على المدقي

وقيل: ما دق من الكلام يعجز عنه كثير من الأنام فينسب إلى الاحالة، وان كان في غاية الجلالة، ولذلك قال أبو تمام:

فصرت أذل من معنى دقيق   به فقر إلى فهم جليل [2]

---

(١) د. محمد سعيد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٩م، ص ٥٣ وما بعدها.

(٢) الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ص ٧٥.

حكاية: قال ابن الجوزي: بلغني ان رجلاً يهودياً قدم البصرة، وقد قطع وغلب عامة متكلميهم، فقلت لعمي: امض بي إلى هذا اليهودي أكلمه. فقال: يا بني، هذا قد غلب جماعة متكلمي البصرة. فقلت: لابد. فأخذ بيدي، فدخلنا على اليهودي، فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه نبوة موسى عليه السلام، ثم يجحد نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول: نحن على ما اتفقنا عليه من نبوة موسى إلى ان نتفق على غيره فنقر به. فدخلت إليه، فقلت له: أسألك أو تسألني؟ فقال: يا بني، أو ما ترى ما أفعله بمشايخك؟ فقلت له دع عنك هذا واختر. قال: بل أسألك. أخبرني أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته، وثبت دليله؟ تقر بهذا أو تجحده، فتخالف صاحبك؟ فقلت: إن الذي سألتني عنه عن أمر موسى عندي على أمرين: أحدهما: إني أقر بنبوة موسى الذي أخبر بصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمرنا باتباعه وبشر بنبوته، فإن كان عن هذا تسألني، فأنا مقر بنبوته، وإن كان الذين سألتني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يأمر باتباعه، ولا بشر به، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته، وهو عندي شيطان مخزي. فتحير مما قلت له: فقال لي: فما تقول في التوراة؟ فقلت: أمر التوراة أيضا عندي على وجهين: إن كان التوراة التي انزلت على موسى الذي أقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهي التوراة الحق، وان كانت الذي تدعيه فباطل، وأنا غير مصدق بها. فقال: احتاج ان اقول لك شيئا بيني وبينك، فظننت انه يقول شيئا من الخير، فتقدمت إليه فسارني وشتمني، وقد رأى اني أثب به، فيقول: «وثبوا علي». فأقبلت على من كان في المجلس، فقلت: أعزكم الله، أليس قد أجبته؟ قالوا: بلى. فقلت: أليس عليه أن يرد جوابي؟ فقالوا:

بلى. فقلت: انه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد، وشتم من علمني، وظن اني أثب به، فيدعي أنا أثبناه، وقد عرفتكم شأنه، فخرج هارباً من البصرة [١].

حكاية: يروى ان امرأة من الأعراب وقفت على جماعة. فقالت: ما الكرم يرحمكم الله؟ قالوا: بذل المعروف والإيثار على النفس. قالت: هذا في الدنيا، فما هو في الدين؟ قالوا: طاعة الله سبحانه وتعالى، وبذل المجهود في عبادته، واجتناب محارمه، والوقوف عند حدوده، طيبة بذلك نفوسنا. قالت: أتريدون بذلك أجرا؟ قالوا: نعم. قالت: ولِمَ؟ قالوا: لأن الله وعدنا بالحسنة عشرة أمثالها. قالت: سبحان الله، فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشراً، فأين الكرم؟ قالوا: فما هو يرحمك الله؟ قالت: هو ان يعبد الله حق عبادته، ولا يراد على ذلك جزاء حتى يفعل بكم مولاكم ما يشاء، ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء [٢].

المبحث الثاني - التسلح بالحجج:

تقتضي الضرورة العلمية بيان ماهية الحجة، ثم التطرق إليها في القرآن الكريم اما الضرورة العملية فتتطلب إيراد نماذج للحجج التي ساقها الفقهاء المسلمون في مناظراتهم الفقهية، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١) ابن الجوزي: الأذكياء، ص ١١٢.

(٢) البلوي (يوسف بن محمد) كتاب ألف باء، ج١، نشر جمعية المعارف، القاهرة، عالم الكتب ١٣٨٧هـ، ص ٤٩١.

أ- ماهية الحجة :

الحجة : ما دل به على صحة الدعوى . وقيل : الحجة والدليل واحد [١] وبعبارة أخرى هي : ما يراد به اثبات أمر أو نقضه ، وهي أنواع كثيرة مباشرة وغير مباشرة ، منها :

١- المحاجة : ويراد بها طريقة تقديم الحجج والإفادة منها . أو الحجاج الذي يقوم على جمع الحجج لاثبات رأي أو إبطاله .
٢- حجة أخيل : إحدى حجج زينون ضد الحركة ، ذلك ان أخيل (أسرع الرجال) لا يمكن أن يلحق بالسلحفاة إذا انطلقا معاً ، وكانت قد سبقته بمسافة ، لأنه لابد له ان يقطع أولاً هذه المسافة ، وكلما قطع مسافة سبقته بمسافة أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية!
٣- حجة الإنسان الثالث : احدى الحجج التي حاول أرسطو أن ينقض بها نظرية المثل الأفلاطونية ، وملخصها : ان ما هو مشترك بين الانسان المحسوس ، ومثال الإنسان يعتبر انسانا ثالثا ، وما هو مشترك بين هذا الانسان الثالث ، ومثال الانسان يعتبر انسانا رابعا ، وهكذا إلى ما لا نهاية ، وهو مستحيل .
٤- حجة شخصية : حجة موجهة إلى قول الشخص نفسه لافحامه ، فتصرف القضية عن الوقائع الثابتة ، وتوجه إلى النيل من الشخص نفسه . وتقابل الحجة الموضوعية وهي التي تتجه إلى صميم الموضوع .
٥- حجة غوغائية : حجة تحاول أن تؤثر في مشاعر الناس وان تكسب تأييدهم ، وذلك بمخاطبة مواطن ضعفهم عاطفيا ، متجنبة النظر إلى الوقائع الثابتة والأسس المعقولة المقبولة لدى الناس جمعياً .

(١) الجرجاني: كتاب التعريفات، ص ١١٢ .

٦- حجة كوشى: دليل رياضي يرمي إلى اثبات ان المتوالية الطبيعية للأعداد من حيث انها لا متناهية لا يمكن أن يكون لها وجود بالفعل.

٧ـ حجة الكومة:

أ ـ استدلال مغالط أخذ به الأكاديميون والشكاك اليونانيون لإثبات استحالة التمييز بين الحق والباطل، وبيان أن معايير الحقيقة تقبل الزيادة والنقص. وذلك لأن حبة واحدة من القمح أو حبتين لا تكونان كومة، ولا ندري ماذا يضاف إليهما من الحبات لكي يصبحا كومة، والكومة نفسها إذا نزعت منها حبة بقيت كومة، ولا ندري ماذا ننقص فيها لكي لا تكون كومة. وقد استخدم هذا الدليل في نقض منطق أرسطو ومعارضة ما قال به الرواقيون من أن لليقين معياراً مطلقاً.

ب ـ يطلق هذا المصطلح أيضاً على القياس المركب الذي يشتمل على مقدمات وحدود وسطى كثيرة، وهو استدلال يمكن رده إلى أقيسة بسيطة.

٨ـ حجة المسلمات: استدلال يقوم على قضية سلم بها الخصم من قبل، والمسلمات هي المقدمات المأخوذة بحسب تسليم المخاطب، سواء كانت حقة أو مشهورة أو مقبولة، ولا يلتفت فيها إلا إلى تسليم المخاطب.

٩ـ حجة المشهورات: حجة تقوم على الآراء الشائعة أو المشهورة والمشهورات قضايا وآراء أوجب التصديق بها اتفاق الناس عليها كافة، كقولنا: إن العدل جميل والكذب قبيح. ومن المشهورات

ما هو كاذب، وقد يكون الاتفاق عليها بالنسبة إلى قوم دون قوم أو عصر.

١٠ - حجة موضوعية: حجة تتجه إلى صميم الموضوع. وتتميز عن الحجة الشخصية التي لا تلزم إلا الخصم[١].

أما مراتب الحجج، فهي:

- حجة برهانية: تفيد اليقين الجازم، كل قادر على الخلق قادر على إعادته - فالله قادر على إعادة الخلق.

- حجة جدلية: مقاربة لقوة اليقين وملزمة للطرف الآخر. كحسن إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، ملازمة الصدق في الكلام.

- حجة خطابية: تفيد ظناً راجحاً مقبولاً - غير ملزمة الصدق في الكلام. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: ٢٨).

- حجة شعرية: تتلاعب بمشاعر الطرف الآخر وإن كان صاحبها عالماً بعدم صحتها.

هو البحر من أي الجوانب جئته فلجته المعروف والجود ساحله

- حجة مرفوضة: مؤلفة من مقدمات كاذبة. أو فيها ما هو كاذب غير صحيح. قائمة على الغلط أو المغالطة «ويل للمصلين» الصيام ضار[٢].

(١) مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، ص ٦٧ - ٦٨.
(٢) د. علي جريشة: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٩.

ب ـ طريقة القرآن الكريم في إلزام الخصم بالحجة :

يلاحظ أن القرآن الكريم يلزم الخصوم في الاحتجاج ويفحمهم من أقرب الطرق وأقواها إلزاماً. ولا يتجه إلى مجرد الإفحام والإلزام اللذين تأتي بهما الحجة، بل يتجه في الغالب، إلى إرشاد القارئين إلى الحقائق، وما في الكون من دلائل على القدر، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (١١) ﴾ (ق: ٦ ـ ١١).

إن المتتبع لهذه الآيات البينات، يرى فيها، ليس مجرد إفحام الوثنيين ومنكري التوحيد، بل يرى توجيهاً نحو الكون وما فيه من دلائل القدرة وعجائب الصنع، وكما في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) ﴾ (الرحمن: ١ ـ ١٨).

ولئن اتجه القرآن الكريم إلى الإلزام والإفحام، فإنه لم يلبث أن

يأخذ بيد العاند إلى الحقيقة، يبينها واضحة جلية لا ريب فيها، كما في قوله تعالى، رداً على المشركين حين طلبوا أن يكون الرسول ملكاً: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ (الأنعام: ٨ـ٩).

ومن الحجاج المفحم قوله تعالى، في الرد على اليهود ووصفهم بالكذب: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٨٣).

ومن أنواع الجدل ما يعبر عنه بأخذ الخصم بأقرب طريق للإفحام والالزام، وهي كثيرة، منها:

أ- التحدي: تحدى الله كفار قريش، بأن يأتوا بعشر سور من مثل سُوَر القرآن الكريم مفتريات: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣).

ب- تحدي خليل الرحمن الملك الجبار عندما قال له، ان الله يأتي بها من المغرب.

ج- أخذ الخصم بموجب كلامه، وإثبات أنه عليه وليس له، من ذلك ما ورد في قوله تعالى، في شأن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ (المنافقون: ٨).

«وحقيقة رد الخصم من فحوى كلامه، وهو أن يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام، فيعمد المخاطب إلى كلمة مفردة من كلام المتكلم، فيبني عليها من كلامه ما يوجب عكس معنى كلام المتكلم. لأن حقيقة

القول الموجب رد الخصم من فحوى كلامه».

د- مجاراة الخصم ليعتبر: أي مجادلة الخصم فيما يقول، ثم التعقيب عليه بما يقلب عليه نتائج قوله. من ذلك قوله تعالى، حاكيا عن الرسل مع أقوامهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ⑩ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (إبراهيم: ١٠ - ١١).

من هذا النص نرى أن الرسل عليهم السلام، سلموا بالمقدمة التي بنى عليها الأقوام رفضهم، ولكنهم نقضوا النتيجة بقولهم: (ولكن الله يمن على من يشاء) (إبراهيم: ١١). فكأنهم قالوا لهم إن ما قلتموه من أننا بشر حق، ولكن ما تريدون أن تثبتوا عليه من إثبات أننا لسنا أنبياء باطل، لأن الله يمن على من يشاء من عباده، وقد من علينا، وقدمنا لكم السلطان والدليل، ولا سلطان لنا، إلا ما يمدنا به الله تعالى».

هـ- التسليم: «وهو ان يفرض المحال، إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع يكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١). المعنى ليس مع الله إله، ولو سلم أن معه إلهاً، مع ذلك التسليم، لذهب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلا بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم ولا ينفذ حكم ولا تنتظم

أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال، لما يلزم عليه المحال».

و- قياس الخلف: وفيه يتجه القرآن إلى إثبات المطلوب بإثبات نقيضه، وذلك في مثل الاستدلال على إثبات الوحدانية لله تعالى، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٤٢)، وكإثبات أن القرآن من عند الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً﴾ (النساء: ٨٢).

ز- الانتقال: وهو ان ينتقل المستدل من حجة إلى أخرى، مع لزوم الحجة الأولى وإفحامها للخصم، إلا أنه لم يتبين وجه الرأي فيها، ولم يتفهم دلالتها، أو أنه فهم ذلك، ولكنه أراد أن يصرف نفسه عنها بمغالطة تخرجه مما هو متورط فيه، لأنه يعلم أنه ليس على حق، إلا أنه يريد أن يتخلص، فينتقل المستدل بها إلى حجة أخرى، تلزمه إلزاماً، وتسد عليه باب المغالطة التي أتى بها.. ومثال ذلك في قوله تعالى، في حكاية مناظرة الخليل عليه السلام لملك زمانه، النمرود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

وكان النمرود، في مبدأ دعوة إبراهيم، مطمئناً إلى معارضة القوم، واستهزائهم بدعوته، وانصياعهم لأوامر الملك المتجبر.

والحجة أنه لما لم يفهم النمرود الدلالة في الدليل الذي ساقه له ابراهيم عليه السلام أو فهمه وغالط وكابر، فإن الخليل عليه السلام استمر في مناظرته في هذه الحجة، مع لزومها وافهامها، بل أراد أن يختصر له الطريق في الزامه على وجه قاطع، لا يستطيع معه اللف والدوران، فانتقل إلى حجة أخرى، تتعلق بالأفلاك السماوية، وكان النمرود من أهل الفلك، كما ورد في بعض كتب التفسير ليقنعه من طريق علمه، وعلى وجه لا يقبل الشك والمحاورة، فقال: **﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾**.. ولقد أتى هذا الانتقال بنتيجة باهرة، إذ انقطع النمرود عن المخاصمة والمجادلة.

ح - التمثيل: «وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف، ويبين الجهة الجامعة بينهما»، كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾** (الحج: ٥ - ٧).

لقد قاس الله تعالى أمر إعادة الإنسان خلقاً سوياً في الحياة الأخروية، على ما كان عليه الإنشاء الأول عن طريق التمثيل، حتى لا يكون مستغرباً من بعض الذين يقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت - فأضحى لا مجال للشك في ذلك، وذلك بأسلوب القرآن الكريم

المستفيض.

ط - المناقضة: «وهو تعليق على مستحيل، إشارة إلى استحالة وقوعه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (الأعراف: ٤٠).

ووصولاً إلى الإقناع، استخدم القرآن الكريم في حجاجه الأسلوب التلقيني، وسَوْق القضايا مسلمة، ولا تحتاج إلى دليل، ولا تحتمل مناقشة.. وهو أسلوب له أثره عندما تزاح الأغشية التي صنعها اصحاب المصالح، ويخلى بين الناس وبين الحق السافر الواضح، ومن أبى واستكبر، بعد ذلك فهو من الخاسرين، بعد أن وضحت الحجة، وأزيلت غياهب الباطل[١].

ج - الحجج في السنة النبوية

يلاحظ ان الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم استخدم الحجج المنطقية وهي وافرة في كتب السيرة النبوية الشريفة، اكتفى بايراد نموذج واحد منها:

جاء في مسند الإمام احمد (توفي ٢٤١هـ = ٨٥٥م) عن أبي إمامة قال: إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول

---

(١) انظر في تفصيل أوسع:
- جلال الدين السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، ابراهيم، ج٢، القاهرة، مطبعة الشهيد الحسين، ص ٥٦ - ٥٧.
- ابن ابي الاصبع المصري: بديع القرآن، تحقيق د. ضيف محمد شرف، ط٢، القاهرة، دار نهضة مصر، ص ٣١٤.
- الإمام أبوزهرة: تاريخ الجدل، القاهرة، دار الفكر، ص ٦٣ - ٦٨.
- محمد علي نوح قوجيل: أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، طرابلس (ليبيا) جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص ١٠٠.

الله ائذن لي بالزنا . . فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه . . . مه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أدن، فدنا منه قريباً، قال اجلس، اتحبه لامك! قال لا والله جعلني الله فداك، وقال: ولا الناس يحبونه لامهاتهم . . قال: أفتحبه لابنتك! قال لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك . . قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم . . قال: أتحبه لأختك! قال: لا والله، جعلني الله فداك . . قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم . . قال: أفتحبه لعمتك! قال: لا والله، جعلني الله فداك . . قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم . . قال: فأتحبه لخالتك! قال: لا والله جعلني الله فداك . . قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم . . قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه، فلم يكن الفتى - بعد ذلك - يلتفت إلى شيء[١].

د. الحجج في مناظرات الفقهاء المسلمين

فيما يلي نماذج من مناظرات مفعمة بالحجج السليمة:

١ - مناظرة بين الإمام الشافعي والإمام احمد بن حنبل رضي الله عنهما.

حد المؤمن وحد الكافر: قال السبكي[١]: حكى ابوعلي الحسن بن عمار، من اصحابنا، وهو رجلي موصلي، من تلامذة فخر الإسلام الشاشي . . ان احمد بن حنبل ناظر الشافعي في تارك الصلاة، فقال له الشافعي: يا احمد اتقول انه يكفر؟ قال: نعم، قال: إذا كان كافراً فبما

---

(٢) الإمام احمد بن حنبل: المسند، ج٥، شرح احمد محمد شاكر، القاهرة دار المعارف، ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م، ص ٢٥٦ وما بعدها.

(٢) السبكي (عبدالوهاب بن عبدالكافي توفي ٧٧٧هـ = ١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، ج١، بيروت، دار المعرفة (د.ت) ص ٢٢٠.

يُسْلِم؟ قال: بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال الشافعي: فالرجل مستديم لهذا القول! قال: يسلم بأن يصلي.. قال: صلاة الكافر لا تصح، ولا يحكم الإسلام بها.. فانقطع احمد وسكت.

٢ - مناظرة بين الإمام الشافعي واسحاق بن راهوية رضي الله عنهما.

جلود الميتة: روى السبكي[1] باسناده، أن اسحاق بين راهويه ناظر الشافعي - وأحمد بن حنبل حاضر - في جلود الميتة إذا دبغت.. فقال: دباغها طهورها.. فقال اسحاق: ما الدليل! فقال الشافعي: حديث الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس عن ميمونة، أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة، فقال: (هلا انتفعتم بجلدها).. فقال اسحاق: حديث ابن عكيم كتب إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل موته بشهر: (لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب) أشبه أن يكون ناسخاً لحديث ميمونة، لأنه قبل موته بشهر.. فقال الشافعي: هذا كتاب، وذلك سماع.. فقال اسحاق: ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر، وكان حجة عليهم عند الله.

فسكت الشافعي[2].. فلما سمع ذلك احمد بن حنبل ذهب إلى حديث ابن عكيم وأفتى به.. ورجع اسحاق إلى حديث الشافعي فأفتى بحديث ميمونة.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢١.

(٢) سكوت الشافعي تسجيل على اسحاق بأن اعتراضه فاسد الوضع، فلم يستحق عنده جواباً، وهذا شأن الخارج عن المبحث عند الجدليين، فإنه لا يقابل بغير السكوت، ورب سكوت أبلغ من نطق ومن ثم رجع إليه اسحاق وأفتى به.

٣ - مناظرة بين الإمام الشافعي واسحاق بن راهويه رضي الله عنهما.

كراء بيوت مكة المكرمة: روي[1] عن اسحاق بن راهويه، قال: كنا بمكة، والشافعي بها، وأحمد بن حنبل ايضاً بها.. وكان احمد يجالس الشافعي، وكنت لا أجالسه.. فقال لي احمد: يا أبا يعقوب لم لا تجالس هذا الرجل؟ فقلت: ما أصنع به، وسنُّه قريب من سننا؟ كيف أترك ابن عيينة وسائر المشايخ لأجله؟ قال: ويحك، إن هذا يفوّت، وذلك لا يفوّت.. قال اسحاق: فذهبت إليه، وتناظرنا في كراء بيوت أهل مكة.. وكان الشافعي تساهل في المناظرة، وأنا بالغت في التقرير، ولما فرغت من كلامي، وكان معي رجل من اهل مرو، فالتفتُّ إليه وقلت: (مردك هكذا مردك ما لا نيست)[2].. فعلم الشافعي أني قلت فيه سوءاً، فقال لي: أتناظر؟ قلت: للمناظرة جئت.. فقال الشافعي: قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ (الحشر: ٨)، فنسب الديار إلى مالكها، أو إلى غير مالكها؟ وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» فنسب الديار إلى أربابها أم إلى غير أربابها؟ واشترى عمر بن الخطاب داراً للسجن من مالك أو من غير مالك؟ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وهل ترك لنا عقيل من دار»؟.

قال اسحاق: فقلت الدليل على صحة قولي ان بعض التابعين قال به.. فقال الشافعي لبعض الحاضرين: من هذا؟ فقيل: اسحاق بن

(١) السبكي: المرجع السابق، ص ٢٣٦.
(٢) يقول بالفارسية: هذا الرجل ليس له كمال.. لكن اسحاق بعدئذ كان يأخذ لحيته بيده ويقول: واحياي من محمد بن ادريس.. يعني في هذا المسألة التي قال اسحق عنها: لما عرفت أني أفحمت قمت/ طبقات السبكي ١/ ٢٣٦ - ٢٣٧.

ابراهيم الحنظلي . . فقال الشافعي : أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟ قال اسحاق : هكذا يزعمون . . فقال الشافعي : ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك ، فكنت آمر بعرك أذنيه . . أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت تقول : قال عطاء وطاووس والحسن وابراهيم ، وهل لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة؟

قال اسحاق : إقرأ ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ (الحج/ ٢٥) فقال الشافعي : هذا في المسجد خاصة . . قال اسحاق : لما عرفت أني أفحمت قمت .

٤ - مناظرة بين الإمام الشافعي والإمام محمد بن الحسن رضي الله عنهما .

حكم الشيء المغتصب بعد الاستعمال: قال محمد[1] : ما تقول في رجل غصب من رجل ساجة فبنى عليها بناء ، أنفق فيه ألف دينار ، ثم جاء صاحب الساجة أثبت بشاهدين عدلين : أن هذا اغتصبه هذه الساجة ، وبنى عليها هذا البناء ، ما كنت تحكم؟ قال الشافعي : أقول لصاحب الساجة يجب أن تأخذ قيمتها ، فإن رضي حكمت له بالقيمة ، وإن أبى إلا ساجته قلعتها ، ورددتها عليه ، فقال محمد : فما تقول في رجل اغتصب من رجل خيط إبريسم[2] ، فخاط به بطنه ، فجاء صاحب

(١) هو محمد بن الحسن الشيباني صاحب الامام أبي حنيفة، وأحد الثلاثة الذين تركوا كتب الأصول عن الحنفية وتسمى كتب ظاهر الراوية لأنها رويت عن محمد بروايات الثقات، وهي عنه متواترة أو مشهورة، ولها المرتبة الأولى بين كتب الأصول في فقه الحنفية مثل كتب محمد الستة المبسوط، والزيادات، والجامع الصغير والكبير والسير الصغير والكبير - انظر حاشية ابن عابدين ج١ ص ٧١.

(٢) خيط صنع من أجود الحرير.

الخيط، فأثبت بشهادة عدلين: إن هذا اغتصبه هذا الخيط؛ أكنت تنزع الخيط من بطنه؟ فقال الشافعي: لا، فقال محمد: الله أكبر، تركت قولك! فقال الشافعي لا تعجل، أخبرني لو لم يغصب الساجة من أحد، وأراد أن يقلع عنها هذا البناء، أمباح له ذلك؟ أم محرم عليه؟ فقال محمد: بل مباح. قال الشافعي: أفرأيت لو كان الخيط خيط نفسه فأراد أن ينزعه من بطنه، أمباح له ذلك أم محرم؟ فقال محمد: بل محرم، فقال الشافعي: فكيف تقيس مباحا على محرم؟.. فقال محمد: أرأيت لو أدخل غاصب الساجة، الساجة في سفينة، ولجج في البحر، أكنت تنزع اللوح من السفينة؟ فقال الشافعي: لا. بل آمره أن يقرب سفينته إلى أقرب المراسي إليه، ثم أنزع اللوح وأدفعه إلى صاحبه. فقال محمد: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار؟» فقال الشافعي: هو أضر بنفسه لم يضر به أحد. ثم قال الشافعي: ماتقول في رجل اغتصب من رجل جارية، فأولدها عشرة، كلهم قد قرأوا القرآن، وخطبوا على المنابر وحكموا بين الناس، فأثبت صاحب الجارية بشاهدين عدلين: أن هذا اغتصبها منه، ناشدتك الله ماذا كنت تحكم؟ قال: أحكم بأن أولاده أرقاء لصاحب الجارية. فقال الشافعي: أيهما أعظم عليه ضرراً، أن يجعل أولاده أرقاء؟ أو يقلع البناء عن الساجة[1].

٥ - مناظرة بين الإمام أبي الحسن الأشعري وأبي بكر الصيرفي رضي الله عنهما.

شكر المنعم سبحانه وتعالى: قال: الإمام السبكي: حكى الشيخ

---

(٣) طبقات الشافعية للسبكي، ج ١ ص ٢٦٤.

أبومحمد الجويني في شرح الرسالة، أن الشيخ أبابكر الصيرفي[١] اجتمع بالشيخ أبي الحسن، فقال له أبوالحسن[٢]: أنت تقول بوجوب شكر المنعم؟ بناء على ما ذكرت: من أنه يحتمل إرادة الشكر، فإذا لم يشكر عاقبه عليه؟ وقولك هذا مع اعتقاد: أن الله خلق كفر الكافر وأراده متناقضا. فأما أن تقول: أفعالنا مخلوقة لنا، أو تقول: شكر المنعم لا يجب أبداً لمجرده. قال: ولمَ؟ قال مذهبك: إن الله يريد كفر الكافر، وإرادته كفره لا توجب الكفر؟ فهب أنه تعالى أراد من الشكر فإرادته لا توجب الشكر، كما لا توجب الكفر، فإما أن تنفي ارادة الله تعالى الكفر، وتمشي على مذهب المعتزلة؟ ويمشي لك أصلك، وإما أن تترك هذا المذهب، فقال الصيرفي: ترك القول بوجوب الشكر أهون، فاعتقده.

٦ - مناظرة بين الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وأبي علي الجبائي رحمه الله تعالى.

نظرية الأصلح والتعليل: سأل الشيخ أبوالحسن رضي الله عنه أبا علي[٣] فقال: أيها الشيخ ما قولك في ثلاثة: مؤمن وكافر وصبي؟ فقال: المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الهلكات، والصبي من أهل النجاة. فقال الشيخ: فإن أراد الصبي أن يرقى إلى أهل

(١) هو الإمام الجليل، والأصولي الكبير محمد بن عبدالله، المكنى بأبي بكر الصيرفي، كان يقال عنه: هو أعلم خلق الله تعالى بالأصول بعد الشافعي، من تصانيفه: شرح رسالة الشافعي في الأصول، وكتاب الاجماع، وغير ذلك. توفي ٣٣٠هـ رحمه الله تعالى/ طبقات السبكي ٢/ ١٧٠.

(٢) هو إمام أهل السنة والجماعة أبوالحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفى عام ٣٣٠هـ. له مقالات الاسلاميين، والابانة وغير ذلك.

(٣) أبوعلي الجبائي نسبة إلى جبى قرية بالبصرة هو محمد بن عبدالوهاب البصري شيخ المعتزلة توفي سنة ٣٠٣هـ - انظر شذرات الذهب - ٢/ ٢٤١.

الدرجات هل يمكن؟ قال الجبائي : لا ، يقال له : إن المؤمن إنما نال هذه الدرجة بالطاعة ، وليس لك مثلها . قال الشيخ : فإن قال : التقصير ليس مني ، فلو أحييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن . قال : الجبائي : يقول له الله : كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ، ولعوقبت ، فراعيت مصلحتك ، وأمتك قبل أن تنتهي إلى سن التكليف ، قال الشيخ : فلو قال الكافر : يارب علمت حاله كما علمت حالي ، فهلا راعيت مصلحتي مثله . فانقطع الجبائي[١] .

٧ - مناظرة بين الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وأبي علي الجبائي رحمه الله تعالى .

أسماء الله تعالى توقيفية: دخل رجل على الجبائي[٢] ، فقال : هل يجوز أن يسمى الله تعالى عاقلاً؟ فقال الجبائى : لا ، لأن العقل مشتق من العقال ، وهو المانع ، والمنع في حق الله محال ، فامتنع الإطلاق ، قال الشيخ أبوالحسن : فقلت له : فعلى قياسك لا يسمى الله سبحانه حكيماً ، لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام ، وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج . ويشهد لذلك قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وقول الآخر :

أبني حنيفة حكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

أي نمنع بالقوافي من هجانا ، وامنعوا سفهاءكم ، فإذا كان اللفظ مشتقا من المنع ، والمنع على الله محال لزمك أن تمنع اطلاق حكيم عليه سبحانه وتعالى . قال : فلم يجد جواباً ، إلا أنه قال لي : فلم منعت أنت

(١) الطبقات الكبرى للسبكي ج ٢ ص ٢٥١.
(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ج ٢ ص ٢٥١.

أن يسمى الله سبحانه وتعالى عاقلاً. وأجزت أن يسمى حكيماً؟ قال فقلت له: لأن طريقي في مآخذ أسماء الله الإذن الشرعي دون القياس اللغوي، فأطلقت حكيماً، لأن الشرع أطلقه. ومنعت عاقلاً لأن الشرع منعه، ولولا الشرع لأطلقته.

٨ - مناظرة بين الأستاذ أبي اسحاق الاسفراييني[١] والقاضي عبدالجبار المعتزلي[٢] رحمهما الله تعالى.

لا يقع في ملك الله إلا ما يشاء الله تعالى: قال عبدالجبار في ابتداء جلوسه للمناظرة: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الأستاذ مجيباً: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. فقال عبدالجبار: أفيشاء ربنا أن يعصى؟ فقال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال عبدالجبار: أفرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى، أحسن أم أساء؟ فقال الأستاذ: إن كان منعك ما هو ذلك فقد أساء، وإن منعك ماهو له، فيختص برحمته من يشاء. فانقطع عبدالجبار[٣].

المبحث الثالث - عمليات الاستدلال:

الاستدلال: مفهوم عام جداً يشمل كل عمليات البرهان على قضية ما انطلاقاً من قضايا أخرى بما في ذلك: الاستقراء، والقياس التمثيلي فانتقالنا مثلا من كون النحاس والحديد والقصدير أجساما موصلة للحرارة إلى أن كل معدن موصل للحرارة يعتبر استدلالا

(١) هو الإمام المتكلم الأصولي، أبواسحاق ابراهيم بن محمد الاسفرايني، لقبه بين العلماء الأستاذ، توفي سنة ٤١٨هـ في نيسابور رحمه الله تعالى.

(٢) هو القاضي عبدالجبار بن أحمد، أبوالحسن الهمذاني الاستراباذي المعتزلي، كان شافعي المذهب وهو مع ذلك شيخ الاعتزال، مات ٤١٥هـ - شذرات الذهب ٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ١١٤.

بالاستقراء.

أما في المنطق الصوري، فيفهم بالاستدلال استخراج قضية أو أكثر بسبب معنى القضايا أو مبناها، يقسم المنطق التقليدي الاستدلال الصوري إلى استدلال مباشر واستدلال قياسي. في الاستدلال المباشر يجري استخراج قضية جديدة من قضية واحدة فقط، أما في القياس فيتم الاستدلال من قضيتين أو أكثر[١]. وبعبارة أخرى فإن الاستدلال هو فعل الذهن الذي يلمح «علاقة مبدأ ونتيجة» بين قضية وأخرى أو بين عدة قضايا، وينتهي إلى الحكم بالصدق أو بالكذب، أو إلى حكم بالضرورة أو الاحتمال، وهو استنباطي واستقرائي، ومباشر، وغير مباشر، وغير مباشر، وهناك استدلال بالمحال ويرادف برهان الخلف (ويستعمله أرسطو أحيانا لرد مشكلة إلى أخرى) واستدلال تراكمي سلسلة من القياسات الحملية، يكون فيها محمول المقدمة الأولى موضوعا للمقدمة الثانية وهكذا، وتكون النتيجة مكونة من موضوع المقدمة الأولى ومحمول المقدمة الأخيرة مثل: أ هي ب. ب هي جـ، جـ هي د، اذن أ هي د. واستدلال غير مباشر ما ينتقل فيه الذهن من المقدمات الى النتائج بواسطة، مثل القياس الأرسطي[٢] وفي الاستدلال المباشر: هو الذي لا يحتاج الباحث فيه لأكثر من قضية واحدة ويتم الاستدلال باحدى طريقتين:

١ - **التقابل**: فكل قضية موجبة أو سالبة يمكن أن يشتق منها قضية أخرى مخالفة لها في الكيف «الايجاب والسلب» أو في الكم «الكلية والجزئية».

---

(١) د. عادل فاخوري، استدلال، مادة في الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول بيروت معهد الانماء العربي، ١٩٨٨ ص ٥٦.

(٢) مجمع اللغة العربية، المجمع الفلسفي،ص ١١

٢ - **العكس**: بابدال حدي القضية «المحمول والموضوع».

الانسان ليس بطائر، الطائر ليس بإنسان[1].

أما الاستدلال غير المباشر، فيتضمن:

١. **الاستقراء**:

- تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً أو انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته.
- وله عدة أحوال: إما أن يكون يقينياً. . أي لا تقبل حقائقه احتمال النقض سواء كان موجباً بمعنى مثبتاً أو كان سلباً بمعنى نافياً للشيء. وإما أن يكون ظنياً راجحاً - تبعاً لدرجة قربه أو بعده من اليقين أو يكون ظنياً مساوياً في القوة لما يخالفه فيقف الفكر منه موقف الشك أو يكون ظنياً مرجواً لقوة ما يخالفه فيتفاوت تبعاً لقربه من الرفض.
- وقد استخدمه المسلمون في استخراج قواعد اللغة العربية وضوابطها «النحو والصرف وفي علم العروض».

وفي الفقه «مدة الحيض - النفاس. مدة الأجنة في الأرحام». وفي الأصول.

وفي جمع المعارف «الحديث، الجغرافيا، التاريخ، الأدب، الحكم والأمثال».

توجيه القرآن إلى دراسة قصص السابقين وما فيه من عبر وإلى

---

(١) د. علي جريشة، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٧.

دراسة الطبيعة.

ولا يلزم الاستقصاء.. بل يكفي نماذج متنوعة يستنبط منها كليات عامة.

والاستقراء إما أن يكون تاماً: باستقصاء كل الجزئيات «وحدات الزمن - نجوم المجموعة الشمسية». وهو قد يفيد اليقين.

والاستقراء الناقص: تدرس منه بعض جزئيات أو أجزاء الشيء.

أمثلته: كل حيوان ذي قرن مجتر.

كل حيوان ذي قرن مشقوق الظلف.

- مراحل الاستقراء:

مرحلة التجربة والملاحظة. مرحلة الفروض العلمية.

مرحلة تحقيق الفروض أو ترجيحها بالمزاولة.

٢. القياس:

صيغة شكلية لإثبات حقائق سبق العلم بها ولكن حصلت الغفلة عن جوانب منها.

- الشمس كتلة من نار.

كل نار محرقة.

الشمس كتلة من نار محرقة «اكتفاءً بأحد المتكررين».

- كل جسم مؤلف.

وكل مؤلف حادث.

كل جسم حادث. [١]

فالاستقراء هو الحكم على الكلي بما يوجد في جزئياته جميعها، وهو الاستقراء الصوري الذي ذهب إليه أرسطو وحده، وهو الاستقراء القائم على التعميم. وعلى الأخير اعتمد المنهج التجريبي، فهو ينتقل من الواقعة إلى القانون، ومما عُرف في زمان أو مكان معين إلى ما هو صادق دائماً وفي كل مكان. وقد أثارت مشروعية أساس الاستقراء نقاشاً بين الفلاسفة المعاصرين [٢].

وبعبارة أخرى: هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي، أما كلها - وهو الاستقراء التام - وأما أكثرها - وهو الاستقراء المشهور - فكأنه يحكم بالأكبر على الواسطة لوجود الأكبر في الأصغر، ومثاله: إن كان حيوان طويل العمر فهو قليل المرارة، لأن كل حيوان طويل العمر فهو مثل إنسان أو فرس أو ثور، والإنسان والفرس والثور [٣].

أما البرهان: فهو الاستدال ينتقل في الذهن من قضايا مسلمة إلى أخرى تنتج عنها ضرورة، وعدّه المناطقة القدامى أسمى صور الاستدلال لأنه يقوم على أساس من مقدمات يقينية وينتهي تبعاً لذلك إلى نتائج يقينية وأوضح صوره البرهنة الرياضية [٤].

---

(١): د. علي جريشة: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٨.

(٢) مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، ص ١٢.

(٣) ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبدالله ٤٢٨هـ=١٠٣٧م) كتاب النجاة، تنقيح وتقديم د. ماجد فخري بيروت دار الآفاق الجديدة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ص ٩٣.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ٣٣.

أما المغالطة فهي استدلال زائف، وله صور شتى، منها ما هو واقع في الجنس، ومنها ما واقع في الفصل، ومنها ما هو عام يقع في قواعد التعريف [١].

أما الأغلوطة فهي استدلال خاطئ يقع فيه المرء دون قصد إلى تضليل غيره وبذا يتميز من السفسطة أو المغالطة [٢].

والسفسطة: قياس مركب من الوهميات والغرض منه: تغليط الخصم وإسكاته، كقولنا: الجوهر موجود في الذهن، وكل موجود في الذهن قائم بالذهن عرض لينتج أن الجوهر عرض [٣]، وبعبارة أخرى خطأ مقصود للتمويه على الخصم وهي: نوع من الاستدلال يقوم على الخداع والمغالطة [٤].

المبحث الرابع - مفردات منطقية:

ثمة مفردات (ألفاظ) ترد في كتب المنطق والفقه والفلسفة، وقد وجدت أن ثمة فائدة علمية في أن يدركها المحاور المسلم استكمالاً لمعرفته المنطقية، وبالنظر لكثرة هذه المفردات وتنوعها فقد اخترت أشهرها في التعامل، وفيما يلي بيان ذلك:

١. الفقه: هو في اللغة: عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم. وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد

---

(١)، (٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٨٨، ١٧.

(٣) الجرجاني: التعريفات، ص ١٥٨.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، ص ٩٧.

ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل [(١)]، أما أصول الفقه المتفق عليها فهي ثلاثة: كتاب الله - عز وجل - وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة. والمختلف فيها ثلاثة: القياس والاستحسان والاستصلاح [(٢)].

٢. السبب والعلّة هو الأمر الداعي إلى العقل ولأجله يفعل الفاعل، فأما العلّة فهي الفاعلة بعينها ولذلك صار السبب أشد اختصاصاً بالأشياء العرضية وصارت العلة أشد اختصاصاً بالأمور الجوهرية[(٣)].

٣. المعيار نموذج أو قياس مادي أو معنوي لما ينبغي أن يكون عليه الشيء، وهو في المنطق قاعدة الاستنتاج الصحيح [(٤)].

٤. الاستنتاج: انتقال الذهن من قضية مسلمة أو أكثر إلى قضية وقضايا أخرى مترتبة عليها، وهو ضربان مباشر أو غير مباشر، وأكثر ما يستعمل الاستنتاج المباشر الذي ينتقل فيه الذهن مباشرة من قضية إلى أخرى، كما هي الحال في العكس والتناقض [(٥)].

٥. الاستنباط: انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا هي المقدمات إلى قضية أخرى هي النتيجة وفق قواعد المنطق، وليس بلازم أن يكون انتقالاً من العام إلى الخاص أو من الكلي إلى الجزئي - ومن أوضح صوره البرهنة الرياضية، وفيها انتقال من الشيء إلى

---

(١) الجرجاني: التعريفات، ص ٢١٦.

(٢) الخوارزمي (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب - توفي ١٣٨٧هـ=١٩٩٧م) مفاتيح العلوم، القاهرة، المطبعة المنبرية، ١٣٤٢هـ، ص ٦.

(٣) مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد الخازن - توفي ٤٢١هـ= ١٠٣٠م) وأبو حيان التوحدي (توفي ٤١٤هـ) الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين وأحمد صقر القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠هـ=١٩٥١م، ص ٣٠.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٨٨.

(٥) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٣.

مساويه، بل من الأخص إلى الأعم، والقياس الأرسطي باب منه، وأساسه الانتقال من الكلي إلى الجزئي. والمنهج الاستنباطي ضربان: حملي إذا كانت مقدماته مسلماً بصدقها بصفة نهائية، وفرضي إذا سلم بصدقها بصفة مؤقتة. ويقابله المنهج الاستقرائي الذي ينتقل فيه الذهن من الظواهر إلى القوانين[(١)].

٦. الاستصلاح: هو ما تفرّد به مالك بن أنس وأصحابه، ومثاله، ما أجازه من تعامل الصيارفة وتبايعهم الورق بالورق، والعين بالعين بزيادة ونقصان، وإن كان ذلك محظوراً على غيرهم لما فيه من الصلاح للعامة[(٢)].

٧. الاستحسان: استخدم الفلاسفة الطبيعيون هذا اللفظ في علمي الأخلاق والجمال، فكان الخير أو الجمال عندهم استحسان فعل أو شيء من الأشياء، وكان الشر استهجان فعل أو شيء آخر، ومرد الاستحسان عندهم إلى الفرد دون المجتمع، وقد رأى أهل السُّنّة في الإسلام أن الخير ما حسنه الشرع وأن الشر ما قبحه، وأنكر ذلك المعتزلة في قولهم بنظرية الحسن والقبح العقليين، وهم يلتقون في هذا مع الفلاسفة المثاليين المحدثين[(٣)]. وقيل: هو العدول عن قياس إلى قياس أقوى منه وهذا مما لا نزاع في قبوله. وقيل هو: العدول إلى خلاف الظن لدليل أقوى، ولا نزاع في قبوله أيضاً[(٤)].

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٣.

(٢) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ٨.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص١٠.

(٤) التهانوي (محمد علي الفاروقي - توفي حوالي ١١٥٨هـ = ١٧٤٥م) كشاف مصطلحات الفنون، ج٢، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م، ص١٥٧ - ١٥٩.

٨- الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان(٣).

٩ - الشك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما عن الآخر عند الشك. وقيل: الشك: ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما دون الآخر، فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن فإذا طرح فهو غالب الظن وهو بمنزلة اليقين(٤).

١٠ - المصادرة عن المطلوب: هي التي تجعل النتيجة جزء القياس، أو تلزم النتيجة من جزء القياس، كقول: الإنسان بشر، وكل بشر ضحّاك، ينتج أن الإنسان ضحّاك. فالكبرى ها هنا والمطلوب شيء واحد، إذاً البشر والإنسان مترادفان، وهو اتحاد المفهوم، فتكون الكبرى والنتيجة شيئاً واحداً(٥).

١١ - مماحكة لفظية: هي مناقشة يستعمل فيها المتجادلون الكلمات نفسها(٦) بمعان مختلفة، وقد تطلق على البرهنة اللفظية التي يستعمل فيها مصطلحات أُسيء تحديدها(٧).

---

(٣) الجرجاني: التعريفات، ص١٨٧.
(٤) الجرجاني: التعريفات، ص١٦٨.
(٥) الجرجاني: التعريفات، ص٢٧٧.
(٦) في الأصل: نفس الكلمات، في المتن أصوب.
(٧) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص١٩٢ وما بعدها.
(٥)الجرجاني: التعريفات، ص٢٧٧.
(٦) في الأصل: نفس الكلمات، في المتن أصوب.
(٧) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص١٩٢ وما بعدها.

الفرع الثالث
الأسس الشرعية والأخلاقية

بالنسبة للإسلام ، فإن الحوار يخضع لضوابط شرعية وأخلاقية وذلك لأنه الأسلوب الأنجع في نشر الدعوة الإسلامية عالمياً .

فالشريعة : هي الائتمار بالتزام العبودية . وقيل : الشريعة هي الطريق في الدين[١] . أما الخلق فهو حال النفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية[٢] والأخلاق كلها ، الجميل منها والقبيح هي مكتسبة ويمكن للإنسان متى لم يكن له خلق حاصل أن يحصّل لنفسه خلقاً[٣] ولو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «حسِّنوا أخلاقكم»[٤] .

وتتطلب الأسس الشرعية والأخلاقية للداعية في حواره السليم أن يتحلى بفضائل أخلاقية ويطبقها في حياته الخاصة كما يتعيّن عليه النأي عن الرذائل الأخلاقية وألا يقترفها مطلقاً ، فالمحاور المسلم هو من عُرف بفضائله كما عُرف بورعه وخشيته من اقتراف أي منكر أو عورة أو شر ، وكلما تطابق لسان المحاور مع سلوكه العملي في ظل قبة الشريعة السامقة كان حواره منتجاً لثماره اليانعة .

---

(١) الجرجاني: التعريفات، ص١٦٧.
(٢) مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد الخازن – توفي٤٢١هـ ١٠٣٠م) تهذيب الأخلاق، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، الجامعة الأمريكية ١٩٦٦م، ص٣١.
(٣) الفارابي (أبو نصر محمد بن طرخان – توفي ٣٣٩هـ = ٩٥٠م) التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق د.جعفر آل ياسين، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ص٥٥.
(٤) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص٤٠.

ونظراً لسعة هذه المباحث فسأكتفي بأبرزها :

أولاً: الاستقامة في الحياة:

الاستقامة في اللغة : الاعتدال والاستواء . يقال : استقام له الأمر ، أي اعتدل واستوى . وطريق مستقيم : أي الطريق الذي يكون على خط مستو . وبه شُبه طريق الحق[١] قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة : ٦) .

واختلفت عبارات السلف في تفسير الاستقامة وبيان المراد منها ، فقد سئل أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - عن الاستقامة ، فقال : أن لا تشرك بالله شيئاً . وقال عمر - رضي الله عنه - : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ عنه روغان الثلعب .

وقال عثمان - رضي الله عنه - : الاستقامة الإخلاص .

وقال علي- رضي الله عنه - : الاستقامة أداء الفرائض .

وقال بعض أهل الحق : الاستقامة على ثلاثة أضراب : استقامة باللسان ، واستقامة بالجنان ، واستقامة بالنفس ، فالاستقامة باللسان : المداومة على كلمة الشهادة . والاستقامة بالجنان : المداومة على صدق الإرادة . والاستقامة بالنفس : المداومة على العبادة والطاعات[٢] .

وقال الراغب الأصفهاني[٣] : استقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم ، نحو ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (فصلت : ٣٠) .

---

(١) ابن منظور: مرجع سبق ذكره، ج١٢،ص٤٩٨.
(٢) الخوبري: درة الناصحين، ٢١٠.
(٣) الراغب الأصفهاني: مفردات القرآن، ص٤١٨.

والأولى أن يقال في تعريفها[١] : هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك. فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها. فلا بد أن يكون الإنسان مستقيماً في الوسط غير مائل في طرفي الإفراط والتفريط. وأن يستقيم على أمر الله فيعمل بطاعته في الظاهر والباطن، ويتجنب معاصيه كلها.

والخلاصة: أن الاستقامة تعني الاعتدال في جميع الأمور من الأقوال والأفعال. والمحافظة على جميع الأحوال التي تكون فيها النفس على أفضل حال وأكملها. فلا يظهر منها قبيح، ولا يتوجه إليه ذم ولا لوم[٢].

ثانياً - القدوة الحسنة:

ينبغي أن يكون المحاور الداعية قدوة حسنة لغيره، أي أن يكون سلوكه ناصعاً فاضلاً جليلاً لا عكس ذلك، قال الشاعر:

لا تَنْهَ عن خُلق وتأتي مثلَه ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

ولذلك قيل: «إن الناس على دين ملوكهم». والمقصود بالدين هنا التصرفات والمعتقدات التي يدين بها الحاكم فيحذو أفراد الشعب حذوهم.

إن مكارم الأخلاق التي كان يدعو إليها رسول الله صلى الله

---

(١) ابن رجب: جامع العلوم والحكم، ص١٧٨.

(٢) د. أحمد بن يوسف الدريويش: الاستقامة، الرياض، دار بلنسية، ١٤١٥ = ١٩٩٩م، ص١٧ وما بعدها.

عليه وسلم كانت متمثلة فيه بأجلى وأعمق معانيها. ولذلك، أثمرت دعوته إليها، وصار صحابته الكرام يتشبهون به في كل صغيرة أو كبيرة، فكانوا بؤرة الإشعاع القوي الذي انطلقت منه أضواء الدين الإسلامي الحنيف، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية فيما لا يزيد عن ربع قرن فأصبحت تمتد من بلاد الفرس شرقاً إلى أقاصي المغرب.

لقد قال الله جلَّ شأنه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب: ٢١).

والأسوة هي القدوة، فالأسوة من الاتساء، كما أن القدوة من الاقتداء.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم علاوة على خصاله الحميدة، ورغم ما عرف عنه من رفق ولين مقاتلاً شجاعاً لا يُبالي بالمخاطر ما دام يُقاتل في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمة الدين[1].

ثالثاً – مراعاة آداب الكلام:

يتعيّن على المحاور أن يتعلم من القرآن الكريم آداب الكلام، فيكون كلامه كما أراد رب العالمين، ومن ذلك:

أ – القول السديد: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾(الأحزاب ٧٠).

ب – القول الحق: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ (الأعراف: ١٦٩).

---

(١) محمد كامل حسن المحامي: الأخلاق في القرآن الكريم، بيروت المكتب العلمي للطباعة والنشر (د.ت) ص٢٤ وما بعدها.

ج - القول المطابق للفعل: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢ - ٣).

د - القول المعروف: قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ (البقرة: ٢٦٣).

هـ - القول الليّن: قال تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ (طه: ٤٤).

و - القول الحسن والأحسن: قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣)، وقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر: ١٨). وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (فصلت: ٣٣).

ز - القول الطيّب: قال تبارك وتعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠).

ج - القول الأثقل: الآيات القرآنية، لذلك يجب أن يستشهد بها المحاور والداعية: قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل: ٥).

ط - أزكى كلمة: أزكى كلمة وأطيبها: كلمة التوحيد: لا إله إلا الله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤ - ٢٥).

بينما أقبح كلمة هي الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (إبراهيم: ٢٦).

لذلك حرَّم الله سبحانه وتعالى أن يتفوه المسلم بألفاظ منافية للشريعة، مثال ذلك:

١ - الكذب والزور: قال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠) وقال: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ (الكهف: ٥).

٢ - الجهر بالسوء إلا من ظلم: قال سبحانه وتعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ (النساء: ١٤٨).

٣ - التناقض في القول: قال رب العزة: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ (الذاريات: ٨).

وقال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (البقرة: ٥٩).

٤ - زخرف القول: قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (الأنعام: ١١٢).

رابعاً التواضع:

من الآداب التي جاءت بها شريعة الإسلام لتنظيم المحاورات والمجادلات التي تدور بين الناس: **التواضع، وتجنب الغرور، والتزام الأسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق.**

فسيدنا سليمان عليه السلام الذي أعطاه الله ملكاً لا ينبغي لأحدمن بعده يتفقد جنوده، فلا يرى الهدهد من بينهم، فيتوعده، ويأتي الهدهد بعد ذلك، فيقول سليمان عليه السلام بكل شجاعة أحطت بما لم تحط به، ويقبل سليمان عليه السلام بكل تواضع حجة الهدهد، ويكلفه بحمل رسالة إلى تلك الملكة التي أوتيت من كل

شيء، لها عرش عظيم، فيوصل الرسالة إليها، وتنتهي قصة هذه الملكة بأن تقول: ﴿إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾.

واستمع إلى القرآن الكريم وهو يحكي جانباً من هذه القصة البديعة فيقول: ﴿وَتَفَقَّدَ - أي سليمان - الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (انظر: سورة النمل ٢٠ - ٢٣).

وهكذا نرى أن الجندي الصغير في الأمة التي يظلها العدل والأمان، لا يمنعه صغره من أن يرد على الحاكم الكبير، وأن يدافع عن نفسه بكل حرية وشجاعة، ونرى أن الحاكم الكبير يقابل رده بكل تواضع، ويفسح له المجال في أن يدلي بكل حججه، وأن يضعها موضع التحقيق والاختبار.

وهكذا الأمم العاقلة الرشيدة لا يهان فيها الصغير، ولا يُظلم فيها الكبير، وأن التحاور بين العقلاء يقوم على التواضع وإعطاء كل ذي حق حقه دون تكبر أو غرور.

وانظر إلى تلك المحاور التي دارت بين شعيب عليه السلام وبين قومه، تراها تمتاز من جانب شعيب عليه السلام بالتواضع والأدب والحكمة والشجاعة، إنه يقول لهم بكل لطف ورقة: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

وتأمل تلك التوجيهات السديدة التي يلقنها القرآن الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم آمراً إياه أن يقولها لقومه بكل تواضع وشجاعة وحكمة: فيقول: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (سبأ: ٢٤ - ٢٦).

ويقول عز وجل: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥).

إن الحوار أو النقاش أو الجدال الذي يدور بين الناس، إذا كان يقوم على التواضع والاحترام المتبادل بين الأطراف، وعلى الأسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق، كانت نتائجه طيبة وآثاره حميدة، لأنه - في الأعم الأغلب - يوصل إلى الحقيقة المرجوة، وإلى الاتفاق ولو على معظم المسائل التي دار من أجلها الحوار. أما الحوار أو النقاش أو الجدال الذي يكون مبعثه الغرور والتعالي، والتفاخر، والتباهي بالأقوال، فمن المستبعد أن يأتي بنتيجة توصل إلى حق أو حقيقة أو اتفاق[١].

والتواضع خلق إسلامي كريم تحلى به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وجعله الله تعالى من صفات عباده المؤمنين، وهو يعني خضوع المسلم للحق، ولين الجانب، والبُعد عن الكِبَر والغرور،

(١) د. محمد سيد طنطاوي: مرجع سابق ذكره، ص٣٠.

فمن كان متواضعاً لا يستعلي على الناس بنسبه وماله وجاهه، لأن الله تعالى طهَّر قلبه من الكبر الذي يتنافى مع إيمانه بربه الذي خلق الناس جميعاً من نفس واحدة.

وللتواضع في الإسلام صور كثيرة في مجالات الحياة المتعددة، مثل التواضع في اللباس، والمظهر وفي المأكل والمشرب، وفي المشية. قال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»[١] وينكر الإسلام تحريم الزينة المباحة، والتمتع بالطيب من المأكل والمشرب.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «. . . وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٢].

وتواضع المؤمنين نابعٌ من عقيدتهم وصلتهم بربهم، فقد أطمأنت نفوسهم بالإيمان، وظهر أثر ذلك في سلوكهم وجميع مظاهر حياتهم، وللتواضع آثار ريجابية تعود على الفرد والمجتمع منها: أن المؤمن المتواضع يحبه الله تعالى، وترتفع مكانته في الدنيا والآخرة، ويحبه الناس فتنشأ بينه وبينهم الألفة والثقة، فإن كان أباً أو مربياً يقتدون به، ويقبلون نصحه، وإن كان عالماً ومعلماً يقبل الناس عليه، وإن كان طالب علم أحبه زملاؤه واحترموا رأيه.

وكذلك فإن المسؤول المتواضع ينال محبة الناس، ويكسب ودهم، ويبتعد عن كل ما فيه من إضرار بالمصلحة العامة، والقائد

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، والآداب، باب استحباب العفو والتواضع.

المتواضع يبني الثقة بينه وبين جنوده، ويساعد على تحقيق النصر والفوز على الأعداء[١].

حكايات:

١ - عن شريح القاضي قال: لما توجّه علي إلى صفين افتقد درعاً له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي، فقال لليهودي: الدرع درعي لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال: نصير إلى القاضي. فتقدم عليٌّ فجلس إلى جنب شريح، وقال: لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس، ولكني سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «أصغروهم حيث أصغرهم الله». فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم هذا الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب. فقال شريح: أيش تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي. فقال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، غلامي قُنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي. فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال عليٌّ: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أن هذا هو الحق، وأن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والدرع درعك.[١]

(١) مجموعة من المؤلفين: التربية الإسلامية، عمان وزارة التربية والتعليم، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، ص١٢٦.

(٢) السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) تاريخ الخلفاء، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، القاهرة المكتبة التجارية ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م، ص١٨٤.

٢ - استعدى رجل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلي جالس، فالتفت إليه، فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك. فقام فجلس معه وتناظرا، ثم انصرف الرجل ورجع علي إلى محله، فتبيّن عمر التغيّر في وجهه، فقال: يا أبا الحسن، مالي أراك متغيراً؟ أكرهت ما كان؟ قال: نعم. قال: وما ذاك؟ قال: كنيتني بحضرة خصمي، هلا قلت: قم يا علي فاجلس مع خصمك، فاعتنق عمر علياً وجعل يقبل وجهه، وقال: بأبي أنتم بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور.(١)

٣ - وذكر أحمد بن إسحاق الحلبي، قال: سمعت عمر بن سيّار المنبجي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: وجّه إليّ هارون الرشيد، فسألني أن أحدثه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن العلم يؤتى ولا يأتي. قال: فصار إلى منزلي فاستند معي إلى الجدار، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم. قال: فجلس بين يديّ. قال: فقال بعد مدّة يا أبا عبدالله تواضعنا لعلمكَ فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان ابن عيينْة(٢) فلم ننتفع به(٣).

(١) ابن أبي الحديد (عبدالحميد المدائني) شرح نهج البلاغة، ج١٧، القاهرة: مكتبة البابي الحلبي ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م، ص٦٥.

(٢) هو: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، محدث الحرم المكي، من الموالي، ولد بالكوفة، وسكن مكة، وتوفي سنة ١٩٨هـ، قال الشافعي لولا مالك، وسفيان لذهب علم الحجاز. في التوسع انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، طبعة الهند في سنة ١٣١١هـ الجزء الأول ص٣٩٧.

(٣) وردت هذه الحكاية لدى: أبو هلال العسكري (الحسن بن عبدالله بن سهل - توفي بعد ٤٠٠هـ - ١٠٠٩م) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تحقيق د.عبدالمجيد دياب، القاهرة، دار الفضيلة ١٩٩٨م، ص٨٤.

خامساً - الحياء:

الحياء خلق كريم يدعو صاحبه إلى الالتزام بالفضائل، ويمنعه من القيام بكل ما هو قبيح. والحياء زينة المسلم، وهو ثمرة من ثمار الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[١] فالحياء خلق المؤمنين الأتقياء يعصمهم به الله تعالى من الوقوع في المعاصي، وهو أمارة صادقة تكشف عن الإيمان الذي غمر قلوبهم، وقد اتفقت دعوة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام على استحسان الحياء والتحلي به، والدعوة إليه لأن الحياء لا يأتي إلا بالخير.

وعكس الحياء البذاء، وهو فحش في القول والعفل ووقاحة في الكلام ومجاهرة بالمعاصي أمام الناس، وهذا خلق مذموم، عواقبه وخيمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء في الجفاء، والجفاء من النار»[٢].

أنواع الحياء:

الحياء ثلاثة أنواع هي:

١ - الحياء من الله تعالى: وذلك بالامتناع عن المعاصي والذنوب في السر والعلن، فلا ينظر إلى محرم، ولا يعق والديه، ولا يأكل الحرام، ويلتزم بأداء الطاعات امتثالاً لأمر الله تعالى، وشعوراً برقابته وعظيم حقه، كمحافظةعلى الصلاة والصيام.

٢ - الحياء من الناس: وذلك بأن يمتنع عن المجاهرة بالمعاصي أمام

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد (شعب الإيمان).

(٢) سنن الترمذي، أبواب البر والأدب والصلة، باب ما جاء في الحياء.

الناس، والتحدث في المجالس عن الفواحش، فالمسلم الذي يستحيي من الناس لا يؤذيهم، ولا يقصر في أداء حقوقهم.

٣ - الحياء من النفس: وذلك بأن يكون للنفس سلطان على صاحبها، فتحاسبه قبل أن يحاسبه الناس، فيستشعر رقابتها عليه وقيمتها عنده، وبذلك تسمو نفسه فتصبح نفساً لوامة تكبحه عن الشر، وتدفعه إلى الخير[1].

سادساً - العفة:

العفة هي: ضبط النفس عن الانسياق وراء الشهوات، والترفع عن الوقوع في المحرمات، وهي خلق إسلامي حث الإسلام عليه بقول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ (النساء: ٦) وقول الرسول، صلى الله عليه وسلم، لأناس من الأنصار «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفّه الله»[2].

أنواع العفّة:

العفة أنواع كثيرة منها:

١ - عفة اللسان: خلق الله تعالى للإنسان لساناً، يكون به ذاكراً لربه، شاكراً لأنعمه، مسبحاً بحمده، وليتلو به القرآن، ويعلم به الخير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليخاطب الناس به عمّا يجول بخاطره، والمسلم العفيف الذي يقدّر هذه النعمة، يجند لسانه لكل ما ذُكر، فيجنبه الكلام الفاحش البذيء، فلا يسبب، ولا يذم ولا يقبّح، ولا يغتاب ولا ينمّ، ولا يسخر ولا

(١) مجموعة مؤلفين الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص١٣٨.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر والقناعة.

يستهزئ. وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم، لمعاذ بن جبل، رضي الله عنه، مخاطر هذا اللسان وأنه غالباً ما يكون سبباً في عذاب الناس يوم القيامة، بقوله صلى الله عليه وسلم: «وهل يُكبُّ الناس في النار على وجوههم أو (على مناخرهم) إلا حصائد ألسنتهم»[1].

٢ - العفة في كسب الأموال: ومن صور ذلك:

أ - الترفع عن أخذ الأجر على أعمال الخير إلا إذا كان محتاجاً، ومن الأمثلة على ذلك أن الله تعالى أمر الأوصياء بالمحافظة على أموال اليتامى، والعمل على تنميتها ودعاهم للتنزه عن أخذ الأجرة على ذلك تعففاً إن كانوا أغنياء، أما إذا كانوا فقراء فليأخذوا منها بالمعروف.

ب - الترفع عن أموال الصدقات وسؤال الناس: فقد شجع الإسلام على كسب الحلال والابتعاد عن الكسب الحرام، فيكون المسلم بذلك عفيف النفس، وقد أثنى الله تعالى على جماعة من فقراء المؤمنين، وقفوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله تعالى، ولم يستطيعوا الكسب، وقد كانوا مع فقرهم، لا يسألون الناس شيئاً، بل يتجملون بالصبر والعفة يحسبهم من يجهل حالهم أغنياء لتعففهم عن إظهار الحاجة، حتى لا تجرح كرامتهم، قال الله تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ (البقرة: ٢٧٣).

ج - الترفع عمّا في أيدي الناس، فالمؤمن يرضى بما قسم الله تعالى له، من الرِّزق والخير، فلا يتطلع إلى ما عند غيره من

(١) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة.

متاع الدنيا وزينتها مثل الأنعام والسيارات والأبنية والمزارع، وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٣١).

٣- العفة عن الوقوع في الفاحشة: وذلك بالابتعاد عن كل ما يؤدي إليها من النظر إلى العورات ومظاهر الفتنة، والإغراء والتبرج، ومجالس الاختلاط المحرم، ومواطن الشبهات وغير ذلك. وقد قص لنا القرآن الكريم لهذا النوع من العفة قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام حين راودته امرأة العزيز عن نفسه، فصبر وقاوم دواعي الشهوة والإغراء بإصرار وعزيمة، طلباً لمرضاة الله تعالى، وترفعاً عن الخيانة، فتوجّه إلى ربه بالدعاء أن يحفظه من الوقوع في الفاحشة، فاستجاب دعاءه وأعفه الله تعالى، وصرف عنه الفتنة، قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف: ٣٣ - ٣٤)[1].

سابعاً - الحلم:

الحلم سيد الأخلاق، ويعني التغاضي عن المُسيء والعفو عنه وكظم الغيظ، قال الإمام الشافعي (توفي ٢٠٤هـ - ٨٢٠م):

لما عفوتُ ولم أحقد على أحد — أرحتُ نفسي من هم العداوات
إني أُحيي عدوي عند رؤيته — لأدفع الشر عني بالتحيات

---

(١) مجموعة مؤلفين الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص١٤٢.

وأظهرُ البشرّ للإنسان أبغضُهُ كما إن قد حشى قلبي محبّات

وقال أيضاً:

إذا ما كنت ذا فضل وحلم بما اختلف الأوائل والأواخرُ

فناظر من تناظر في سكون حليماً لاتلح ولا تكابر

يفيدك ما استفاد بلا امتنان من النكت اللطيف والنوادر

وإياك اللجوج ومن يرائي يأتي قد غلبت ومن يفاخر

فإن الشر في جنبات هوا يُمنى بالتقاطع والتدابر

المبحث الثاني - مجانبة الرذائل:

ثمة رذائل يتعيّن ألا تعرف لدى الداعية أو المحاور فإذا اقترفها لم يعد داعية يتحلى بالفضائل كما لن يكون ثمة جدوى من حواره ومثال ذلك:

أولاً: السخرة والاستهزاء بالمسلم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ﴾ (الحجرات: ١١).

وأخرج البيهقي «أن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة فيقال له هلم فيجئ بكربه وغمه فإذا جاءه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم فيجئ بكربه وغمه فإذا جاءه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى يفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له هلم فما يأتيه من الإياس»[1] وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ح ٦٧٥٧) من حديث الحسن.

مَا لِهَـذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾ (الكهف : ٤٩) الصغيرة : التبسم ، الكبيرة : الضحك بحالة الاستهزاء ، وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ (الحجرات : ١١) من لقب أخاه وسخر به فهو فاسق والسخرية : الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص يوم يضحك منه ، وقد يكون بالمحاكاة بالفعل أو القول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك على كلامه إذا تخبط فيه أو غلط أو على صنعته أو قبيح صورته[١] .

ثانياً - التنابز بالألقاب المكروهة:

قال تعالى : ﴿ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات : ١١)، وفي أذكار النووي اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان ، بما يكرهه سواء كان صفة له أو لأبيه أو لأمه أو غيرهما مما يكره[٢] .

ثالثاً - التعيير:

إن ذكر الإنسان بما يكره محرمٌ إذا كان المقصود منه مجرد الذم ، والعيب ، والنقص[٣] .

---

(١) ابن حجر الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٣هـ) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج٢، تحقيق محمد محمود عبدالعزيز وزميله، القاهرة دار الحديث، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ص٤١.

(٢) ابن حجر الهيتمي: المرجع السابق، ص٤٠.

(٣) ابن رجب الحنبلي (عبدالرحمن بن أحمد بن رجب: ٧٣٦ - ٧٩٥هـ) الفرق بين النصيحة والتعبير، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف، ط٣، دمشق: دار المأمون للتراث ١٤٠٥هـ ص٥. ويستطر ابن حجر قائلاً: فإما إن كان فيه مصلحة لعامة المسلمين، أو خاصة لبعضهم، وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة، فليس بمحرم، بل مندوب رليه.

حكايتان:

١ - قال عبدالله بن سليمان بن أشعث: سمعت أبي يقول:

كان هارون الأعور يهودياً، فأسلم وحسن إسلامه، وحفظ القرآن وضبطه، وحفظ النحو، فناظره إنسان يوماً في مسألة، فغلبه هارون فلم يدْر المغلوب ما يصنع، فقال له: أنت كنت يهودياً فأسلمت.

فقال له هارون: أفبئس ما صنعت؟ فغلبه أيضاً، والله الموفق(١).

٢ - قال هشام بن عبدالملك لزيد بن عليّ رضي الله عنهما: بلغني أنك تريد الخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة. فقال: قد كان إسماعيل ابن أمة، وإسحاق ابن حرّة، فأخرج الله من صلبه خير ولد آدم(٢).

رابعاً - السب والشتم:

يأثم المؤمن إذا سبّ أخيه أو شتمه كما أن هذا السلوك ليس من شيم المسلم الحق.

حكايتان:

١ - قال الجاحظ: قال شدّاد الحارثي ويكنّى أبا عبيد الله: قلت لأمة سوداء بالبادية: لمن أنت يا سوداء؟ قالت: لسيد الحضر يا أصلع. قال: قلت لها: أولست سوداء؟ قالت: أولست بأصلح؟ قلت: ما أغضبك من الحق؟ قالت: الحق أغضبك، لا تسبب حتى تُرهب، ولأن تتركه أمثل(٣).

---

(١) ابن الجوزي: الأذكياء، ص١١٠ - ١١١.

(٢) التنوخي: المستجاد، ص٢٥١.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص٧١.

٢ - قال بشر بن المعتصم لأبي الهذيل عند المأمون بعد مناظرة كانت بينهما:

- كيف رأيت وقع سهمي؟ فقال: حلوة كالشهد، وليّنة كالزبد.
فكيف ترى سهامنا؟ فقال:

- ما أحسنت بها!

- قال: لأنها لاقت جماداً!!![1]

الفصل الثاني - أنواع الحوار

يمكن تنويع الحوار إلى أنواع لا حصر لها، تبعاً لمناهجه، أو للعلوم والمعارف التي يدور في نطاقها، وكذلك أشخاص المتحاورين، إلا أنني أرغب أن أقسمه إلى نوعين رئيسيين:

الأول - الحوار العلاجي، والثاني - الحوار الوقائي، وفيما يلي بيان ذلك بإيجاز شديد:

الفرع الأول - الحوار العلاجي:

يتعلق هذا الحوار بالمسائل والقضايا والمشكلات والشبهات التي أثيرت بشأن ماضي الإسلام، أي منذ تاريخ الدعوة قبل الهجرة إلى وقت متأخر في عهد الدولة العباسية حيث أثيرت بفعل حرية الفكر المطلقة تهم وشبهات حول القرآن أو الإسلام ومازال يرددها إلى يومنا هذا بعض المستشرقين والملاحدة أو المغررين من العلمانيين العرب.

ومفهوم الحوار العلاجي أن ثمة حاجة للقيام بالحوار لوجود خطاب سلبي ضد الإسلام فهو رد ضد فعل الآخر ومن ثم فإن الضرورة

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ص٧٣.

مـاثلة في الرد على أعـداء الإسـلام. والهـدف من الحـوار العـلاجي: تحصين الإسلام من خصومه، والدفاع عنه دفاعاً عقلانياً متوازناً فأعداء الإسلام يستخدمون المناهج العلمية المتطورة في محاولة هدم هذا الدين الحنيف، وبعضـهم مدفوع من جهات أجنبية حـاقدة على الإسـلام وراغبة في تقويضه، وبعضهم اندفع في هذا النهج الأهوج جراء ثقافة فلسفية أو علمانية لم يتعمق بها، وإنما اكتفى بالقشور، وعزف عن التعمق فجاءت خطاباته متهافتة ومتناقضة، وتنم عن مثقف غير مدرك أن دعواه تخدم الأعداء ولا تسلخه عن الوجود التاريخي والحضاري لهذه الأمة التي غذّت الحضارة الغربية بمنهاج للتفكير وبإنجازات علمية قامت على أساسها العلوم المعاصرة، فالعلم يتقدم في حلقات حلزونية ولكنها عضوية ومترابطة وفضل الإسلام على العلوم المعاصرة لا ينكره إلا موتور ضاغن أو أبله أو جاهل. ولا أرغب بإثارة جميع القضايا التي رفعت ضد الإسلام فهي تحتاج إلى مؤلف كبير مستقل، ولكني سأتناول قضايا أثيرت إزاء القرآن وأخرى حيال العقوبات الشرعية وأخرى تجاه زواج الرسـول صلى الله عليـه وسلم وقـضـيـة تعـدد الزوجـات في الإسلام، وقضية الخلاف بين الصحابة وقضية حقوق المرأة، وسأتناول هذه القضايا في ستة مباحث مستقلة.

المبحث الأول - مسائل إزاء القرآن الكريم:

من مجمل الكتب الاستشراقية والإلحادية تبرز دعاوى التفسير المادي للقرآن، وكونه مشحون بالتناقض والتكرار، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً - التفسير المادي للقرآن الكريم: ذهبت كتب الماركسية

اللينينة إلى محاولة تفسير القرآن تفسيراً مادياً، وأنه ليس منزلاً من رب العالمين وذهب الأذناب إلى محاولة تفسير كل آية وفق سبب نزولها، ومن ثم فيجب التخلي عن الآية أو الحكم الشرعي لأنه انتقى سبب نزوله ولم يعد ثمة مبرر للتمسك به، ومن ذلك ما نادى به بعضهم إلى تجديد الفكر الديني الإسلامي، فنادى بوقتية الأحكام وتاريخية نصوصها وأسباب النزول والمطالبة بتجاوز أدلة الثبوت الواردة بالنصوص القرآنية إلى ما هو أحدث منها، ويعد رجال الدين: سدنة الأساطير[1] فأي تجديد للفكر الإسلامي بعد هدم مقوماته الشرعية؟ فبعض الكُتّاب الملاحدة لم يتجرأوا ضد الإسلام صراحة وإنما تجرأوا عليه ضمناً عن طريق المطالبة بتجديده، وهي كلمة حق يراد بها باطل.

وأقول: إن القرآن والأديان عموماً لا يمكن تفسيرها وفق مناهج علم الاجتماع الديني، أو علم الأديان فهذه العلوم الوضعية خاصة بدراسة الظاهرة البشرية وغير صالحة لدراسة الظاهرة الإلهية أو الظاهرة الروحية فالظواهر الأخيرة تعتمد على منهج عقلي - قلبي متناغم، فالإيمان ينبثق من القلب أولاً ثم يتلقفه العقل بالإسناد.

ثانياً - مقولة تناقض القرآن الكريم أو تكرار آياته:

القرآن يفسر بعضه بعضاً، والتكرار يستخدم لأغراض الترغيب بالجنة أو الترهيب من النار، وبعض التكرار ليس وارداً في حقيقته ولنستمع إلى ابن جماعة (توفي ٧٣٣هـ) يرد على هذه التقولات:

أ- مسألة: قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ (البقرة: ١٩) جمع

(١) خليل عبدالكريم: تجديد الفكر الديني الإسلامي، مقال في مجلة أدب ونقد، ع١٨٠ - أغسطس ٢٠٠٠ القاهرة ص٨٢ وما بعدها.

الظلمات وأفرد الرعد والبرق. جوابه: إن المقتضى للرعد والبرق واحد وهو السحاب، والمقتضى متعدد وهو الليل والسحاب والمطر، فجمع لذلك[1].

ب - مسألة: قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٨٤) وفي المائدة: ٤٠ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ جوابه: أن آية البقرة وغيرها جادت ترغيباً في المسارعة في طلب المغفرة وإشارة إلى سعة مغفرته ورحمته، وآية المائدة جاءت عقب ذكر السارق والسارقة فناسب ذكر العذاب، لأنه لهم في الدنيا والآخرة[2].

ج - مسألة: قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران: ٣) وقال: ﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾ وجوابه: أن القرآن نزل منجماً مرة بعد مرة، فحسن التضعيف، والتوراة والإنجيل نزلا دفعة، فحسن التخفيف لعدم التكرار[3].

د - مسألة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾ (آل عمران: ٣٣) ثم قال: ﴿وآل إبراهيم وآل عمران﴾ جوابه: إن الأولين جميع الأنبياء والرسل من نسلهم، وآل إبراهيم: أما نفسه أو من تبع ملته، وآل عمران: موسى وهارون، ولم يكن عمران نبياً (فهو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليهما السلام)[4].

هـ - مسألة: قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ ﴾

---

(١) ابن جماعة (أبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن مسعد الله بن جماعة الشافعي ٦٣٩ - ٧٣٣هـ) كشف المعاني في متشابه المثاني، تحقيق د.محمد محمد داود - القاهرة، دار المنار ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ص٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٧٤ - ٧٥.

(٣) المرجع السابق، ص٧٥.

(٤) المرجع السابق، ص٧٧.

(الأنعام: ١) فرق بين خلق وجعل. جوابه: أن السماوات والأرض أجرام تناسب فيهما (خلق) والظلمات والنور أعراض ومعان فناسب فيهما (جعل) ومثله كثير كقوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ (البقرة: ٢٢) أي لا تصفوا، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ (الأنعام: ١٠٠) وهو كثير[١].

و - مسألة: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١) جمع الظلمات، وأفراد النور. جوابه: أما من جعل الظلمات، الكفر، والنور: الإيمان، لأن أصناف الكفر كثيرة والإيمان شيء واحد[٢].

واكتفى بهذا القدر من حجج ابن جماعة ومن أراد الاستزادة يمكنه العودة لكتابه.

المبحث الثاني - مسألة العقوبات:

يلاحظ أن جرائم الحدود في الإسلام هي الزنى، والقذف، وشرب الخمر، والسرقة، والحرابة، والردة.

أ - جريمة الزنى: قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢) وقال عز وجل: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢) أما إذا كان محصناً (متزوج) فعقوبته الرجم حتى الموت[٣].

(١) المرجع السابق، ص٩١.
(٢) المرجع السابق، ص٩٢.
(٣) د. عبدالكريم زيدان: المدخل للشريعة الإسلامية، ط١٦، بيروت مؤسسة الرسالة - ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م، ص٣٣٨.

فهذه الجريمة مضرة بمصلحة الجماعة لأنها اعتداء على كيان الأسرة.

ب - القذف: قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور: ٤) والقذف هو الرمي بالزنى ويوجب الحد كما هو مبين في هذه السورة.

ج - شرب الخمر: قال العزيز القدير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠) وعقوبة هذه الجريمة جلد الشارب أربعين جلدة ويجوز الزيادة إلى الثمانين باعتبار أن هذه الزيادة تعزير يجوز للإمام فعله[١].

وللخمر آثار ضارة ذكرتها المؤلفات المتخصصة[٢].

د - السرقة: قال رب العالمين: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨) والإسلام يوّفر العمل للقادر عليه فلماذا يلجأ الفرد للسطو على ملكية غيره؟ فالعقاب رادع كي لا يفكر المرء بالاعتداء على مال الغير.

هـ - قطع الطريق (الحرابة): قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا

(١) المغني، ج١٠، ص٣٢٩ - فتح القدير، ج٤، ص١٨٥.

(٢) انظر: العميد فراج سالم القحطاني: شرب الخمر وأثره على الأمن - دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون - الرياض ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص١٠٥.

عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣ - ٣٤) ولا شك أن جرائم قطع الطريق هي جرائم مقلقة بالأمن الاجتماعي العام ولا يقترفها إذا ذو نفس أمارة بالسوء ومن هنا سبب تغليظ العقاب لأنه لا مبرر لهذه الجريمة سوى توغل مقترفها بالإجرام.

و - الردّة: هي باللفظ بأن يجري الكفر على لسان المرتد أو بالفعل كأن يلقي القرآن في قذر عمداً وحكم المرتد امهاله ثلاثة أيام لعله يرجع فإن أبى قتل وقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من بدل دينه فاقتلوه[1].

أما جرائم القصاص فهي الاعتداء على النفس (القتل) أو الجرح أو قطع الأطراف وعقوبتها القصاص أو الدية فيقتل القاتل ويدفع مال عن جريمة الجرح، ولا شك أن الفرد الغريب عن الشرع الإسلامي يستهول ضخامة العقوبات وكذلك يجب التأكيد بأن الإسلام يوفر العمل والعيش الكريم للمسلم، ومن ثم لا مبرر له للجوء إلى الإجرام قتلاً أو جرحاً أو سباً، فهدف تغليظ العقوبة الشرعية هو ردع الجاني وتخويف غيره ممن تسول له نفسه اقتراف مثل هذه الجرائم. والمتأمل للتاريخ الإسلامي يلاحظ أن هذه العقوبات (قطع الرأس أو الرجم أو الجلد) هي عقوبات رادعة ولا توقع إلا قليلاً. تأملوا لو لم تتبع السلطة الشرعية عقوبة المتاجرة بالمخدرات بقطع رأس الجاني لأدى ذلك إلى اغراق البلاد الإسلامية بهذه الكارثة الوبائية (المخدرات) فأيهما أصلح للأمة المحافظة على طهارة المجتمع بإزهاق أرواح من يرغبون بتدميره أم سجن الجناة وانتشار المخدرات انتشار النار في الهشيم في دار الإسلام؟ وقارنوا - يرحمكم الله - بين عقوباتنا الشرعية وما يتمخض عنها من

(١) د. عبدالعزيز عامر: التعزير، ص١٧ وكذلك بداية المجتهد ج٢، ص٣٨٣.

نتائج إيجابية وبين العقوبات الوضعية التي أفضت إلى توسيع السجون القائمة وعيش السجناء في ظروف صحية سيئة لأن الدولة غير قادرة في بعض البلدان الغربية على العناية بهذا الكم الهائل من المجرمين. إن الذين يهاجمون نظامنا الجنائي الإسلامي بحجة تعارضه مع ميثاق حقوق الإنسان الصادر من الأمم المتحدة في ١٠/ ١٢/ ١٩٤٨م لم يدركوا أن الإسلام حفظ كرامة الإنسان أكثر مما تحفظه النظم الوضعية فقد أتاحت هذه النظم الرفاه الشخصي والاجتماعي ولكنها ضحت بالرفاه الروحي والأخلاقي للإنسان المعاصر فأصبح أسير مجتمع استهلاكي يهتم ببطنه أكثر من اهتمامه بعقله وروحه.

المبحث الثالث - مسألة زواج النبي من غير امرأة:

الجهلاء لتاريخ الدعوة الإسلامية لا يفهمون مغزى وأسباب زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر من امرأة، فلجأوا إلى تأويل ذلك تأويلاً جنسياً فرويدياً[1] وهو تأويل ينم عن جهل مطبق بهذا التاريخ فما أسهل تلفيق التهم ولكن ما أصعب إثباتها! إن النبي كان يدعو وسط مجتمع مقسم إلى قبائل، وكسب الجماعة أو المجموعة أفضل من كسب الفرد أو الآحاد، لذلك كان يلجأ إلى التزوج من امرأة من هذه القبيلة أو تلك بغرض كسب القبيلة برمتها إلى جانب الإسلام فيقوي شوكته ويعزز بيضته، يضاف إلى ما تقدم ثمة مسألة في غاية الأهمية متمثلة أن في أن معظم النساء اللاتي تزوجهن المصطفى صلى الله عليه وسلم هن عجائز أو عاقرات فلا محل للشهوة الجنسية في هذا

---

(١) من ذلك: فاطمة المرنيسي: الحريم السياسي - النبي والنساء، ترجمة المحامي عبدالهادي عباس، دمشق - دار الحصاد (والمؤلفة من إحدى بلدان المغرب العربي وقد ألفته باللغة الفرنسية، وهو من الكتب المخصصة لهدم الإسلام).

الشأن وانما المحل للعقل المدبر كي يبشر مجتمع الجاهلية بدين النور والصلاح وفعلاً أدى اقترانه نسباً ببعض القبائل إلى تدعيم الدعوة الإسلامية لأن هذه القبائل وجدت شرفاً بهذا الزواج.

لقد عمل المصطفى مع خديجة بنت خويلد في التجارة قبل خروجه للبعثة النبوية، وقد اختارته لامانته وحسن خلقه، ثم توفيت بعدئذ. وتزوج بابنة صديقه عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما وهي من أذكى وأفصح نساء العرب، كما تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لغرض تعزيز علاقته بهذين الصحابين عمر وأبي بكر رضي الله عنهما وتزوج بعدئذ أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة وهي امرأة كبيرة السن وكثيرة الاولاد وقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يرعاها لكبر سنها وكثرة أولادها ثم تزوج زينب بنت خزيمة وقد استشهد زوجها يوم أحد ولم تكن ذات جمال وقد تجاوزت سن الشباب وقد توفيت بعد ثلاث أشهر ثم تزوج جويرة بنت الحارث: فكان أبوها سعيد بني المصطلق وهو زواج لخير الإسلام وزيادة أنصاره. ثم تزوج من أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وهي قد اسلمت على الرغم من أبيها وقد تنصر زوجها في الهجرة ولم تطاوعه وبقت على دين الإسلام. كما تزوج من زينب بنت جحش وهي ابنة عمة رسول الله أميمة بنت عبدالمطلب وقد طلقها زوجها بأمر من الله من اجل ابطال عادة التبني التي كانت موجودة في الجاهلية فتزوجها الرسول حماية لها ثم تزوج صفية بنت حييي بن اخطب سيد بني النضير وقد اختارت الزواج من رسول الله، ثم تزوج بنت الحارث بن حزن الهندلية وقد خطبه لها عمه جعفر بن أبي طالب وقد مات زوجها الثاني كما تزوج مارية القبطية وقد أهداها له المقوقس حاكم الإسكندرية عندما

دعاه للإسلام وقد تزوجها النبي وولدت له ابنه إبراهيم ومن هذا يتبين لنا ان زواج المصطفى صلى الله عليه وسلم كان للدين وليس للدنيا ولغرض توطيد الدعوة ونشرها وكان يبتغي من زواجه الخير للإسلام عن طريق الإكثار من الاصهار المناصرين وكذلك تكريمه نساء مسنات أو أرملات وكان يقصد المواساة والتعويض وزوجاته جميعاً ثيبات عدا عائشة رضي الله عنها [١].

المبحث الرابع - مسألة تعدد الزوجات:

يثير اعداء الإسلام في الغرب من المستشرقين واليهود والنصارى مسألة إجازة الإسلام للرجل للزواج من غير امرأة فيسمح له الدين ان يثني ويثلث ويربع ودفعوا بأن هذه الاجازة عبارة عن امتهان لقيمة المرأة وإعلاء لشأن الرجل بالخلاف لمبدأ المساواة بين الجنسين. وللاسف الشديد يردد هذه المعزوفة نساء ورجال مسلمون بحجة الدفاع عن حقوق المرأة وهو موقف ينم عن جهل وتجاهل لاحكام الإسلام، فثمة ضرورات اجتماعية وشخصية لتعدد الزوجات، فمن حيث **الضرورات الاجتماعية** فثمة حالتان بارزتان هما:

الأولى - عند زيادة عدد النساء على الرجال في الاحوال العادية: ففي هذه الحالة يكون التعدد واجباً اجتماعياً واخلاقياً وهو أفضل من بقاء النساء دون زواج أو انحرافهن عن جادة الفضيلة وانتشار الفاحشة وكثرة الاولاد غير الشرعيين.

الثانية - عند قلة عدد الرجال عن النساء نتيجة الحروب أو الكوارث الطبيعية:

---

(١) للتوسع، انظر: د.أحمد محمد الحوفي؛ مرجع سبق ذكره، ص٢٨٣ - ٣٣٥.

وحينئذ يسمح تعدد الزوجات لمعالجة هذه الحالة الشاذة، كما ان الامة التي تعاني من قلة النسل تستطيع مواجهة هذه الحالة بإقرار نظام التعدد.

أما ضرورات التعدد الشخصية فيمكن ذكر خمس منها هي:

١. كون الزوجة عقيماً والزوج يحب الذرية فحب الاولاد غريزة في النفس البشرية.
٢. إصابة الزوجة بمرض مزمن أو معد يعيق مباشرة الزوج معاشرة زوجته.
٣. اشتداد كره الزوج لزوجه في بعض الحالات وفشل محاولات الإصلاح والتحكيم والطلاق.
٤. كون الرجل بحكم عمله كثير الاسفار وتستغرق إقامته في بعض البلدان شهراً أو شهوراً.
٥. امتلاك الزوج لقوة جنسية كبيرة لا تكفي معه زوجة وحدها اما لشيخوختها أو لكثرة أيام عدم صلاحها للمعاشرة الجنسية (أيام: الحيض، والحمل، والنفاس، والمرض، الخ) في مثل هذه الحالات يصبح التعدد مشروعاً [1] واسارع إلى القول ان الإسلام لم يطلق سلطة الرجل في التعدد وانما وضع ضوابط شخصية ومالية وأخلاقية كالقدرة على إدارة زوجاته والقدرة على الانفاق عليهن بسعة، والقدرة على العدل بينهن، فالرجل الذي لا يقدر على العدل بين زوجاته أولا يقدر على تربية أولاده وغرس المحبة بينهم مهما اختلفت امهاتهم أو لا يقدر على الإنفاق المالي على

(١) د. مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، بيروت المكتب الإسلامي ط٦، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ص٨١ وما بعدها.

زوجاته واولاده يكون آثماً بالتعدد، فنظام التعدد تقرر لاغراض شرعية شريفة وليست لاغراض ابراز الرجولة أو المغامرة الجوفاء أو ظلم النساء.

حكاية: قال الدكتور مصطفى السباعي: حين سافرت إلى أوروبا في سنة ١٩٥٦م موفداً من جامعة دمشق في رحلة للجامعات والمكتبات العامة، التقيت في لندن بالبروفسور «اندرسون» رئيس قسم قوانين الاحوال الشخصية الشرقية في معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن وجرى بيننا هذا الحوار حول نظام تعدد الزوجات في الإسلام:

سألني اندرسون: ما رأيك في تعدد الزوجات؟

قلت له: نظام صالح يفيد المجتمعات في كثير من الظروف اذا نفذ بشروطه.

قال: أنت إذاً على رأى محمد عبده بوجوب تقييده؟

قلت: قريباً من رأيه لا تماماً، فإني أرى ان يقيد بقدرة الزوج على الإنفاق على الزوجة الثانية ليمكن تحقيق العدل بين الزوجات كما طلب الإسلام.

قال: وهل مثلك في هذا العصر يدافع عن تعدد الزوجات؟

قلت: اني أسألك فاجبني بصراحة، من كانت عنده زوجة فمرضت مرضاً معدياً أو منفرداً لا أمل بالشفاء منه. وهو في مقتبل العمر والشباب فماذا يفعل؟ هل أمامه إلا ثلاث حالات: ان يطلقها، أو يتزوج عليها، أو ان يخونها ويتصل بغيرها اتصالاً غير مشروع؟

قال: بل هناك رابعة، وهي: ان يصبر ويعف نفسه عن الحرام.

قلت: وهل كل إنسان يستطيع ان يفعل ذلك؟

قال: نحن المسيحيين نستطيع ان نفعل ذلك بتأثير الإيمان في نفوسنا.

فتبسمت وقلت: اتقول هذا وانت غربي؟ أنا أفهم ان يقول هذا القول مسلم أو مسيحي شرقي، فقد يستطيع ان يكف نفسه عن الحرام، لان محيطه لا يهيئ له وسائل الاختلاط بالمرأة في كل ساعة يشاء وأنى يشاء، ولان تقاليده واخلاقه لا تزالان تسيطران على تصرفاته، ولان الدين لا يزال له تأثير في بلاده.

أما أنتم الغربيين الذين لم تتركوا وسيلة للاتصال بالمرأة والاختلاط بها والتأثير عليها وإغوائها إلا فعلتم، حتى لم تعودوا تستطيعون ان تعيشوا ساعة من نهار أو ليل دون ان تروا المرأة أو تخالطوها منذ تغادرون البيت حتى تعودوا إليه، انتم الذين يضج مجتمعكم بالاندية والبارات والمراقص، وتغص شوارعكم بالاولاد غير الشرعيين... تدعون ان دينكم يمنعكم من خيانة الزوجة المريضة؛ وكيف ذلك وخيانات الزوجات الجميلات الصحيحات الشابات تملأ أخبارها أعمدة الصحف والكتب، وتصك الآذان، وتشغل دوائر القضاء؟

قال: أنني أخبرك عن نفسي، فأنا أستطيع ان أضبط نفسي وأصبر.

قلت: حسناً، فكم تبلغ نسبة الذين يضبطون أنفسهم من المسيحيين الغربيين امثالك بالنسبة إلى الذين لا يصبرون.

قال: لا أنكر أنهم قليلون جداً.

قلت: وهل ترى ان التشريع يوضع للقلة التي يمكن ان تعد بعدد الاصابع، أم للكثرة والجمهرة من الناس؟ وما فائدة التشريع الذي لا يستطيع تطبيقه إلا أفراد محدودون؟

فسكت وانتهت المناقشة فيما بيننا، أقول هذا لابين ان الذين يزعمون بأن الغريزة الجنسية ليست كل شيء في حياة الإنسان، وان هنالك قيماً اثمن واغلى كالوفاء والصبر يحرص عليها الحر الكريم، وان تبرير التعدد بالحاجة الجنسية هو هبوط بالانسان الى مستوى الحيوان.. هذا الكلام وامثاله، كلام جميل.[1]

المبحث الخامس - مسألة الخلاف بين الصحابة

يحلو للبعض ان ينبش التاريخ ويستخرج بعض الخلافات في بعض المسائل بين الصحابة وقد حاول اعداء الاسلام منذ بداية الدعوة حتى يومنا هذا ان يشقوا المسلمين الى حزبين مذهبيين، هذا يناصر جميع الصحابة رضوان الله عليهم وذاك يناصر احد الصحابة بحجة انه اولى بالخلافة من غيره، وهذه المسائل التاريخية لم يعد ثمة موجب ديني او منطقي او سياسي في اثارتها.

حكاية - حدث الشافعي رضي الله عنه، قال: قيل لعمر بن عبدالعزيز: ما تقول في اهل صفين[2] فقال:

(١) د. مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص٨٧ وما بعدها.

(٢) موقعة صفين: حصلت معركة بين قوات علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) في سنة ٣٧هـ.

«تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا احب ان اخضب لساني بها»[١]

ما اروع هذا الجواب الذي ينم عن تقوى وخشوع صادقين فهو لم يكتف بالافصاح بان الله عز وجل طهر يده من هذه الدماء وانما لم يرغب ان يخوض بها نقاوة للسانة الذي يعبر عن نقاوة قلبه وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يهلك فيّ فئتان: محب مفرط، ومبغض مفرط[٢] انظروا الى امير المؤمنين وزوج ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء لم يرغب ان يتجاوز محبوه المعقول، ولم يرغب ان يفرط بكرهه، فتقديس الصحابة ليس من الاسلام بشيء كما ان سبهم او بغضهم اثم كبير بحق الفاسق الذي يقترف ذلك. ويقول سبط ابن الجوزي: اتفق علماء السير على انه كان لعلي بن ابي طالب عليه السلام من الولد ثلاثة وثلاثون، منهم اربعة عشر ذكراً وتسع عشرة انثى، منهم: ابوبكر، قتل مع الحسين عليه السلام، امه ليلى بنت مسعود. وعثمان، قتل مع الحسين عليه السلام، امه ام البنين بنت حزام، وعمر الاكبر، امه الصهباء يقال لها ام حبيب بنت ربيعة، وقد روى عمر الحديث، وكان فاضلاً وتزوج اسماء بت عقيل ابن ابي طالب، وعاش خمس وثمانين سنة، حتى حاز نصف ميراث ابيه امير المؤمنين.[٣]

(١) البستي أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ٣١٩ - ٣٨٨هـ، العزلة، تعليق ياسين محمد السواس، دمشق بيروت دار ابن كثير ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م، ص١٣٦.

(٢) الجاحظ (أبو عثمان بن عمرو بن بحر توفي ٢٥٥هـ) كتاب الحيوان، ج٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ص٩٠.

(٣) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، تقديم محمد صادق بحر العلوم - النجف ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م، ص٥٤.

ولنترك الخلاف المذهبي، ونذهب الى خلاف اخر جرى بين اهل السنة، وطائفة سميت بـ«الصفوفية» وهو مسلك زهدي، تقبله بعض المسلمين وعارضوه اخرون ومن ضمنهم الامام احمدبن عبدالحليم بن تيمية فقد اجرى مناظرة تاريخية جليلة مع احد اقطاب الصوفية وهو الشيخ احمد بن عطاء الله السكندري (١٢٥٩ - ١٣٠٩م) وهي مناظرة ذات اهمية علمية وفقهية لانها بين علمين كبيرين.

وقد حدثت هذه المناظرة التاريخية في عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون[1]، فبعد صلاة المغرب، فوجيء ابن عطاء الله بالشيخ احمد بن تيمية يصلي خلفه، فهش له، واغتبط به، وهنأه بسلامة الوصول.

ثم قال له ابن عطاء الله: الفت ان اصلي المغرب في جامع مولانا الحسين، واصلي العشاء هنا، فانظر تقدير الله.. قدر لي ان اكون اول من يلقاك.. اعاتب انت علي يا فقيه؟ فقال ابن تيمية: اعرف انك ما تعمدت ايذائي، ولكنه الخلاف في الرأي، على ان كل من آذاني فهو منذ اليوم في حل مني.

قال ابن عطاء الله: ماذا تعرف عني يا شيخ ابن تيمية؟.

قال: اعرف عنك الورع، واشهد اني ما رأيت مثلك في مصر ولا في الشام حباً لله او فناء فيه، ولكنه الخلاف في الرأي، فماذا تعرف عني انت؟ هل تدعي علي بالضلال اذ انكر استغاثة غير الله؟.

قال ابن عطاء الله السكندري: اما ان لك يا فقيه ان تعرف ان

---

(١) الملك ناصر الدين محمد ١٢٨٥ - ١٣٤١هـ ابن السلطان قلاوون تاسع المماليك البحريين في مصر.

الاستغاثة هي الوسيلة والشفاعة، وان الرسول صلى الله عيه وسلم يستغاث ويتوسل به ويستشفع؟ قال ابن تيمية: انا في هذه اتبع السنة الشريفة، فقد جاء في الحديث الصحيح (اعطيت الشفاعة) وقد اجمعت الاثار في تفسير الآية الشريفة: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الاسراء/ ٧٩ على ان المقام المحمود هو الشفاعة..

والرسول صلى الله عليه وسلم لما ماتت أم امير المؤمنين علي رضي الله عنهما، دعا لها الله على قبرها:

الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لامي فاطمة بنت اسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي، فانك ارحم الراحمين. فهذه هي الشفاعة، اما الاستغاثة ففيها شبهة الشرك بالله تعالى. وقد امر الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمه عبدالله بن العباس الا يستعين بغير الله.

قال ابن عطاء الله: اصلحك الله يا فقيه، اما نصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقد اراد منه ان يقترب الى الله بعلمه لا بقرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم واما فهمك ان الاستغاثة استعانة بغير الله فهي شرك، فمن من المسلمين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ورسوله يحسب ان غيره تعالى يقضي، ويقدر، ويثيب ويعاقب؟!.

فإنما هي الفاظ لا تؤخذ على ظاهرها ولا خوف من الشرك لنسد اليه الذريعة، فكل من استغاث الرسول صلى الله عليه وسلم فهو انما يستشفع به عند الله مثلما تقول انت اشبعني هذا الطعام، فهل الطعام هو الذي اشبعك ام ان الله تعالى هو الذي اشبعك بالطعام؟

ونزلت هذه الاية في المشركين الذين كانوا يدعون الهتهم من دون الله، انما يستغيث المسلمون محمداً صلى الله عليه وسلم بمعنى التوسل بحقه عند الله، والتشفع بما رزقه الله من شفاعة، اما تحريمك الاستغاثة لانها ذريعة الى الشرك فانك كمن أفتى بتحريم العنب لانها ذريعة الى الخمر، ونخصي الذكور غير المتزوجين سداً للذريعة الى الزنا. وضحك الشيخان!!

واستطرد ابن عطاء الله يتعين على من هو في مثل علمك باللغة التي ان تبحث في المعاني المكنونة وراء ظاهر الكلمات، فالمعنى الصوفي روح، والكلمة جسد، فاستقصي ما وراء الجسد، لتدرك حقيقة الروح.

ثم استطرد ابن عطاء الله يقول: ثم انك اعتمدت في حكمك على ابن عربي، على نصوص قد دسها عليه خصومه، واما شيخ الاسلام عز الدين بن عبدالسلام فانه لما فهم كتابات الشيخ، وحل رموزها واسرارها، وادرك ايحاءاتها استغفر الله عما سلف منه، واقر بان محيي الدين بن عربي امام من ائمة الاسلام.

وسأل ابن عطاء الله مرة اخرى: وما رأيك في الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه؟ اجاب ابن تيمية رضي الله عنه: هو المجاهد الذي لم يبارز احداً إلا غلبه، فسن للعلماء والفقهاء من بعده ان يجاهدوا باللسان والقلم والسيف جميعاً في سبيل الله.

وكان كرم الله وجهه اقضى الصحابة، وكلماته سراج منير استضيء به في حياتي بعدالكتاب والسنة: (وآه من قل الزاد وطول السفر ووحشة الطريق!).

فقال ابن عطاء الله : فهل يسأل امير المؤمنين الامام علي كرم الله وجهه عن بعض من شايعوه، فقالوا : ان جبريل اخطأ، فجاء بالرسالة محمد صلى الله عليه وسلم بدلاً من علي؟ او عن الذين زعموا ان الله حل في جسده، فصار الامام الهاً، ألم يقاتلهم؟! ويقتلهم؟! اما افتى بقتلهم اينما ثقفوا؟!

قال ابن تيمية : وبهذه الفتوى خرجت لقتالهم في الجبل بالشام منذ اكثر من عشرة اعوام.

قال ابن عطاء الله : ان الشيخ محيي الدين بن عربي برىء مما يصنعه اتباعه من اسقاط التكاليف الدينية، واقتراف المحرمات، اترى هذا.

قال ابن تيمية : ولكن اين تذهبون من الله وفيكم من يزعم انه صلى الله عليه وسلم بشر الفقراء بانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء، فسقط الفقراء منجذبين، ومزقوا ملابسهم، وعندئذ نزل جبريل وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يطلب حظه من هذه المزق فحمل جبريل واحدة منها، وعلقها على عرشه تعالى، ولهذا يلبس الصوفية المرقعات ويسمون انفسهم الفقراء.

قال ابن عطاء الله : ما كل الصوفية يلبسون الخرق، وهآنذا امامك فما تنكر من هيئتي؟! قال ابن تيمية : انت من رجال الشيعة، وصاحب حلقة في الازهر. قال ابن عطاء الله : والغزالى كان اماماً في الشريعة والتصوف على السواء وقد عالج الاحكام والسنن والشريعة بروح المتصوف وبهذا المنهاج استطاع احياء علوم الدين.

ان الاخذ بظاهر المعني يوقع في الغلط احياناً يا فقيه، ومن هذا

رأيك في ابن عربي، وهو امام ورع من أئمة الدين، فقد فهمت ما كتبه على ظاهره، والصوفية أصحاب إشارات وشطحات روحية ولكلماتهم أسرار. قال ابن تيمية: هذا الكلام عليك لا لك. فالقشيري(١) لما رأى أتباعه يضلون الطريق قام عليهم ليصلحهم، فماذا فعل شيوخ الصوفية في زماننا؟؟!!

إنما أريد من الصوفية أن يسيروا على سُنّة هذا السلف العظيم من زهاد الصحابة، والتابعين وتابعيهم بإحسان، إني أقدر من يفعل منهم ذلك وأراه من أئمة الدين.

أما الابتداع، وإدخال أفكار الوثنيين من متفلسفة اليونان، وبوذية الهند، كادعاء الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ونحو ذلك مما يدعو إليه صاحبك فهذا هو الكفر المبين.

قال ابن عطاءالله رضي الله عنه: ابن عربي(٢) رضي الله عنه كان أكبر فقهاء الظاهر بعد ابن حزم(٣) الفقيه الأندلسي المقرب إليكم يا معشر

---

(١) القشيري: هو عبدالكريم بن هوزان بن عبدالملك بن طلحة النيسابوري القشيري، أقام بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤١٢هـ.

(٢) ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن العربي أبوبكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، وهو صاحب الفتوحات المكية، فصوص الحكم وصاحب نظرية الحلول والاتحاد وهو إمام يجله الصوفية ويعتبرونه من الأقطاب والأولياء الخلصاء وقد كفّره ابن تيمية ورماه بالزندقة. توفي سنة ٦٣٨هـ.

(٣) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ وتوفي في بادية (لبلة) من بلاد الأندلس سنة ٤٥٦هـ حيث لجأ إليها طريداً من ملوك وسلاطين الأندلس، حيث اتهمه فقهاد عصره وعلمانه بالادعاء عليه لأنه تناولهم وانتقدهم فاستطالوا عليه وسعوا بالفتن والمؤامرات عليه. وقد خلف ابن حزم نحواً من أربعمائة مجلد وهو ما يقع في قرابة ثمانين ألف ورقة.

الحنابلة. كان ابن عربي ظاهرياً، ولكنه يسلك إلى الحقيقة طريق الباطن، أي تطهير الباطن!! وليس كل أهل الباطن سواء!!.

ولكي لا تضل أو تنسى أعد قراءة ابن عربي بفهم جديد لرموزه، وإيحاءاته تجده مثل القشيري، وقد اتخذ طريقه إلى التصوف في ظل ظليل من الكتاب والسُّنّة، إنه مثل حجة الإسلام الشيخ الغزالي[1] يحمل على الخلافات المذهبية في العقائد والعبادات، ويعتبرها انشغالاً بما لا جدوى منه، ويدعو إلى أن محبة الله هي طريقة العابد في الإيمان فماذا تنكر من هذا يا فقيه؟ أم أنك تحب الجدل الذي يمزق أهل الفقه، لقد كان الإمام مالك رضي الله عنه يحذر من الجدل في العقائد، ويقول: (كلما جاء رجل أجدل من رجل نقص الدين).

قال الغزالي: «اعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن، ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس، بل هو سرٌّ من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس».

إن أهل السُّنّة هم الذين لقبوا الغزالي - شيخ المتصوفة - بحجة الإسلام، ولا معقب على آرائه. إن أداء التكاليف الشرعية في رأي ابن عربي، وابن الفارض، عبادة محرابها الباطن، لا شعائر ظاهرية، فما جدوى قيامك وقعودك في الصلاة إذا كنت مشغول القلب بغير الله؟! مدح الله أقواماً بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢) وذم أقواماً بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

(١) الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي، فيلسوف المتصوفة، وإمام الباطنية، لقب حجة الإسلام، له نحو مائتي مصنف ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفي سنة ٥٠٥هـ بالطابران (قصبة طوس بخراسان) ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز ثم بلاد الشام ثم مصر، ثم عاد أخيراً إلى بلدته وتوفي فيها رحمه الله.

(الماعون: ٥) وهذا هو الذي يعنيه ابن عربي بقوله: إن التعبد محرابه القلب أي الباطن لا الظاهر.

إن المسلم لا يستطيع أن يصل إلى إدراك علم اليقين، وعين اليقين، إلا إذا أفرغ قلبه مما يشوش عليه من أطماع الحياة الدنيا، وركز في التأمل الباطني فغمرته فيوض الحقيقة، ومن هنا تنبع قوته.

قال ابن تيمية: أحسنت والله - إن كان صاحبك كما تقول فهو أبعد الناس عن الكفر، ولكن كلامه لا يحمل على هذه المعاني فيما أرى.

قال ابن عطاء الله: إن له لغة خاصة، وهي مليئة بالإشارات والرموز والإيحاءات، والأسرار والشطحات.

ولكن فلنشتغل بما هو أجدى، وبما يحقق مصلحة الأمة فلنشتغل بدفع الظلم، وحماية العدل المنتهك، أرأيت ما فعله بيبرس وسلار بالرعية منذ خلع الناصر نفسه، فانفرد بالحكم، وإن عاد السلطان الناصر وهو يؤثرك على كل الفقهاء ويستمع لك فأسرع إليه وانصح له[1].

وبما أن الصحوة الإسلامية تتطلب تضافر سائر جهود وأفكار المسلمين فإن سياسة التقريب بين المذاهب إنما هي سياسة لصالح الإسلام فأعداؤه يوجهون سهامهم له كدين واحد بغض النظر عن أقسام الفقه أو المذاهب الدينية ولعل إشعال نار الفتنة والفرقة بين المسلمين هي أبرز مرامي وأغراض أعدائهم فنحن يجب أن نوجه أنظارنا للأمام ونشخص

(١) د. سيد الجميلي: مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره، بيروت دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص١٢ وما بعدها.

الأخطار المحدقة بنا لا أن نلتفت للوراء ونثير مسائل لا يخدم الإسلام إثارتها كما يجب إدراك أن المذاهب موجودة في جميع الأديان السماوية (اليهودية والمسيحية) وكذلك الأديان الأرضية (البوذية والهندوسية والكنفوشيوسية، إلخ) ويتبع أعداؤنا وما أكثرهم سياسة فرق كي يسودوا علينا، فالواجب على علماء الأمة وأفرادها الانتباه للدسائس التي يحكيها إما جاهل يتعين الضرب على يده، أو عميل ينفذ مخططات استعمارية تهدف إلى شق وحدة الإسلام واشغال شعوبهم بمعارك مفتعلة.

المبحث السادس - مسألة حقوق المرأة

يثير من يسمون أنفسهم بأنصار المرأة مسألة أن الإسلام لم يعط المرأة حقوقها وإنما جعلها أدنى درجة من الرجل، بيد أن كلامهم ارتجالي ومتسرع فالشريعة الإسلامية أكرمت المرأة وقررت المساواة بينها وبين الرجل في المجالات الآتية.

١ - المساواة في أصل الخلقة:

فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١) والنفس الواحدة هي نفس أبيكم آدم وأوجد من جنسها زوجها حواء، كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ (الحجرات: ١٣) وقال عزَّ من قائل: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٢ - المساواة في أصل التكاليف:

كثيراً ما يساوي القرآن الكريم بين الرجل والنساء في التكاليف الشرعية وفي الأوامر الدينية، وفي الثواب على الإحسان وفي العقاب على المعصية وفي توجيه الخطاب إليهما معاً فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥) وقد اشتملت هذه الآيات على عشر فضائل للرجال والنساء والثواب لمن يتحلى بها سواء أكان ذكراً أم أنثى.

٣ - المساواة في طلب العلم والمعرفة:

أمر الإسلام الذكور والإناث طلب العلم والمعرفة، فقد قال تعالى: ﴿يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨). وروى أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة».

٤ - المساواة في حق العمل:

العمل في الإسلام حق مشروع للجنسين دون تفرقة، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

٥ - المساواة في الحقوق المدنية:

ساوى الإسلام بين الرجال والنساء في الحقوق المدنية فقد قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٢) فإذا بلغت الفتاة سن الرشد لها حق اختيار زوجها اختياراً حراً لا إكراه عليها فإذا أجبرت على زواج ما لا ترغب به حق لها المطالبة بفسخ عقد الزواج بل إن الإمام أبو حنيفة (توفي ١٥٠هـ = ٧٦٧م) أباح للفتاة الرشيدة أن تزوج نفسها من تشاء بشرط أن يكون كفؤاً لها وليس لوليها الاعتراض إلا إذا كان غير كفؤ لها أو كان مهرها أقل من مهر مثلها (رعاية لأخواتها) ومن حجج أبي حنيفة رضي الله عنه أنها ما دامت تستقل بعقد البيع وغيره من العقود فمن حقها أن تستقل بعقد زواجها[1].

٦ - المساواة في تحمل المسؤولية:

يُحمِّل الإسلام الرجل والمرأة المسؤولية نفسها فقد قال تعالى:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢) وفي الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها».

---

(١) جدير بالذكر، أن هذا الرأي مرجوح، والراجح أن الولي هو الذي يتولى تزويجها.

٧- المساواة في الكرامة الإنسانية:

كرامة الرجل من كرامة المرأة، وكرامة المرأة من كرامة الرجل قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء: ٧٠).

٨- المساواة في أصل التوارث:

جعل الإسلام نصيب الأنثى في التوارث نصف نصيب الذكر، قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء: ١١) فالرجل مكلف شرعاً بإعالة نفسه وزوجه وأولاده ومن يعيلهم شرعاً.

٩- المساواة في أصل الشهادة:

احترمت الشريعة شهادة المرأة في الشؤون النسوية وفيما عدا ذلك جعلت شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٨٢) إذ قد تنسى المرأة أو تكون أسيرة عاطفتها أو انفعالها[1].

الفرع الثاني - الحوار الوقائي

وهو حوار العقل القائد الذي يتجه إلى المستقبل ويهتم بالقضايا المستقبلية. ومفهوم هذا الحوار هو القيام بحوار دون وجود خطاب سلبي ضد الإسلام وإنما هدفه نشر الدعوة الإسلامية من جهة، وبيان

(١) د. محمد سيد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٩م، ص٥٩ وما بعدها.

رأي الإسلام في قضايا العصر والمستقبل من جهة ثانية .

وهناك مسائل جوهرية تواجه الفكر الإسلامي المعاصر كي يتناولها باستفاضة ويعطي أحكام الإسلام بها وسأنتقي المسائل المتعلقة بالمحافظة على البيئة، والعولمة، والحوار بين الأديان، والاستنساخ البشري، وسأتناولها في أربعة مباحث مستقلة .

المبحث الأول - البيئة

البيئة هي حاضنة الجنس البشري إضافة إلى الحيوان والنبات والمادة من جماد وسائل وغاز، ويمكن تقسيم البيئة من وجهة نظري إلى ثلاثة أقسام هي البيئة الهوائية، والبيئة المائية، والبيئة الترابية بما تحوي ذرات ترابية ومعادن صلبة وسائلة وغازية. وقد ذهب ابن خلدون (توفي ٨٠٨هـ) إلى أن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التي يدعو لها الترف والدعة وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها وأيضاً فالمدن والأمصار ذات هيكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون، فلا بد من تمصير الأمصار واختطاط المدن من الدولة والملك، فالحماية الطبيعية للمدينة تشمل النطاق الزراعي وتوافر المراعي والنباتات الزراعية والموقع الحسن وجودة المناخ، حيث يراعى طيب الهواء لأنه شرط السلامة من الأمراض وكذلك توافر الظروف الصحية الجيدة من حيث عدم مجاورة المدن للمياه الفاسدة أو المنافع المتعفنة أو المروج الخبيثة مما يؤدي إلى سرعة التعفن وسرعة حدوث المرض للحيوان الكائن فيها[١] .

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٢١١.

وذهب ابن قتيبة (توفي ٢٨٦هـ) بأن المدائن لا تبنى إلا على الماء والكلأ والمحتطب[١].

أذكر هاتين المقولتين لابن خلدون وابن قتيبة كنموذج على اهتمام علماء وأدباء تراثنا الإسلامي بالبيئة، وقبل ذلك خصص القرآن الكريم آيات عديدة ومتنوعة لذكر البيئة ووجوب العناية بها ومن ذلك ما قاله رب العالمين: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤).

ولا شك أن هذه الآية تشير إلى البيئة بأبعادها الثلاثة: الهوائية والمائية والترابية، وكذلك قال في البيئة المائية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم ٣٢-٣٤).

كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ (الأنعام: ٩٩) ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤).

كما قال في البيئة الترابية ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

(١) ابن قتيبة، مرجع سبق ذكره، ص٢٨٨.

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠).

وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (العنكبوت: ٢٠)﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ (الملك: ١٥).

وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (الإسراء: ٧٠)

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (لقمان: ٢٠).

وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد: ٢٥).

وكان رب العالمين قد نظم الكون تنظيماً دقيقاً كي يسير سيراً انسيابياً فلكل ظاهرة تدبير الهي مقصود إذ قال عز وجل بشأن تزويد الإنسان بقدرات لتذليل الطبيعة لصالحه.

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ (البقرة: ٢٥١).

والمقصود بالفساد هنا هو خراب الأرض فالله عز وجل خلق الإنسان لعبادته ولتعمير الأرض لذلك حظر عليه إفساد الأرض لأن سعيه يتعين أن ينصب على إعمارهم وازدهارها.

فرب العالمين خلق هذا الكون من أجل أن يعيش الإنسان فيه العيش الذي يوفر له مقومات العبادة ويلاحظ الإنسان بدوره آيات الله وأفضاله على عباده.

في ضوء هذا الإدراك يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام أناط بنا القيام بوظيفتين جوهريتين تتمثل الأولى في التمتع بالبيئة والحرص على سلامتها، أما الثانية فتتمثل في مكافحة صور تلوث البيئة كافة. فنحن يجب أن ننخرط في الجهد العالمي في المحافظة على البيئة ومحاربة جميع أشكال التلوث التي أصبحت تهدد الحياة على كوكب الأرض سواء حياة الإنسان أو الحيوان أو النبات. ومن ثم فإن الضرورة ماثلة في إيضاح أحكام ديننا في كونه الدين الأبرز في حماية البيئة الهوائية والمائية والترابية.

المبحث الثاني - العولمة

العولمة هي ظاهرة اقتصادية تتمثل في انتقال السلع والأموال والأشخاص بين الدول بحرية تامة عن طريق إلغاء أو تخفيف القيود الجمركية، كما أنها ظاهرة سياسية تتمثل في سيادة قطب واحد هو القطب الأمريكي على مقدرات العالم برمته، وهي ظاهرة ثقافية تتمثل في سيادة ثقافة النموذج الأمريكي على بقية ثقافات العالم، الأمر الذي دفع بعض البلدان كفرنسا وألمانيا والدول الاسكندنافية إلى المحافظة على ثقافاتها وخصوصاً حماية لغاتها القومية. وقد انقسم المفكرون في الدول النامية إزاء العولمة إلى ثلاثة أقسام: مرحب بها، ومعاد لها، ومتحفظ إزاءها[1]. ولا شك أن الترحيب بها ترحيباً كاملاً يفضي على إلغاء خصوصيتنا الدينية والثقافية، كما أن معاداتها سياسة غير حكيمة لأنها أقوى من طاقاتنا الذاتية، أما الموقف المتحفظ بها فهو الموقف

---

(١) للاطلاع على هذه الأفكار، انظر: عدد العولمة ظاهرة العصر في مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٨، عدد ٢ أكتوبر ديسمبر ١٩٩٩م الكويت.

الأسلم إذ يتعامل معها ولكن بحذر، فإلغاؤها أو معادلتها أو التهرب منها موقف غير سليم في ظل المعطيات الاقتصادية والثقافية الراهنة، فشبكة المعلومات العالمية (الانترنت) قادرة على الدخول في كل بيت، ومن ثم فإذا تهرب الآباء منها فإن الأبناء قد لا يكون لديهم مثل هذا الاستعداد. في ضوء هذا الإدراك فإن التعامل مع العولمة تعاملاً إيجابياً هو الموقف الأسلم، وذلك بالتعامل معها كظاهرة لا مفر من الإقرار بوجودها، ولكن من الضرورة الاهتمام بها ومحاولة الاستفادة من جوانبها الايجابية، والتحفظ على جوانبها السلبية، فالانترنت مثلاً قناة ثقافية ودعوية ومعلوماتية ويمكن أن نستفيد منها فائدة جمة، كما يمكن أن نضخ خطاباتنا الإسلامية المعاصرة عن طريقها ومن الضرورة أن نتبادل الخبرات مع الدول الأخرى التي جاهدت من أجل أن نستفيد من العولمة بمفهومها العالمي، والحذر من العولمة بمفهومها الأمريكي وهي التي تخدم الرأسمالية الأمريكية والثقافة الأمريكية. إذن يمكن أن نفتح نوافذنا على العالم وفي الوقت نفسه نحصن أجيالنا من كل ما يلغي هويتنا الدينية والثقافية.

ونحن نملك من العلماء والمفكرين ما نستطيع إعداد خطة علمية للاستفادة من العولمة العالمية ومواجهة العولمة الأمريكية.

المبحث الثالث - الاستنساخ البشري

لاشك في أن عمليات الاستنساخ البشري ثمرة للعقل الرأسمالي الجشع فهو يهدف الى تعظيم الربح ولو على حساب مقدسات الإنسان وتكوينه الإلهي الإعجازي، وقد لجأت بعض الدول وبعض المفكرين الإنسانيين إلى التنديد بهذه العمليات والدعوة إلى استصدار قرار من الأمم المتحدة بحظر هذه العمليات التي تعتدي على خلق الله.

إن كل العمليات البيولوجية (الحيوية) الهادفة إلى مكافحة الأمراض البشرية أو تحسين المزروعات هي من العمليات الجائزة دينياً، بيد أن التلاعب بجينات الإنسان بقصد تكوين أفراد مغايرين للطبيعة البشرية إنما هو عمل يتعين أن نضم صوتنا ونحشد جهدنا مع أصوات وجهود الجبهات الدولية التي تدعو إلى حظر الاستنساخ البشري، فالإسلام ينبغي أن يرتفع صوته في كل مسألة علمية حديثة فما دامت تفيد الإنسان فلا اعتراض عليها ولكن التلاعب بخلق الإنسان أو هيئته كتكوين فرد إنساني - نباتي في آن واحد إنما هي من ابتكار علماء لا أخلاقيين تدعمه شركات كبرى ترغب بجني الأرباح على حساب كرامة الإنسان.

المبحث الرابع - حوار الأديان

يتعين التمييز بين حوار الأديان وحوار الحضارات والثقافات، فالثاني حوار حر فلا قسر أو إرغام أنه حوار قائم على مبادئ التكافؤ والمساواة التامة بين الأطراف المتحاورة وأخيراً - كما أرى - أن الحوار بين الحضارات والثقافات يقوم على أساس الأخذ والعطاء، فكل طرف يأخذ ما هو صائب أو ما في صالحه ويعطي من يريد العطاء دون عناء.

أما بالنسبة لحوار الأديان فثمة قواسم مشتركة بين الأديان السماوية، إذ جميعها تؤمن بالله الواحد القهار، ولكن الحوار بين الأديان ليس سهلاً بسبب تباين الثوابت بين هذه الأديان، فنحن المسلمين نؤمن بأن ثمة تحريف جوهري جرى في الديانتين المسيحية واليهودية وأن اللقاء العقدي بين الأديان الثلاثة مستحيل نظراً وعملاً، ولكن يمكن أن يجري حوار سياسي بين أطراف هذه الأديان وذلك بالاتفاق على مبادئ التعايش السلمي بين هذه الأديان ويجب ألايغيب عن بالنا أن ثمة جهات صهيونية وماسونية ترفع لواء الحوار بين الأديان وهي في أهدافها تسعى إلى تذويب الإسلام لغرض التخلص منه، لذلك يتعين أن نتعامل مع مقولة الحوار بين الأديان بحذر شديد فالغرب استقبل الديانتين اليهودية والمسيحية وعاشتا في كنفه فلماذا يرفض استقبال الإسلام على الرغم من أنه دين شرقي إبتداءً شأنه شأن الديانتين آنفتي الذكر؟ هذا الرفض الغربي أو المسيحي واليهودي للإسلام يفسر لنا الجانب المريب في دعاوى الحوار بين الأديان، كما أن التوارة «العهد القديم» جزء لايتجزء من الإنجيل «العهد الجديد» ومن ثم فهناك مصلحة

في انشغال الطرفين على مقاومتنا والعمل على إنهاء نفوذ الإسلام في العالم المترامي الأطراف.

صفوة القول في هذا الشأن، أن فضيلة لقاءات حوار الأديان تتمثل في إيضاح صورة الإسلام أمام ممثلي الأديان الأخرى ولاسيما الدين المسيحي، والدين البوذي والدين الهندوسي وبقية ا لأديان الأرضية الأخرى. فثمة جهات دينية متأثرة بالإعلام الصهيوني الذي يصور الإسلام كدين عنف وإرهاب إذ ماذا نقول إزاء العنف المتبادل في أيرلندا الشمالية بين البروتستانت والكاثوليك؟

ونحن المسلمين لانعارض الحوار الإسلامي المسيحي أو الحوار الديني، ولكن باستثناء كشف حقائقنا أمام الغير فإن هذا الحوار لايتعدى الجانب المعنوي لأن أصحاب كل دين يرون أنهم أصحاب الحق وغيرهم على ضلال مبين، ومنذ خمسين سنة والحوار الديني قائماً على قدم وساق ولكنه لم يثمر على الإسلام بأي مكسب يذكر ولكننا سنتخلق بالصبر ونواصل السير في هذا الطريق دون أن تداهمنا أحلام وهمية.

وجدير بالذكر أن في تاريخنا الإسلامي ثمة من تطرق إلى الأديان والمذاهب الدينية من ذلك الشيخ أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (توفي ٥٤٨هـ) فقد تعرض لمجموعة كبيرة من الأديان والملل و النحل وكذلك الفلاسفة اليونان في كتابه المشهور بذلك [1]، وكذلك ابن حزم في الفصل، والبغدادي في الفرق بين الفرق.

كما ألف الأمير أسامة بن منقذ (توفي ٥٨٤هـ) كتاب الاعتبار،

وهو في التسعين من عمره، وهو عبارة عن سيرة ذاتية، تعرض فيها إلى الحوادث الكبرى التي مرت في حياته، وفي معاركه في الحروب الصليبية، فقد كان بطلاً من أبطالها، وقد تطرق في الكتاب إلى الأديان والمذاهب التي وقف عليها وعادات أصحابها دون نقد أو تحيز [٢].

(١) ابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرساتي: كتاب الملل والنحل، تقديم وتعليق أحمد فهمي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية (د. ت) (ثلاثة اجزاء).

(٢) أسامة بن منقذ بن مرشد الكناني: (٤٤٨ -٥٨٤هـ =١٠٩٥ -١١٨٨م) كتاب الاعتبار: تحقيق الأستاذ فيليب حتي، جامعة برنستون - امريكا، ١٩٣٠م، ص ١٦٣.

خاتمة عامة

استنتاجات واقتراحات

بعد هذه الرحلة العلمية في ربوع الحوار في الإسلام توصلت إلى جملة استنتاجات استخلصها من الموضوع نفسه، كما توصلت إلى جملة اقتراحات أرى ضرورة إعمالها كي يكون المحاورون والدعاة في وضع يليق بطبيعة الرسالة الإسلامية.

أولاً - الاستنتاجات

١- الحوار: تبادل معلومات وحقائق ونشر دعوة أو فكر. والبشر متباينون في أفكارهم ومواقفهم ومصالحهم وأمزجتهم وليس كالحوار من وسيلة فعّالة لتوسيع رقعة التفاهم وإيجاد عناصر الالتقاء من أجل العيش براحة أوفر، فلقاء البشر في مسائل فكرية محددة يسهل انسجامهم النفسي.

٢- لحوار يتم بين رأي ورأي آخر، وحينئذ إما أن يتفق أحد الرأيين مع الآخر أو أن يتوصلا لرأي مشترك دمجاً لكلا الرأيين، أو يخفق كل منهما في إقناع الآخر بوجهة نظره.

٣- للحوار شروط متعددة ومتنوعة، لعل أهمها العلم والمعرفة، فلا يلج المحاور موضوعاً لا يفقه فيه شيئاً.

٤- أتفق مع الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) في قوله: المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يضل معهما رأي ولا يفقد معهما فرح.

٥- المحاور المتواضع هو الذي يقول: لا أعلم عن أية مسألة يجهلها، بينما المحاور المغرور هو الذي يبت في كل مسألة ولو كان قد سمعها لأول مرة أثناء الحوار.

٦- الحوار وسيلة، وهو عند الأنانيين غاية متمثلة في جدال عقيم، فمن يرغب بالصيت أو يحب الدنيا أو يبتغي منافع شخصية يكون الحوار معه إضاعة لوقت لا يمكن تعويضه.

٧- هدف الحوار: طلب الحق أو نشدان الحقيقة فيشكر المحاور نظيره إذا أظهر الحق في نقاشه، وقد التزم الصحابة بالحق ولو ظهر على فيه امرأة أو صغير. وبعبارة أخرى الحوار: ترويج أو تسويق رأي، أو تصحيح فكرة، أو التمهيد لموضوع جوهري أو قضية كبرى، أو العمل على الوصول إلى الحقيقة، أو العمل على تضييق شقة الخلاف وتوسيع دائرة الاتفاق.

٨- إقرار الاجتهاد في الإسلام دليل على شرعية الحوار فوجهات النظر تختلف ولكن الهدف يكون واحداً.

٩- هناك مسائل شرعية يتوقف الحوار فيها على الاتفاق على الثوابت الإسلامية وهي الإيمان بوجود الله تعالى وأن القرآن الكريم كتابه ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيه ورسوله المصطفى فإذا كان

المحاور الآخر غير مؤمن بذلك فإن الحوار معه يعد ضرباً من العبث.

١٠- الإسلام دين الاعتدال والوسطية والعقلانية والسماحة، ومن ثم على المحاور أن ينطلق من هذه الحقائق الساطعة فيكون في سلوكه وعقيدته ودعوته للآخرين تجسيداً لروح الإسلام فلا يكون مغالياً أو انفعالياً أو جامداً، فالدماثة في الخلق في الشريعة والعقيدة، خير ترجمة بشرية للإسلام.

١١- من خصائص الحوار: التوازن، بمعنى الأخذ والعطاء، أو الإفادة والاستفادة فإذا كان المتحاوران يملكان عقلين نيرين فإن التوازن يعني تلاقح هذين العقلين فيغتني أحدهما بالآخر ويخرجان من الحوار وهما أكثر معرفة.

١٢- ثمة ضوابط للحوار أهمها التخلي عن التعصب بمعنى أن المحاور يملك استعداداً للتخلي عن رأيه إذا قدم له رأي أصح أو أدق. والشورى الإسلامية تعلم المرء كيفية الاستفادة من أهل الحل والعقد وهم أرباب الآراء المستنيرة.

١٣- إذا اعترف المحاور بخطئه فهذه فضيلة تفضي إلى متابعة الحوار معه أما إذا أصر على خطئه ولم يرغب بالإصغاء لمنطق العقل فهذا دليل على أنه فرد قد يحتاج إلى حوارات أخرى قد تكون شاقة.

١٤- يكون الحوار ضعيفاً إذا ما توافرت بعض السمات لدى المحاور:

أ- غياب الحقائق والمعلومات المتعلقة بموضوع الحوار.

ب- غموض المعاني وعدم وضوحها في ذهن المحاور.

ج- تعرض الفرد أثناء قيامه بمتابعة الاستدلال لحالة شديدة من الانفعال الحاد أو الغضب.

د- الجمود الفكري وعدم قابلية الفرد لفهم الحقائق على الرغم من وضوح الحجج المقدمة له.

هـ- التعميم الخاطئ وتطبيق القاعدة على جزئيات لا تنطبق عليها خصوصاً إذا كانت الجزئية غير صحيحة.

١٥- السخرية أو الهزء ينم عن كون الساخر أو الهازئ أثناء الحوار عاجزاً عن إدارة نقاش الموضوع فيلجأ إلى أسلحة المفلسفين الذين لا يملكون حجة أو برهان.

١٦- من عوائق الحوار: التعصب والرأي الجامد، والغضب، والخوف السياسي أو الاجتماعي، وسوء النية وحب الظهور والادعاء، والتحدي الفارغ، والصراخ والزعيق ومجانبة توثيق الرأي.

١٧- الدينان اليهودي والمسيحي قدما من الشرق العربي إلى الغرب، فلماذا يرفض الغرب قدوم الإسلام إليه؟ كما أنهم يطلبون من الحكومات الإسلامية غربلة مناهجنا الدينية والتربوية، فلماذا لا يبادرون هم إلى غربلة مناهجهم وإعلامهم؟

ثانياً - الاقتراحات

١- ضرورة أن ينكب المحاور المسلم على استيعاب مبادئ علم المنطق الحديث كي يكون حواره منهجياً وموضوعياً.

٢- ضرورة إيمان كلا الطرفين بأهمية الحوار وتبادل الآراء وذلك لغرض الوصول إلى اتفاق مشترك أما إذا كان أحد الطرفين رافضاً

لفكرة الحوار أو لا يؤمن بها فإن من العبث إجراء الحوار معه.

٣- ضرورة تنظيم شروط الحوار، كشرط المكان، وشرط الزمان وشرط البشر فالمكان يتعين أن يكون مهيأ لهذا الغرض والزمان ينبغي أن يكون محدداً دون إطالة أو تطويل والبشر يلزم أن يكونوا أهلاً للحوار وهذه هي الشروط الشكلية.

٤- ضرورة تنظيم الحوار بحيث يعرض المحاور هدف الحوار ومعاني المصطلحات والمفاهيم المستخدمة ويتم تحديد الموضوع تحديداً نافياً للجهالة.

٥- لكل مقام مقال: فلكل حوار مقامه ففي مناسبات الأفراح لا يجوز إجراء محاورات جادة، وفي المآتم أو مجالس العزاء لا يجوز قيام حوار هازل. كما أن الحوار مع الأطفال غيره مع المسنين، والحوار مع العلماء غير الحوار مع أنصاف المتعلمين.

٦- يفضل أن يبدأ الحوار من المسلمات والبديهيات إذ إن البداية الصحيحة وبخطوات وئيدة أفضل من الانطلاقة من منتصف الطريق.

٧- قلب الحوار، الحديث النبوي الشريف: «الكلمة الطيبة صدقة: فلا يكون كلام الداعية إلا طيباً فيسهل عليه بواسطة ذلك أن ينجح بالحوار.

٨- ثمة أخلاقيات من الضرورة أن يتحلى المحاور المسلم بها وأن يتقيد بطبيعتها في حياته الخاصة، مثال ذلك: العدل، والعفة، والصدق والإخلاص، والصبر والحلم، والحياء، والتواضع والرغبة في التعلم والاستفادة واحترام الآخرين، فالناس تحكم

على الفرد بقدر تخلقه بالفضائل وتجنبه للرذائل.

٩- ضرورة سيادة المناخ الأخلاقي بين الأطراف المتحاورة ومن ذلك السلام والتحية، وطلاقة الوجه، وسماحة النفس وسعة الصدر، والهدوء والاحترام المتبادل، وأن يكون المتحاوران على علم ثابت وخلق دمث، أما إذا كان أحدهما حليماً وقوراً، والآخر متهوراً أرعن فإن الحوار يفقد طابعه الأخلاقي، إذ تحرص بعض محطات التلفزة الفضائية على انتقاء محاور هادئ وآخر متهور، فيشتد الصراخ وتتعالى الكلمات الهابطة، ومجمل هدف هذه المحطات المشبوهة إظهار المسلمين بمظهر غير متحضر لا يعرفون أصول الحوار!!

١٠- كي يكون المتحاور ناجحاً فمن الضرورة أن يكون قوي التعبير والبيان في عرض فكرته وأن يكون متواضعاً، وسريع البديهة، فهذه الشكليات تعطي انطباعاً أولياً بأن المحاور يحمل قضية جادة وهوية يدافع عنها دفاعاً ناجحاً.

١١- ضرورة الاستماع الواعي أو الإنصات كي يفهم الطرف الآخر اهتمام المستمع أو المصغي لموضوع الحوار، كما أن ذلك دليل على احترام المتكلم، فالإصغاء ينطوي على فضيلتي الصبر والحلم فيصبر المحاور إلى حين إكمال المتكلم كلامه، ويحلم عليه إذا تفوه بألفاظ هابطة أو سوقية.

١٢- ضرورة التركيز على مسألة معينة في الحوار ومجانبة الانتقال لغيرها إلا بعد الفراغ منها أما إذا كان المحاور ينتقل من موضوع لآخر فهذا دليل على عدم قدرته على الإقناع.

١٣- ضرورة عرض المحاور الموضوع بنزاهة وأمانة فلا يهمل جوانب منه ولا يعمد إلى تعميم إيجابياته، وإنما يعرض الموضوع عرضاً محايداً كي يمكن تقويمه تقويماً علمياً وموضوعياً، فالعودة إلى أصحاب الرأي الأصليين خير من العودة إلى من شرحوه استحساناً أو استهجاناً.

١٤- ضرورة التعاون في إطار الاختلاف، كما أن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

١٥ - الحوار عملية كلام واستماع متبادل أما إذا أصرّ المتكلم على عدم التوقف عن كلامه فحينئذ يقول له المحاور الآخر: أخي الكريم دعني أتكلم فقد أعطيتك ما يكفي من الوقت كي تتكلم ولا بد أن يكون دوري الآن، فالمحددات ضرورية في الكلام.

١٦ - حينما يناقش المتحاورون فإن من الضرورة تسجيل نقاط الاتفاق حتى يمكن الرجوع إليها ثانية، ثم أن هذا التسجيل يفضي إلى تقدم الحوار إلى الأمام.

١٧ - ضرورة عزوف المتحاورين عن الجدل البيزنطي العقيم، فمثال ذلك كأس مملوء نصفه بالماء فقط، فيثور الجدل حول هل أن نصفه فارغ أم نصفه مملوء؟ وبعضهم يجادل هل أن البيضة من الدجاجة أم أن الدجاجة من البيضة؟ وبطبيعة الحال فإن حكم الإسلام أن البيضة من الدجاجة لأنها خلقت أولاً فانتجت بيضاً بعدئذ.

١٨ - على المحاور أن يلتزم بنوع من الضبط الذاتي عن طريق مراقبة نفسه أثناء الحوار من حيث:

أ - درجة مستوى الصوت، فيكون عادياً.

ب - نوع النبرة التي يستخدمها فتكون بشوشاً لا عبوساً.

د - استخدام اليد في الإشارة أو التعبير فتكون عند الضرورة ويتجنب مسك يد المحاور الآخر وكأنه يهدده أو يحاول عرض رأيه عليه عنوة.

هـ - نوع الكلمات المستخدمة فتكون منطقية وأخلاقية.

و - مدى السلوك الذي يتبناه فيكون وقوراً ودالاً على احترام الغير

انتهى البحث بعون الله
تسامت أسماؤه وجلت صفاته

المراجع والمصادر

رجعت في إعداد هذا البحث إلى جملة كتب، بعضها قليل الفائدة، فأهملتها، وفيما يلي المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في عملي البحثي:

أولاً - الكتب

- القرآن الكريم.
- كتب الحديث النبوي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، والسنن، ومسند أحمد بن حنبل، وغيرها.
- الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد - توفي ٨٥٠هـ)

المستطرف في كل فن مستظرف، المجلد الأول، بيروت، مكتبة الحياة ١٤١١هـ=١٩٩٣م.
- ابن أبي الاصبع المصري:

بديع القرآن، تحقيق د. حنفي محمد شرف، ط ٢، القاهرة، دار نهضة مصر.
- ابن الأزرق (أبو عبدالله محمد بن الأزرق الأندلسي - توفي

٨٩٦هـ=١٤٩١م)
بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق د. محمد بن عبدالكريم - تونس - ليبيا، الدار العربية للكتاب (د. ت).
- بدوي (د. عبدالرحمن)
شطحات الصوفية، ط ٣، الكويت وكالة المطبوعات ١٩٧٨م.
- البستي (أحمد بن محمد الخطابي ٣١٩ - ٣٨٨هـ)
العزلة، تحقيق ياسين محمد السواس، ط ٢، بيروت - دمشق دار ابن كثير.
- البلوي (يوسف بن محمد)
كتاب ألف باء، نشر جمعية المعارف، القاهرة، عالم الكتب ١٣٨٧هـ.
- التنوخي (أبو علي المحسن بن علي - توفي ٣٨٤هـ)
المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق محمد كرد علي - دمشق ١٩٧٠م.
- توماس كون:
بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، الكويت، عالم المعرفة (١٨٦) ١٩٩٢م.
- ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ٦٦١ - ٧٢٨هـ)
جواب أهل الإيمان في تفاضل القرآن، بيروت (د. ت).
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر - توفي ٢٥٥هـ)
البيان والتبيين، ج ٣، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، بيروت دار الجيل (د. ت).
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)
كتاب الحيوان، ج٢، بيروت دار الجيل (د. ت).

- جبر (د. سعدي حسني، وزملاؤه)
الثقافة الإسلامية، عمّان، وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- جريشة (د. علي المستشار)
أدب الحوار والمناظرة، ط ٢، المنصورة (مصر) ١٤١٢هـ=١٩٩١م.
- ابن جماعة (أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن سعدالله - توفي ٧٣٣هـ)
كشف المعاني في متشابه المثاني، تحقيق د. محمد محمد داود - القاهرة دار المنار ١٤١٨ هـ -١٩٩٨م.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن ٥١٠ - ٥٩٧ هـ .
كتاب الأذكياء، عمّان، دار سندباد - بيروت دار ابن حزم ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.
- ابن الجوزي (سبط ابن الجوزي)
تذكرة الخواص، تقديم محمد صادق بحر العلوم، النجف (العراق) ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.
- الحبيب (د. طارق بن علي)
كيف تحاور؟ عمّان، دار البيت العتيق ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- ابن حجر المكي الهيتمي (أحمد بن محمد بن محمد بن حجر ٩٠٩ - ٩٧٣هـ)
الزواجر عن اقتراف الكبائر، تحقيق محمد محمود عبدالعزيز وزميليه، القاهرة، دار الحديث ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م (مجلدان).
- ابن الحديد (أبو حامد عزالدين عبدالحميد بن هبة الله المدائني - توفي ٦٥٦هـ)
نهج البلاغة، ج ١٧، مكتبة البابي الحلبي ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.

- حسن (محمد كامل، المحامي)
الأخلاق في القرآن الكريم، بيروت، المكتب العلمي، (د. ت).
- ابن الحكم (أبو محمد عبدالله - توفي ٢١٤هـ)
الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز - خامس الخلفاء الراشدين برواية ابنه أبي عبدالله - المتوفى ٢٦٨هـ، تحقيق أحمد عبيد، مراجعة وتعليق عبدالتواب عوض، القاهرة، دار الفضيلة ١٩٩٤م.
- حوى (سعيد)
جند الله تخطيطاً، عمّان، دار عمار ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الحوفي (د. أحمد محمد)
من أخلاق النبي، القاهرة، دار نهضة مصر ١٩٧٩م.
- الحوفي (د. أحمد محمد)
سماحة الإسلام، ط ٢، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٨٠م.
- أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس - توفي ٤١٤هـ)
كتاب الإمتاع والمؤانسة، تصحيح وضبط: أحمد أمين وأحمد الزين بيروت، المكتبة العصرية (ثلاثة أجزاء).
- الخطيب البغدادي (أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت ٣٩٢ - ٤٦٣هـ)
الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ط ٣، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م (مجلدان).
- الخطيب (عزالدين وزملاؤه)
نظرات في الثقافة الإسلامية، عمّان ١٩٩٠م.
- خلاف (د. عبدالوهاب)
خلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، الكويت، دار القلم ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- ابن خلدون (أبو زيد عبدالرحمن بن محمد - توفي ٨٠٨هـ=١٤٠٦م)

المقدمة، تحقيق د. علي عبدالواحد وافي، القاهرة، لجنة البيان العربي ١٣٧٠هـ=١٩٥٨م.
- الخوارزمي (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب - توفي ٣٨٧هـ=٩٩٧م)
مفاتيح العلوم، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٣٤٢هـ.
- الدغمي (د. محمد راكان وزملاؤه)
التربية الإسلامية، ط ٢، عمّان، وزارة التربية والتعليم، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- الديويش (د. أحمد بن يوسف)
الاستقامة، الرياض، دار بلنسية، ١٤١٥هـ=١٩٩٩م.
- الرازي (فخر الدين محمد بن عمر - توفي ٦٠٦هـ=١٢٠٩م)
كتاب النفس والروح، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي، معهد الأبحاث الإسلامي - إسلام آباد، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.
- الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن مفضل بن محمد - توفي ٥٠٢هـ)
مجمع البلاغة، تحقيق د. عمر عبدالرحمن الساريسي، عمّان، مكتبة الأقصى ١٩٨٦م (جزءان).
- الراغب الأصفهاني
كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، القاهرة، دار الصحوة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- الراغب الأصفهاني
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، قم (إيران) منشورات المكتبة الحيدرية، ١٤١٢هـ (جزءان).
- ابن رجب الحنبلي (عبدالرحمن بن أحمد بن رجب ٧٣٦ - ٧٩٥هـ)

الفرق بين النصيحة والتعيير، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف، ط ٣، دمشق، دار المأمون للتراث ١٤٠٥هـ.

- **الزلمي (مصطفى)**

مكانة العقل في الفكر العربي، بيروت، دار الجيل (د. ت).

- **الشيخ أبو زهرة (محمد)**

تاريخ الجدل، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٠م.

- **زيدان (د. عبدالكريم)**

المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط ١٦، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

- **السباعي (د. مصطفى)**

المرأة بين الفقه والقانون، ط ٦، بيروت، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- **السبكي (عبدالوهاب بن عبدالكافي - توفي ٧٧١هـ=١٣٧٠م)**

طبقات الشافعية الكبرى، ج ١، بيروت، دار المعرفة.

- **السخاوي**

الضوء الساطع، ج ٣، بيروت، دار الحياة (د. ت).

- **ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبدالله - توفي ٤٢٨هـ=١٠٣٧م)**

كتاب النجاة تنقيح وتقديم د. ماجد فخري، بيروت، دار الآفاق الجديدة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

- **د. سيد الجميلي:**

مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

- **السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر - توفي ٩١١هـ = ١٥٠٥م)**

تاريخ الخلفاء، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، المكتبة

التجارية ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.
- جلال الدين السيوطي
الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، القاهرة، مطبعة الشهيد الحسين.
- الشاطبي (أبو إسحاق - توفي ٧٩٠هـ)
الموافقات على أصول الشريعة، ج ٢، بيروت (د. ت).
- الشافعي (أبو عبدالله محمد بن إدريس ١٥٠ - ٢٠٤هـ=٧٦٧ - ٨٢٠م)
ديوان الشافعي - حبر الأمة وإمام الأئمة، ط ٢، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- شبار (سعيد)
المصطلح - خيار لغوي وسمة حضارية، كتاب الأمة (٧٨) الدوحة، وزارة الأوقاف، رجب ١٤٢١هـ
- طنطاوي (د. محمد سيد)
أدب الحوار في الإسلام، القاهرة، دار نهضة مصر ١٩٩٩م.
- الشيخلي (د. عبدالقادر)
العتاب في الشريعة والحكمة والأخلاق، عمان، مكتبة الرسالة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
- ابن عاصم الأندلسي (أبوبكر حمد - شوف ٨٢٩هـ - ١٤٢٦م)
حدائق الازاهر، تحقيق د. عفيف عبدالرحمن - بيروت دار المسيرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- العاني (د. نزار)

الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، عمان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - دار الفرقان ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- **أبو عبدالرحمن السلمي (محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ٣٠٣ - ٤١٢هـ)**

طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة ٢، حلب دار الكتاب النفيس، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- **العلواني (د. طه جابر فياض)**

أدب الاختلاف في الإسلام، ط٤، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- **عوامة (محمد)**

المختار من فرائد النقول والأخبار، بيروت دار البشائر ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- **الغزالي (محمد بن محمد الغزالي - توفي ٥٠٥هـ)**

إحياء علوم الدين، تحقيق د. عبدالله الخالدي، بيروت: دار الأرقم، ١٤١٩هـ١٩٩٨م (خمسة مجلدات)

- **عيسى (عبده غالب)**

لطائف النساء، بيروت: دار الجيل ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- **الفارابي (أبو نصر محمد بن طرخان - توفي ٣٣٩هـ - ٩٥٠م)**

التنبيه على سبيل السعادة، تحقيق د. جعفر آل ياسين بيروت: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- **فضل الله (محمد حسين)**

الحوار في القرآن، بيروت: دار التعارف، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- **ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله مسلم - توفي ٢٧٦هـ)**

كتاب عيون الأخبار، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ - ١٩٢٥م (أربعة مجلدات)

- القحطاني (فراج سالم - العميد)
شرب الخمر وأثره على الأمن، دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، الرياض ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- ابن قدامة المقدسي (أبو عبدالله بن محمد ٥٤١هـ - ٦٢٠هـ)
كتاب التوابين، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، بيروت: دار الإيمان ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري)
الجامع لأحكام القرآن، مراجعة وضبط د. محمد ابراهيم الحفناوي، القاهرة: دار الحديث ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) (ج١٠، ج١٧).

- قوجيل (محمد علي نوح)
أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، طرابلس (ليبيا) جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (د. ت).

- ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمرو الدمشقي - توفي ٧٧٤هـ - ١٣٧٣م)
البداية والنهاية ج٧، بيروت، مكتبة المعارف ١٩٨٣م.

- المرنيسي (فاطمة)
الحريم السياسي - النبي والنساء، ترجمة المحامي عبدالهادي عباس، دمشق، دار الحصاد (د. ت).

- مسكويه (أبو علي أحمد الخازن - توفي ٤١هـ - ١٠٣٠م)
تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، الجامعة الأمريكية ١٩٦٢م.

- مسكويه (أبو علي أحمد الخازن - توفي ٤٢١هـ - ١٠٣٠م)
وأبو حيان - علي بن محمد التوحيدي - توفي ٤١٤هـ)
الوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين وأحمد صقر، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.
- المنفلوطي (مصطفى لطفي)
النظرات، دراسة وتقديم د. جبرائيل سليمان جبور، بيروت، دار الآفاق الجديدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري - توفي ٥١٨هـ)
مجمع الأمثال، المجلد الثاني، تقديم وتعليق نعيم حسن زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية (د. ت).
- أبو نعيم (أحمد بن عبدالله الأصفهاني الشافعي - توفي ٤٣٠هـ)
حلية الأولياء وطبقات الأوفياء، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ج٤، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.
- نوح (د. السيد محمد)
آفات على الطريق، ج٤، ط٤، المنصورة (مصر) دار الوفاء ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبدالله بن سهل - توفي بعد ٤٠٠هـ - ١٠٠٩م)
الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تحقيق د. عبدالمجيد ذياب، القاهرة، دار الفضيلة ١٩٩٨م.
- الهمذاني (عبدالرحمن بن عيسى - توفي ٣٢٩هـ - ٩٣٣م)
الألفاظ الكتابية، تونس - ليبيا - الدار العربية للكتب (د. ت).
- ابن الوزير (عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطي - توفي

٩٣٠هـ)
رسالة في آداب البحث والمناظرة، تحقيق وتعليق وإلحاق مناظرات مهمة الشيخ سليم شبعانية، دمشق، دار النعمان للعلوم ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- يالجن (د. مقداد)
التربية الإسلامية، ط٢، الرياض، دار عالم الكتب ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ثانياً - الموسوعات والمعاجم الفلسفية واللغوية

- مجمع اللغة العربية
المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- مجموعة من المؤلفين
الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وزميليه، بيروت، دار القلم (د.ت).

- التهاوني (محمد علي الفاروقي - توفي حوالي ١١٥٨هـ - ١٧٤٥م)
كشاف مصطلحات الفنون، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

- الثعالبي (أبو منصور عبدالملك بن محمد - توفي ٤٩هـ)
فقه اللغة، تونس - ليبيا - الدار العربية للكتاب ١٩٨١م.

- الجرجاني (علي بن محمد بن علي ٧٤٠ - ٨١٦هـ)
التعريفات، ط٢، تحقيق د. إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- د. جميل صليبا

المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة، ١٩٨٢م (جزءان).

- الراغب الأصفهاني

مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، قم (إيران)، مؤسسة الفقه - سبهر ١٤٢١هـ..

- الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - توفي ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م)

الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، ط٢، مقابلة إعداد: د. عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- د. مراد وهب

المعجم الفلسفي، ط٣، القاهرة، دار الثقافة الجديدة ١٩٧٩م.

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ٦٧٠ - ٧١١هـ - ١٢٣٢ - ١٣١١م)

لسان العرب، طبعة جديدة محققة، بيروت دار صادر ٢٠٠٠م (مجلد ٢، مجلد ٤).

- أبو هلال العسكري

الفروق في اللغة، ط٥، بيروت، دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

صدر من كتاب « الرياض »

١ ـ امرؤ القيس العربي/ فوزان الدبيبي (ديسمبر ١٩٩٣م).

٢ ـ ربيع الحرف/ نورة خالد السعد (فبراير ١٩٩٤م).

٣ ـ اللغة مفتاح الحضارة/ عدد من المختصين (مارس ١٩٩٤م).

٤ ـ الكشكول/ حسن ظاظا (أبريل ١٩٩٤م).

٥ ـ أوراق رياضية/ أحمد بن محمد الضبيب (مايو ١٩٩٤م).

٦ ـ قراءة في الفكر الأوروبي الحديث/ هاشم الصالح (يونيو ١٩٩٤م).

٧ ـ من يقرأ المصباح/ يحيى محمود بن جنيد (يوليو ١٩٩٤م).

٨ ـ نقد الحداثة/ حامد أبو أحمد (أغسطس ١٩٩٤م).

٩ ـ الانتخابات الأمريكية/ عبدالعزيز إبراهيم الفايز (سبتمبر ١٩٩٤ م).

١٠ ـ مساءلات في الأدب واللغة/ عبدالسلام المسدي (أكتوبر ١٩٩٤م).

١١ ـ الأطفال والتلوث البيئي / نوري طاهر الطيب ـ بشير محمود جرار (نوفمبر ١٩٩٤م).

١٢ ـ الضفة الثالثة/ كمال ممدوح حمدي (ديسمبر ١٩٩٤م).

١٣ ـ مأزق القيم/ مسلم بن عبدالله مسلم (يناير ١٩٩٥م).

١٤ ـ وسم الإبل عند بعض القبائل/ صالح غازي الجودي (فبراير ١٩٩٥م).

١٥ ـ أفكار في التنمية/ عبدالله حسن العبادي (مارس ١٩٩٥م).

١٦ ـ بنية التخلف/ إبراهيم البليهي (ابريل ١٩٩٥م).

١٧ ـ العرب ومتطلبات المرحلة/ منح الصلح (مايو ١٩٩٥م).

١٨ ـ مأزق في المعادلة/ خيرية إبراهيم السقاف (يونيو ١٩٩٥م).

١٩ ـ تأثير ألف ليلة والمعلقات على أدب شاعر ألمانيا كوته/ عدنان الرشيد (يوليو ١٩٩٥م).

٢٠ ـ تلوث المياه: المشكلة والأبعاد/ نوري بن طاهر الطيب، بشير بن محمود جرار (أغسطس ١٩٩٥م).

٢١ ـ أسوار الطين/ حسن العلوي (سبتمبر ١٩٩٥م).

٢٢ ـ كيف يعمل الاقتصاد/ مختار محمد بسلول (أكتوبر ١٩٩٥م).

٢٣ ـ الأدب: اللغة والفضاء/ أحمد حامد أحمد (نوفمبر ١٩٩٥م).

٢٤ ـ التجارب العملية في أسس التلوث الميكروبي البيئي/ عبدالوهاب رجب هاشم بن صادق (ديسمبر ١٩٩٥م).

٢٥ ـ ٢٦ـ الجميل ونظريات الفنون: دراسات في علم الجمال/ رمضان بسطاويسي محمد (يناير ـ فبراير ١٩٩٦م).

٢٧ ـ التفاوض فن تحقيق الممكن سيف عبدالعزيز السيف (مارس ١٩٩٦م).

٢٨ ـ لمحات .. من حديث الأساتذة/ عبدالرحمن محمد أبوعمه (أبريل ١٩٩٦م).

٢٩ ـ الضبط الببليوجرافي والتحليل الببليومتري في علم المكتبات والمعلومات: دراسة تطبيقية على مجلة شعر/ أمين سليمان سيدو(مايو ١٩٩٦م).

٣٠ ـ الخطاب والقارىء: نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة / حامد أبو أحمد (يونيو ١٩٩٦م).

٣١ ـ الرؤية الإنسانية في حركة اللغة/ غالي سرحان القرشي (يوليو ١٩٩٦م).

٣٢ ـ الأدب الأندلسي بين حقيقته ومحاولة اغتياله/ عبدالله بن علي ثقفان/ (أغسطس ١٩٩٦م).

٣٣ـ٣٤ ـ مخطط الإنحدار وإعادة البناء / خالص جلبي

(سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٦م).

٣٥ ـ أضواء على دور قبيلة بلي في الحضارة العربية الإسلامية/ سلامة محمد الهرفي البلوي (نوفمبر ١٩٩٦م).

٣٦ ـ المبيدات الايجابيات والسلبيات: رؤية مستقبلية لاستخدامها بدول مجلس التعاون/ فهمي حسن أمين العلي (ديسمبر ١٩٩٦م).

٣٧ ـ بدر شاكر السياب: دراسة نقدية أو ظواهر فنية من شعره وبيلبوجرافي بآثاره../ تأليف أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري، أمين سليمان سيدو (يناير ١٩٩٧م).

٣٨ ـ في نظرية الأدب: مقالات ودراسات/ ترجمة وإعداد محمد العمري (فبراير ١٩٩٧م).

٣٩ ـ الوقف والمجتمع: نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي/ يحيى محمود بن جنيد / (مارس ١٩٩٧م).

٤٠ ـ الألسنية الحديثة واللغة العربية: دراسة تحليلية تطبيقية لنظرية الحكم النحوي والربط على اللغة العربية/ محيي الدين حميدي (أبريل ١٩٩٧م).

٤١ ـ تأملات في مسرح برشت / عدنان الرشيد (مايو

١٩٩٧م).

٤٢ ـ نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي / حسن بن فرحان المالكي (يونيو ١٩٩٧م).

٤٣ ـ الكشكول (٢) / حسن ظاظا (يوليو ١٩٩٧م).

٤٤ ـ أبوالسائب المخزومي/ إبراهيم صبري محمود راشد (أغسطس ١٩٩٧م).

٤٥ ـ جائزة الملك فيصل: دراسة مقارنة مع الجوائز العالمية/ محمود قاسم (سبتمبر ١٩٩٧م).

٤٦ـ٤٧ ـ قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل: تحليل سيمائياتي لقصيدة قمر شيراز للبياتي/ عبدالملك مرتاض (أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٩٧م).

٤٨ ـ المقامات وباكورة قصص الشطار الإسبانية/ علي عبدالرءوف علي البمبي (ديسمبر ١٩٩٧م).

٤٩ ـ حصاد حقبة من تاريخ/ أحمد الشيباني (يناير ١٩٩٨م).

٥٠ ـ البحث عن أدب حديث يُصلِحُ الأرضَ العربية ولا يُفسِدُ فيها/ محمد عبدالرحمن الشامخ (فبراير ١٩٩٨م).

٥١ ـ العلم والإيمان في الغرب/ هاشم صالح (مارس ١٩٩٨م).

٥٢ ـ ٥٣ ـ ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث/ علوي الهاشمي (أبريل ـ مايو ١٩٩٨م).

٥٤ ـ أثر الثقافة العربية في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيصولو (الجزء الأول)، تأليف لوثي لوبيث بارالت، ترجمة حامد يوسف أبوأحمد، علي عبدالرءوف البمبي، مراجعة أحمد إبراهيم الشعراوي/ (يونيو ١٩٩٨م).

٥٥ ـ أثر الثقافة العربية في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جويتيصولو (الجزء الثاني) تأليف لوثي لوبيث بارالت، ترجمة حامد يوسف أبوأحمد، علي عبدالرءوف البمبي، مراجعة أحمد إبراهيم الشعراوي/ (يوليو ١٩٩٨م).

٥٦ ـ ٥٧ المقاومة والبطولة في الشعر العربي/ حسن فتح الباب (أغسطس ـ سبتمبر ١٩٩٨م).

٥٨ ـ منظمة التجارة العالمية: الماضي والواقع والمستقبل/ يوسف طراد السعدون، عبدالرحمن يوسف العالي (أكتوبر ١٩٩٨م).

٥٩ ـ حداثة مؤجلة/ محمد العباس (نوفمبر ١٩٩٨م).

٦٠ ـ الأسلوبية والتأويل والتعليم/ حسن غزالة (ديسمبر ١٩٩٨م).

٦١ـ٦٢ الكتابة من موقع العدم: مُساءلات حول نظريّة الكتابة/ عبدالملك مرتاض (يناير ـ فبراير ١٩٩٩م).

٦٣ ـ الموضوع البيئي سعودياً وعربياً/ محمد مهنا المهنا (مارس ١٩٩٩م).

٦٤ ـ للأصوات وجوه / نجوى محمد هاشم (أبريل ١٩٩٩م).

٦٥ ـ الإستعمار: مراجعة نظرية عامة/ تأليف: يورغن اوسترهامل، ترجمة أوبكر أحمد باقادر (مايو ١٩٩٩م).

٦٦ ـ الصوت القديم الجديد: دراسات في الجذور العربية لموسيقى الشعر الحديث/ عبدالله محمد الغَذّامي (يونيو ١٩٩٩م).

٦٧ ـ اللغة الاقتصادية المعاصرة/ إعداد زيد بن محمد الرماني (يوليو ١٩٩٩م).

٦٨ ـ التيارات الأدبية في الأدب الياباني الحديث والمعاصر/ تأليف كرم خليل (أغسطس ١٩٩٩م).

٦٩ ـ الأدب الألماني من الكلاسيكية إلى الرومانتيكية/ عدنان الرشيد (سبتمبر ١٩٩٩م).

٧٠ ـ الشيخ الرئيس أبوعلي ابن سينا (٣٧٠ ـ

٤٢٨هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م): حياته، ومصنفاته، وما كتب عنه/ أمين سليمان سيدو (أكتوبر ١٩٩٩م).

٧١ ـ سالف الأوان/ إبراهيم منصور الحازمي (نوفمبر ١٩٩٩م).

٧٢ ـ ٧٣ الترجمة وعملياتها: النظرية والتطبيق/ تأليف روجرت بيل، ترجمة محيي الدين حميدي (ديسمبر ١٩٩٩).

٧٤ ـ جريمة غسل الأموال: نظرية دولية لجوانبها الاجتماعية والنظامية والاقتصادية/ تأليف أحمد محمد العمري (يناير ٢٠٠٠م).

٧٥ ـ مراجعات لسانية (الجزء الثاني)/ حمزة بن قبلان المزيني (فبراير ٢٠٠٠م).

٧٦ ـ القصة والدلالة الفكرية/ حنا مينه (مارس ٢٠٠٠م).

٧٧ ـ قراءة ثانية (نصوص)/ عزت بن عبدالمجيد حطاب (أبريل ٢٠٠٠م).

٧٨ ـ قراءة جديدة في مراثي الخنساء/ جبار عباس اللامي (مايو ٢٠٠٠م).

٧٩ ـ مراجعات لسانية (الجزء الأول)/ حمزة بن قبلان المزيني (يونيو ٢٠٠٠م).

٨٠ ـ مرايا ومسافات: قمم عالمية وأصداء عربية/ نذير

العظمة (يوليو ٢٠٠٠م).

٨١ ـ ٨٢ ـ في أفياء الشعر منذ الجاهلية حتى آخر العصر الأموي: أبحاثٌ أدبيةٌ منوعة/ محمد بن سليمان السديس (أغسطس ـ سبتمبر ٢٠٠٠م).

٨٣ ـ شعرية المكان في الرواية الجديدة: الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً/ خالد حسين حسين (أكتوبر ٢٠٠٠م).

٨٤ ـ الصورة الشعرية عند عبدالله البردوني/ وليد مشوِّح (نوفمبر ٢٠٠٠م).

٨٥ ـ القضاء في جرائم الأحداث/ حمد بن محمد بن حمد الماضي (ديسمبر ٢٠٠٠م).

٨٦ ـ العين البصيرة ـ قراءات نقدية/ يوسف بكّار (يناير ٢٠٠١م).

٨٧ ـ في الغناء البدوي «الهُوجَيْني»: دراسة ونصوص/ محمود مفلح البكر (فبراير ٢٠٠١م).

٨٨ ـ أمريكا وسراب الحلم العربي: مجموعة مقالات/ فوزي الأسمر (مارس ٢٠٠١م).

٨٩ ـ مصادر الأدب الفلسطيني الحديث/ محمد عبدالله الجعيدي (ابريل ٢٠٠١م).

٩٠ ـ العمى والسيرة الذاتية: دراسة في كتاب الأيام لطه

حسين/ تأليف فدوى مالطي دوغلاس، ترجمة لمياء محمد صالح باعشن (مايو ٢٠٠١م).

٩١ ـ النَفْسُ .. ومَتَاعِبُهَا/ أحمد جاد (يونيو ٢٠٠١م).

٩٢ ـ عوامل التسرب الدراسي لدى المنحرفين/ إبراهيم عبدالكريم المهنا (يوليو ٢٠٠١م).

٩٣ ـ التلقّي والسياقات الثقافية: بحث في تأويل الظاهرة الأدبية/ عبدالله إبراهيم (أغسطس ٢٠٠١م).

٩٤ ـ من المربع إلى العذيبات: رؤى وأفكار في العمارة السعودية المعاصرة/ مشاري عبد الله النعيم (سبتمبر ٢٠٠١م).

٩٥ ـ أزمة التقاعد .... كيف نواجهها ؟/ إعداد عبد العزيز علي الغريب (أكتوبر ٢٠٠١م).

٩٦ ـ أنظمة الاتصالات اللاسلكية وشبكة الإنترنت/ عوض ابن خزيم آل سرور الأسمري، ناصر بن عبدالله الجماز (نوفمبر ٢٠٠١م).

٩٧ ـ ٩٨ ـ الغذامي الناقد: قراءات في مشروع الغذامي النقدي/ تحرير وتقديم عبدالرحمن بن إسماعيل السماعيل (ديسمبر ٢٠٠١م ـ يناير ٢٠٠٢م).

٩٩ ـ إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية العربية المعاصرة/ عبيد بن عبدالله العمري، عبدالقادر

عبدالله عرابي (فبراير ٢٠٠٢م).

١٠٠ ـ الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي (١٢١٥ - ١٣١٧هـ)/ يحيى محمود بن جنيد (مارس ٢٠٠٢م).

١٠١ ـ مفهوم الجمال في الفن والأدب/ عدنان الرشيد (أبريل ٢٠٠٢م).

١٠٢ - القصيدة تعانقُ قوسَ قُزَح: ألوان من تحليل الطيف الشِّعري/ أحمد نصيف الجنابي (مايو ٢٠٠٢م).

١٠٣ ـ العولمة وثقافة الاستهلاك في المجتمع/ سيف عبدالعزيز السيف (يونيو ٢٠٠٢م).

١٠٤ ـ التفاعل النصي (التناصية، Intertextuality) النظرية والمنهج/ نهلة فيصل الأحمد (يوليو ٢٠٠٢م).

١٠٥ - التلوث بالغبار/ نوري طاهر الطيب، بشير محمود جرار (أغسطس ٢٠٠٢م).

١٠٦ - ـ البلدان الإسلامية ومنظمة التجارة العالمية: دراسة في اتفاقيات التجارة السلعية / محمد عبيد محمد (سبتمبر ٢٠٠٢م).

١٠٧ - شعر غازي القصيبي - «دراسة فنية»/ محمد بن سالم بن سعيد الصفراني (أكتوبر ٢٠٠٢م).

١٠٨ - بحوث ودراسات أندلسية/ عبدالله بن علي بن ثقفان (نوفمبر ٢٠٠٢م).

١٠٩ - حقوق الملكية الفكرية في المنظور الإسلامي/ بركات محمد مراد (ديسمبر ٢٠٠٢م).

١١٠ - أرقامنا الحقائق والحقيقة المغيبة/ صالح بن إبراهيم الحسن (يناير ٢٠٠٣م).

١١١ - لغة الشعر - دراسات في الشعرية والشعراء/ شاكر لعيبي (فبراير ٢٠٠٣م).

١١٢ - تأملات في المجتمع السعودي/ عبدالله الجعيثن (مارس ٢٠٠٣م).

١١٣ - الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية/ أحمد محمد ويس (ابريل ٢٠٠٣م).

١١٤ - المعلوماتية والمستقبل - الدكتور سعد علي الحاج بكري (مايو ٢٠٠٣م).

١١٥ - حكي اللغة ونص الكتابة - قراءة في عينات من القصة والرواية في مشهدنا السردي/ عالي بن سرحان القرشي (يونيو ٢٠٠٣م).

١١٦ - أمراض الكبد في المملكة العربية السعودية/ فالح بن زيد الفالح (يوليو ٢٠٠٣م).

الكتاب:

يتناول هذا الكتاب ثقافة الحوار في الإسلام بأسلوب علمي مغاير لما هو سائد في المكتبات وكتب الحوار بشكل عام، والحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشكل خاص، إذ إن المؤلف استخدم المنهج التكاملي في عملية البحث، ومفاده: توظيف معطيات الشريعة (قرآن وسنة وكذلك الاجتهاد) ثم معطيات التراث الفكري والأدبي الإسلامي بما يحوي من حكم وحكايات وأمثال ووصايا وشعر، وذلك لغرضين متلازمين: الأول: تنوير الداعية والمحاور بقواعد الحوار الصحيح، والثاني: إثراء ثقافة أي منهما أو تذكيره بهذه القواعد العلمية دون إفراط أو تفريط.

وقسَّم المؤلف الكتاب إلى بابين رئيسيين يتناول الأول مفهوم الحوار وأهميته، وقسمه إلى فصلين مستقلين يعالج الأول مفهوم الحوار بما يتضمن من معان لغوية ومصطلحية، وتحديد الفرق بينه وبين المصطلحات المتقاربة كالجدل والمناظرة والمراء، وفي الفصل الثاني تصدى المؤلف لأهمية الحوار سواء في مجال الدعوة، أو التربية، أو الثقافة. أما في الباب الثاني فتناول أسس الحوار وأنواعه، وقسمه إلى فصلين مستقلين، بيَّن الأول الأسس التنظيمية، والمنطقية، والشرعية، والأخلاقية للحوار، أما الفصل الثاني فيحلل بنحو موجز أنواع الحوار، ويراها نوعين، الأول علاجي يردُّ فيه على دعاوى وخطابات أعداء الإسلام، والثاني وقائي يتناول قضايا الحاضر والمستقبل كي يبيِّن موقف الإسلام أمام العالم وموقفه من القضايا الكبرى المعاصرة، وختم المؤلف الكتاب بأهم الاستنتاجات التي توصل إليها، كما عرف الاقتراحات التي يرى ضرورة إعمالها تعزيزاً للحوار الإسلامي مع الذات، واتبع المؤلف المنهج الأكاديمي في تناول الموضوع وتوثيق الكتاب.

الكاتب:

عبدالقادر عبدالحافظ الشيخلي.

- حصل على شهادة البكالوريوس في القانون من الجامعة المستنصرية ببغداد عام ١٩٦٩م.
- حصل على دبلوم دراسات عليا في العلوم الإدارية عام ١٩٧٠م، ودبلوم دراسات عليا في القانون العام من كلية الحقوق بجامعة القاهرة.
- حصل على درجة الدكتوراه في الحقوق من كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٧٩م.
- عمل في حقل التدريس بجامعة الجزائر بالجزائر، والجامعة المستنصرية وجامعة بغداد بالعر[illegible] الغربي وناصر بليبيا، والجامعة الأردنية، وجامعة فيلادلفيا، وجامعة عمّان، وجامعة اليرموك با[illegible]
- يعمل حالياً بجامعة اليرموك، إربد، الأردن.

من مؤلفاته:

- القانون التأديبي وعلاقته بالقانون الإداري والجنائي: دراسة مقارنة - عمّان، الأردن: دار الفرقا[illegible]
- فن الصياغة القانونية تشريعاً وفقهاً وقضاءً، الأردن: دار الثقافة، ١٩٩٥م.
- البحث العلمي بين الحرية والمؤسسية - عمّان، الأردن: دار مجدلاوي، ٢٠٠١م.
- العقاب بين الشريعة والحكمة والأخلاق - عمّان، الأردن: مكتبة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- تنمية التفكير الإبداعي - عمّان، الأردن: وزارة الشباب والرياضة، ٢٠٠١م.
- كيف تصبح إدارياً ناجحاً - عمّان، الأردن: دار أسامة، ١٩٩٩م.



السعر: ١٠ ريالات سعودية

رقم الإيداع: ٣٥٧٨/[illegible]

ردمك: ٥-٣٤-٨٧٧-٩٩٦٠